هدية العدد: التقويم الهجري

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٨١) محرم ١٤٣٥ هـ / نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٣ م

أمة «اقرأ» واقع مؤلم وطموحات خلاقة

> التعامل مع الوعود الربانية بين التصديق والتضييق

> آثار المعصية في الفرد والمجتمع

> أطلس الوقف .. يوثق أوقاف الكويت

> مالك بن نبي وأسئلة الاستعمار والنهضة

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

كل عام وأنتم بخير

جديد إصداراتنا

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني: info@alwaei.com

الافتتاحية

التربية والتعليم

أسرة التحرير

تعد التربية من الأساسات العلمية والاجتماعية والإنسانية المهمة في أي مجتمع متحضر، ولاشك أن الرديف الأبرز لعملية التربية الناجحة هو التعليم المتميز، ولهذه القيمة البالغة كان قطب التربية والتعليم صاحب الصدارة في أولويات الدول التي تنشد لبلادها الرقي والتقدم. وما من مجتمع ينشد الرفعة والسبق إلا وله منهاج تربوي فريد؛ يتحرك وفق معالمه، ويسير على هداه؛ فإذا اختل البناء التربوي وانفصمت عراه؛ اضطربت مسيرة المجتمع وتخلف بناؤه.

والتربية -كما هو معلوم- تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية، والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته.. وهي في الإسلام تجمع بين تأديب النفس، وتهذيب الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، بلا طغيان جانب منها على آخر، ولها وسائل جمة، منها: التربية بالقدوة؛ إذ هي أكثر الوسائل فعالية وأقربها إلى النجاح، فمن السهل -كما يقول أحد العلماء- تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض.

وعلى هذا فالمعلم القدوة يأخذ بيد تلميذه بلا معاناة إلى جميع الخلال الحسنة والآداب الكاملة، ونظرًا لأهميته وتأثيره في زرع الخير في قلوب الناشئة، فقد لجأ كثير من أصحاب الجاه والسلطان إلى الاستعانة بذوي القدوات الصالحة لتربية أبنائهم وتعليمهم. روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بُنيَّ إصلاح نفسك؛ فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء».

ومن وسائل التربية: الموعظة الحسنة؛ إذ في النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من كلام، وهو استعداد مؤقت في الغالب، ولذلك يلزمه التكرار، فالموعظة تؤثر في السامع وتفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هزا، ولكنها إذا تركت تترسب من جديد، ويخمل مفعولها، ومن أسباب نجاحها: تنويع طرائقها؛ فمرة بالقصة، ومرة بالترغيب، وثالثة بالترهيب، وهكذا...

وإذا صلحت سبل التربية؛ صلح أمر التعليم ولابد، والعكس بالعكس، ولهذا اتبع المفسدون سياسة طويلة النفس في تدمير العملية التربوية والتعليمية في بلاد المسلمين؛ والتي تمثلت في التغريب الثقافي للعلم والتعليم؛ من خلال ما يعرف بحركة الاستشراق التي مهدت للاستعمار، واحتلال البلاد الإسلامية، وتنفيذ المخطط الذي قام على صنع أجيال رجعت عن الإسلام، ومكرت به، وفق الطريقة التي رسمها الأعداء، وذلك بإخراج المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، ومن ثم لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(يوسف:٢١).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٨١ | محرم ١٤٣٥ هـ
العام الواحد وخمسون
نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ -
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع
دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية
- المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

التعلم بوابة نهضة الأمة، به نستعيد دورنا الحضاري، ونسابق الأمم في مضمار عصر المعلوماتية فلا نبقى عالة على المنجزات بل إضافة تليق بوجه ديننا السمح المبنى على«اقرأ»

١٦

التسامح في التصور الإسلامي

٤٢

حضارتنا المتألقة في العصور الوسطى

٥٦

الندم بين الشريعة والأدب

٧٦

الحب لغة الإسلام

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠درهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	افتتاحية/ التربية والتعليم	التحرير
٦	فكر/ دراسة المستقبل.. أولوية شرعية	د. إدريس مقبول
٨	دعوة/ التعامل مع الوعود الربانية بين التصديق والتضييق	د. محمد علي يوسف
١٠	دعوة/ شبكة ملتقى الخطباء	التحرير
١٢	حوار/ الحلواني: صراع الحضارات أصله عقائدي	محمد حبيب
١٦	فكر/ التسامح في التصور الإسلامي	د. أماني قحيف
١٩	ملف العدد/ المعلم القدوة	رشيد الحسن
٢٠	ملف العدد/ التعليم.. بوابتنا للنهضة	السنوسي محمد
٢٣	ملف العدد/ ثمار التعليم في عالمنا العربي	د. آندي حجازي
٢٦	ملف العدد/ أدوار المعلم في عصر المعلوماتية	محمد عباس
٢٨	ملف العدد/ أمة اقرأ.. واقع مؤلم وطموحات خلاقة	مياسة النخلاني
٣٢	ملف العدد/ التعليم المحظور في بلادنا	محمد إلهامي
٣٤	ملف العدد/ النشء المسلم.. أين موقعه في مناهج التعليم؟	هالة عبدالحافظ - منار محمد
٣٨	دراسات/ آثار المعصية في الفرد والمجتمع	مختار لوح
٤٢	دراسات/ حضارتنا المتألقة في العصور الوسطى	د. أشرف صالح
٤٨	دراسات/ الشركات في الفقه الإسلامي	د. صالح سالم النهام
٥٢	لغة وأدب/ قصة وقصيدة(١)	د. عبدالرحمن الحقان
٥٤	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور	عبدالله أيت الأعشير
٥٦	لغة وأدب/ الندم بين الشريعة والأدب	مصطفى عباس
٥٨	لغة وأدب/ الأدب حياة	التحرير
٥٩	لغة وأدب/ سورية	وليد الخطيب
٦٠	لغة وأدب/ أحلام شاب عزب	عبدالكريم إبراهيمي
٦٢	لغة وأدب/ ظاهرة المثلث القرائي	د. خالد فهمي
٦٥	أنباء الكتب/ أطلس الوقف	السيد المخزنجي
٦٨	تنمية/ التفاعل الاجتماعي وتشكيل الشخصية	الزبير مهداد
٧١	أسرة/ زوجك جنتك أو نارك	شيماء فريج
٧٢	أسرة/ الإدمان في الأسرة	محمود حسانين
٧٤	أسرة/ السعادة على أنقاض الآخرين	منير أديب
٧٦	حضارة/ الحب لغة الإسلام	عمر تدرارني
٧٨	خواطر/ اختبار كاشف الأسرار	هنادي الشيخ
٨٠	تحقيق/ حكاية الشجرة الملعونة	بسمة رمضان
٨٤	طب/ ضغط الدم.. القاتل الصامت	منى الموجي
٨٧	فن/ حوار مع الخطاط المغربي محمد أهري	بشرى شاكر
٨٨	طور نفسك	سلمان الكندري
٩٠	كتب عربية علمت الإنسانية	خالد خلاوي
٩٢	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام/ مالك بن نبي وأسئلة الاستعمار والنهضة	محمد صديق

كلمة العدد

صناعة التعليم

التعليم مفتاح الرقي الحضاري والتقدم العلمي لجميع الشعوب والأمم، وبات في العصر الحديث صناعة لها آلياتها وسبلها القائمة على الإبداع والابتكار في الوسائل والمناهج العلمية.

والتعليم وسيلة مؤثرة تساهم في تحقيق الأهداف والطموحات، وركيزة أساسية لتكوين الرؤى الواضحة لبناء الأجيال التي تلبي متطلبات النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مجتمعاتنا، وذلك من خلال بناء منظومة تعليمية متكاملة.

ولعل صناعة التعليم تؤسس منهجًا يحقق الدافعية لدى أبنائنا، نحو حب التعلم والتحصيل العلمي، وربط مخرجات التعليم بقدراتهم وميولهم، وباحتياجات المجتمع من حولهم.

فلابد أن تكون مخرجاتنا التعليمية فاعلة منتجة في بناء المجتمع وخدمة الوطن، بالإضافة إلى بحث أوجه الخلل في المنظومة التعليمية الحالية، ومن ثم الوصول إلى الحلول المناسبة.

ولن تتحقق النهضة للأمم إلا من خلال غرس المثل العليا في فلذات أكبادنا، وتربيتها بالحكمة والموعظة الحسنة، لبناء جيل متزن واع، قادر على اتخاذ القرار والمشاركة المجتمعية.

إذ إن المربي صانع الحضارات الحقيقي، ومدرسة الأجيال، والذي يساهم في نهضة الأمة وتقدمها، فالقدوة الحسنة وتطابق القول والعمل؛ تلك صفات لا يتحلى بها إلا المؤثّرون في مجتمعاتهم..

وينبغي على المسؤولين ومتخذي القرار في بلادنا تغيير فلسفة التعليم، والانتقال برسالة الدراسة من مجرد الحصول على الشهادة أو الوظيفة إلى بناء كوادر مؤهلة ذات كفاءة عالية من المعرفة والمهارة.

لقد أصبح بناء الأجيال الواعية المؤهلة هو التحدي الرئيسي لمجتمعاتنا اليوم.. أجيال تأخذ على عاتقها مسؤولية الإسهام في بناء الوطن، وتنمية المجتمع، وتحقيق أهداف المستقبل.

التحرير

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (أو ما يعادلها).
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارا كويتيا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

دراسة المستقبل.. أولوية شرعية

د.إدريس مقبول
أكاديمي مغربي

لا شك أن استبصار المستقبل أو استشرافه هو من قبيل النظر في الآفاق الذي أمر الله تعالى به عباده تخطيطًا لما يستقبلهم من عاديات الزمن وتحسبًا لأزماته وترقبًا لمفاجآته، ولا يدخل هذا التخطيط في مسمى الكهانة(١) ولا الاستقسام(٢) ولا الرجم بالغيب(٣) ما دام لا يتوسل بما نهى الشرع عن تعاطيه من ضروب السحر والشعوذة والخط(٤).

لقد رفض الإسلام استشراف الغيب من طريق غير مشروع يدعي فيه المستشرف إمكان معرفته بما استقل الله تعالى بعلمه قبل وقوعه بالإطلاق، لكنه لم يرفض ما جاء من طريق الدراسة العلمية التجريبية أو الميدانية «فهذه الدنيا قائمة على سنن، منها ما يسير به الكون ومنها ما يسير به التاريخ، سنن في الطبيعة وسنن في المجتمع، والذي يتعرف إلى هذه السنن يستطيع أن يتنبأ بالنتائج إذا وجدت أسبابها دون أن يكون ذلك علمًا بالغيب أو مزاحمة لله في علمه، فالله الذي أذن للإنسان أن يتعرف على الكون وعلى نفسه، هو الذي أذن له أن يتعرف على حركته ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، وتبقى الفروق ثابتة بين علم الله المحيط وعلم الإنسان المحدود، بين علم الله المطلق وعلم الإنسان النسبي»(٥).

والمسلمون اليوم تأسيًا بما علمهم رسول الله ﷺ في سيرته العطرة مدعوون للأخذ بأسباب استشراف المستقبل بما ترشحه وسائل العصر الحديث من إحصائيات وحسابات ودراسات مدققة في اتجاه الرقي بالعمل الإسلامي وحفظه مما يمكن أن يأتي عليه بالهدم والنقض أو العرقلة والتعطيل.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ (يوسف: ١٠٨)، (٦) يبين لنبيه ﷺ كيف يكون عرض الدعوة في وضوحها وقوتها وجاذبيتها، وتركيزنا في هذا الموضع على «البصيرة» من البصر، ومادة (ب ص ر) في اللغة مدارها على معنى: العلم بالشيء، يقال فلان بصير بالشيء: أي عليم به، وقيل البصيرة: البرهان، وهو من الوضوح. ولعل من معاني الدعوة على بصيرة مفهوم الاستبصار، وهو بالمناسبة من مشتقات نفس الجذر (بصر)، ويأتي بمعنى النظر البعيد الأفق نحو المستقبل، والدعوة على بصيرة تحتاج إلى فقه تخطيط لما يحتاجه المخاطبون المستهدفون بالدعوة، وإلى فقه استشراف لما تميل إليه أفئدتهم وعقولهم ومشاعرهم حتى يحسن الدخول عليهم من أوسع الأبواب وأصلحها انطلاقًا من فقه نفوسهم وما يتطلعون إليه.

إن الدارس لسيرة النبي ﷺ يجد أن خطواته المباركة في كل مرحلة من المراحل الدعوية تسير وفق خطة محكمة مستبصرة تستهدف تنمية فعالية(٧) وكفاءة(٨) العمل والعاملين من الصحابة معه، وذلك لما يتطلبه النجاح والنمو السريع لأي نشاط من تضافر الفعالية والكفاءة العاليتان.

والعمل الإسلامي اليوم يتطلب أن يتجاوز العقل المسلم واقعه القريب إلى استشراف المستقبل البعيد، وأن تكون للمسلمين دراسات مستقبلية يتوقعون فيها ما يمكن حدوثه أو يحصل تغيره، من باب النظر المصلحي(٩)، ثم وضع برامجهم الإصلاحية والتنموية مراعين ما يلزم لذلك من احتياطات واستعدادات تكون سياجًا آمنًا من مفاجآت المستقبل ومتغيرات الزمان.

وليس في ذلك ادعاء للغيب أو تجاوز للشرع، بل إن ذلك معتبر ضمن ما سماه بعض الفقهاء بقاعدة اعتبار المآلات(١٠)، إذ النواميس التي وضعها الله- عز وجل- في الأنفس والمجتمعات والكون ثابتة لا تتغير ومحكمة لا تتبدل إلا إذا شاء الله- عز وجل- ذلك، فإذا اكتشف العقل المسلم نظام هذه النواميس والسنن، وسار ضمن قانونها العام فإنه لن يعدم خيرًا، إذ قد استفرغ الوسع في تحقيق أغراض الخير ودفع معاول الشر بحسب المتاح والممكن.

وإذا كان واقع المسلمين المتخلف مع ثقل ما يحملونه

من ركام التأخر التاريخي يعطل مسيرتهم نحو التقدم، فإنهم اليوم لا يعطون لاستشراف المستقبل كبير اهتمام مع ضرورته في وقتنا المعاصر. فإننا نجد كثيرًا من دول العالم الغربي، ومنذ زمن بعيد قد اهتمت بذلك الأمر اهتمامًا بالغًا جعل من دولة السويد أن تضع حقيبة وزارية في حكومتها للاهتمام بالمستقبل منذ عام ١٩٧٣م، وفي الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ستمائة مؤسسة لدراسة المستقبل(١١)؛ إلى غيرها من مؤسسات الاستشراف الكثيرة في الغرب والشرق الأسيوي في حين يفتقد عالمنا العربي والإسلامي إلى مثلها، وهو يحمل الكثير من الهموم والمشكلات المتجذرة التي تستلزم حلولاً بعيدة وعلاجات طويلة الأمد.

الهوامش

١- سأل معاوية السلمي النبي ﷺ عن الكهان، فقال له: لا تأتوهم، رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم٢٢٢٧.

٢ - يقول الرسول ﷺ: «لن ينال الدرجات العلى من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيرًا»، رواه الطبراني عن أبي الدرداء، ورجاله ثقات.

٣ - يقول الرسول ﷺ: «من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»، صححه النووي في رياض الصالحين،٥١٤/٤. وأخرجه أحمد (٣١١/١، رقم ٢٨٤١).

٤ - قال النبي ﷺ: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت»، (ابن سعد، وأحمد، والطبراني عن قطن بن قبيصة عن أبيه، قال المناوي: وإسناد أحمد جيد).

٥ - الفكر الإسلامي والمستقبل: عزالدين توفيق، ضمن مجلة البيان، ع٨٤، س٩، ١٩٩٥، ص٩٤.

٦ - يوسف: ١٠٨.

٧ - الفعالية Efficiency هي عمل الأشياء بطريقة صحيحة، وذلك من خلال إدارة ممتازة تتعامل بإتقان مع نقاط القوة والضعف الموجودة في المجتمع أو المؤسسة. فالفعالية هي عمل الأشياء بصورة صحيحة أي إتقان العمل، وهي ما نسميه في الحديث بـ(الإحسان).

٨ - الكفاءة Effectiveness هي عمل الأشياء الصحيحة من خلال تعامل واع وحكيم مع الفرص المتاحة والتهديدات الموجودة في البيئة الخارجية.

٩ - ذلك أن الشريعة في الأصل جاءت لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم كما قرر الشاطبي في الموافقات،٩/٢.

١٠ - يقول الشاطبي: «النظر فى مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام، أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعًا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول فى الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة» الموافقات،١٨٧/٥-١٨٨.

١١ - يراجع: مدخل إلى التنمية المتكاملة، عبدالكريم بكار، ص١٥٥.

التعامل مع الوعود الربانية بين التصديق والتضييق

د. محمد علي يوسف
باحث دراسات إسلامية

تعالت الصيحات في شعاب مكة وطرقاتها الضيقة: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم: ٢-٤).

- من هذا؟!
- الصوت ليس غريبًا.
- لماذا يصيح ابن أبي قحافة بهذا الشكل؟
- وكيف علم أن الروم قد غلبت؟
- إن بيننا وبين الفرس والروم ومعاركهم مئات الأميال!
- وكيف علم أنهم سيُغلبون من جديد بعد بضع سنين؟
- لابد أنها تلك الكلمات التي يرددها صاحبه على مسامعه صباحا ومساء ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ...﴾ (الروم: ٢-٤).

استمرت الصيحات تجلجل بثقة في أرجاء مكة.. كرر الصديق أبوبكر رضي الله عنه صيحاته المستبشرة بالآية الكريمة في طرقات مكة، والملأ من المشركين يضربون كفا بكف.. كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرة للروم، وكانت قريش تحب ظهور فارس، لأنهم وإياهم قوم وثنيون ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث ولا نشور، لذا فقد وقفوا لأبي بكر مشككين يقولون: فذلك بيننا وبينكم.. زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين.. أفلا نراهنك على ذلك؟

قال بيقين المؤمن المصدق بموعود الله الذي لا يهزه تشكيك ولا يزعزعه مراء أو تسفيه: بلى.

قبل الصديق رهانهم، وكان ذلك قبل تحريم الرهان، فتراهن أبوبكر والمشركون وتواضعوا قيمة الرهان، لكنهم طلبوا منه تحديدا قاطعا يجزم فيه بالعام الذي تنتصر فيه الروم على عدوها.. وهنا كانت الزلة ولا معصوم إلا الأنبياء.. لقد كان الوعد الرباني في الآية على التراخي ولم يكن على التعيين، لكن أبا بكر رضي الله عنه سمى أجلا وحدد موعدا، وما كان له أن يفعل، لكن يقدر الله أن يزل تلك الزلة، ليتعلم المسلمون درسًا ما أعظمه.. لقد حدد البضع هنا بست سنين، وراهنهم الصديق على ذلك،

ومضت الأعوام، وحدثت المتغيرات، ووقعت الوقائع، ثم جاء أجل الرهان، ولم تنتصر الروم رغم مضي الأعوام الستة كما وعد أبوبكر.

تهلل المشركون وظنوا أن قد أثبتوا خللا في وعد الله، فأخذوا رهان أبي بكر فرحين بباطلهم، مستبشرين بتكذيبهم، ودخل على الصديق يومئذ غم عظيم، لكن اليقين بموعود الله أبدا لم يهتز.. إن الذي زل هو الصديق وهو بشر يخطئ ويصيب، على مكانته وقدره، ولعله تسرع لشدة يقينه وتصديقه، لكن المسلمين- كما في رواية الأثر عند الترمذي بسند صحيح- قد عابوا عليه تحديده، فما هكذا تعامل الوعود الربانية والبشريات النبوية، خصوصًا تلك التي بغير تعيين وتحديد وقد جاءت على التراخي، صحيح أنه ما دخلت السنة السابعة إلا وقد ظهرت الروم على فارس، وتحقق موعود الله، وآمن خلق كثير بعد تلك الآية والنبوءة القرآنية المتحققة، لكن ما يعنينا هنا أن أبا بكر كان قد وعى الدرس.

تمر الأعوام ويأتي موقف الحديبية، ويعلن وعد نبوي آخر بالاعتمار، ويستبشر المسلمون، وتتهلل أساريرهم، ها قد حان الوقت لنرى بيت الله الحرام وكعبته المشرفة من جديد، ها قد آن الأوان لنلبي النداء ونهل محرمين مكبرين مهللين، ولنطوف بالبيت العتيق، ونسوق الهدي، وتتسابق قلوبنا لتهفو إلى أم القرى.. لكن جاء المنع، وعاند أئمة الكفر، ثم كان الصلح في الحديبية.. لا عمرة إذن هذا العام!

- «أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟»

هكذا صاح الفاروق عمر في صاحبه ورفيق كفاحه الصديق.. ألم يعدنا رسول الله ﷺ أن نأتي البيت محرمين محلقي رؤوسنا ومقصرين؟ فيجيب بيقين الواثق الذي وعى الدرس، وفهم كيفية التعامل مع الوعود والبشريات:

بلى، أفأخبرَك أنك تأتيه العام؟
- لا.

أجاب عمر نافيا التحديد.. هنا صدع بها أبوبكر بحسم لا يساوره الخلل ولا يأتيه الملل ولا الزلل: «فإنك آتيه ومطوف به».. وهكذا يعامل الوعد.. تصديق ويقين ولو بعد حين.. كم من وعد أطلق في القرآن بتمكين المؤمنين وعز الموحدين.. لكن هل قيل متى؟

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥) وعد قاطع لاشك فيه، لكن متى هو؟

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧) لكن متى هو؟

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٥) ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (الصف: ١٣) متى هو؟!

العلم عند الله، والتكليف: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٣) . إن وعود الله ينبغي أن تصدق، وواجب المؤمن تجاهها أن يوقن بها، وأن يبشر ويستبشر، بل واجب الوقت عند البلاء والكرب أن يبشر المؤمنين والصابرين والمخبتين والمحسنين ويثبتهم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥) .

لكن إياك أن تتكلف وتتقعر وتقطع وتجزم بما لم يحدده الله جل وعلا، إياك أن تتألى على غيب، أو تُضيق واسعا، أو تقطع بما لا تعلم.. التبشير يكون مطلقا كما علمنا الله وعلمنا رسوله ﷺ، وإن الاستثناء لهو التحديد بزمان أو لشخص معين.. إن موقف النبي ﷺ مع سراقة بن مالك ووعده شخصيا بسواري كسرى ليس هو الأصل، إنما هو آية وبشارة استثنائية، لكن جل الوعود القرآنية والنبوية تأتي بصيغة الإطلاق الزماني والعيني، مثال ذلك وعده لخباب بن الأرت بتمام هذا الأمر، لم يذكر له متى يتم الله هذا الأمر، لكنه سيتم، ولقد صدّق خباب وصدّق المؤمنون، ودائما ما كانوا يصدقون حتى في أحلك الظروف وأقسى اللحظات، لقد كان شعارهم دوما كشعارهم يوم رأوا الأحزاب وزلزلوا زلزالا شديدا، فقالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).. إنه يقين لا يهتز في زلزال البلاء، وتصديق لا يرتجف بين رياح الأنواء، وتسليم لا يذوب في أتون المعارك ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس:٥٣)، عقيدة ثابتة لا تتغير ولا تتلون ولا تتبدل بتبدل الظروف والمؤثرات، وفارق من أعظم الفوارق بين المؤمن الصادق والمنافق الكاذب، فهذا الأخير لا يصدق إلا ما تلمسه يداه ولا يوقن إلا بما يراه، لذا تجده متربصا، إن جاءت الريح في مصلحته ركبها، وأمعن في الانتفاع منها، وإن جاءت بما لا تشتهي سفنه شكك وكذب، وكان لسان حاله ومقاله كمن قالوا يوم الأحزاب: ﴿...مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢).

أما المؤمن فاعتقاده بمعزل عن مصلحته العاجلة، ويقينه منفصل عن أهوائه وشهواته الآنية، وحيث إنه لا ارتباط بين المتغيرات وبين ما يصدقه، لذلك تجد منحنى اليقين والتصديق والأمل لديه ثابت، سواء رأى أو لم ير ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: ٤٠).

الاحتمالان قائمان إذن.. أن ترى.. أو لا تعيش لترى، لكن التصديق ليس خاضعا للاحتمال، وقد وُعدت خديجة بين المؤمنين، لكنها ماتت في الشِّعب ولم تشهد أي فتح أو نصر، ومات مصعب وحمزة في أُحُد دون أن يريا تمكينا أو فتحا لمكة، ومع ذلك ظل اليقين وظل العمل والثبات والتصديق بموعود الله حتى إدراكه أو الممات، وهكذا تُعامل الوعود الربانية.. يقين وتصديق بغير اشتراط أو تكلف تعيين، وهذا اليقين هو الذين يهون به الله على المرء مصائب الحياة، ويعينه على تقلبات الأحداث، ويعطيه الرصيد النفسي الذي يدفعه لإكمال الطريق دون استعجال الثمرة أو التململ أثناء طريقها.. تأمل حال نوح عليه السلام.. ألف سنة إلا خمسين عامًا يتعرض للسخرية والإهانة والتكذيب، ومع ذلك يكمل دون تململ أو تأفف أو استعجال.. إنه اليقين والتصديق، وكذا حال إخوانه الأنبياء..

إن من الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه إلا رجل أو رجلان، ومنهم من يأتي ليس معه أحد، ومع ذلك فالتصديق كما هو، واليقين ثابت، والعمل مستمر.. اليقين هو الذي يعين المرء على كل عمل من أعمال الدين، لأنه يثق أن هناك ثمرة إن لم يدركها في الدنيا فسيدركها غيره، وسيدرك هو ثمرة الآخرة وهي خير وأبقى من هنا.. إن قامت القيامة وفي يده فسيلة فسيغرسها.. لن يرى ثمرتها، ولكنه سيغرسها، لأنه مصدق موقن أن هنالك وعدًا، وأن وعد الله حق، وأنه لا يخلف الله وعده، وهكذا في وعود نصر الأمة وتمكينها، بشرط ألا يتقول المرء على الله، ألا يحدد ويشترط أو يسمي أجلا لم يُسمَّ، وألا يستعجل، فالميعاد غيب مطلق لا يعلمه إلا الله، بينما الوعد حق قطعي وقول إلهي، ومن أصدق من الله قيلا، واليقين في هذا الحق والثقة في هذا القول عقيدة ثابتة راسخة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧).

أما فيمن يتحقق الوعد، ومن يستحقون تلك البشرى، فلذلك مقام آخر لعلنا نكمله في المقال المقبل إن يسر الله لنا وأذن.

شبكة ملتقى الخطباء

التحرير

تمر الأمة اليوم بمنعطفات تاريخية؛ حيث ارتقت وسائل الإفساد، وتنوعت طرق الإغراء والإغواء، وتعاظمت الفتن في الشهوات والشبهات، وأضحت التربية مخترقة يشترك فيها المصلح والمفسد، ويتعاظم نفوذ الوسائل المفسدة حتى تصحب الإنسان في هاتفه، وحاسوبه، وشاشة تلفازه، وكان المد هائلًا.

وفي خضم التخطيط الدقيق للإفساد تفتقر قطاعات عريضة في الأمة إلى تخطيط دقيق بعيد المدى للإصلاح ومقارعة الفساد التربوي والأخلاقي الذي يجتال المجتمعات الإسلامية، ومن ضمن هذه القطاعات خطبة الجمعة ورسالة المسجد التي هي الرسالة التربوية الأولى، فلا زالت الخطبة على نسقها السابق دون تطوير أو تنويع مواكب للتحدي العظيم.

وبناء على هذه المعطيات، وشعورًا بالمسؤولية في هذا المنعطف التاريخي، وحيث لم ير لخدمة هذه الشعيرة مشروع متكامل يفردها بالخدمة، ويشمل العناصر الفاعلة فيها من حيث الخطبة والخطيب والمادة العلمية، جاءت فكرة: (شبكة ملتقى الخطباء)، حاملة رسالة: (تجديد خطبة الجمعة، وتفعيل أثرها في حياة المسلمين).

أسباب إنشاء المشروع:

وقد دعا إلى هذا المشروع دواع عدة، كان من أبرزها:

١- مكانة خطبة الجمعة في دين الإسلام، حيث تتبوأ مكانة عالية، فهي شعيرة تتكرر في كل أسبوع، وتقام في كل قطر يقع فيه المسلمون، ويحضرها المقصرون في صلوات الأسبوع كلها، وهم ملزمون ديانة بالاستماع لها، والإنصات لما يلقى فيها، والكف عن الكلام في أثنائها، حتى عن نصيحة الغير، ويلمح من هذه الخصائص الشرعية مكانة هذه الشعيرة، وكونها من ركائز الإصلاح وضرورة اعتناء الأمة بها، وتضافر الجهود في خدمتها.

٢- لم يوقف على مشروع عالمي متكامل يعتني باستغلال هذه الشعيرة وتوظيفها في الإصلاح بطريقة مدروسة ومعتنى بها، مع أهمية هذا المشروع، وكونه أشبه بفروض الأعيان على الأمة، مما حفز إلى المبادرة بالقيام بهذه الفريضة والمسارعة بالاعتناء بها.

٣- ثبت أن كثيرًا من خطباء العالم الإسلامي يستخدمون التقنية الحديثة والشبكة العالمية في

إعدادهم لخطبهم، والأجيال القادمة من الخطباء مرشحة للتعامل الأوسع مع الشبكة العالمية، وهذا يؤيد فكرة استغلال هذه الوسيلة في الإصلاح، ويسهل مهمة استقطاب أكبر عدد ممكن من المستفيدين والمؤثرين.

٤- لا يوجد على الشبكة العالمية موقع متخصص في خطبة الجمعة، إلا موقع وحيد هو موقع: (المنبر) وهو موقع رائد وسابق لغيره في هذا المجال يستحق أن يقال فيه ما قاله ابن مالك في ألفيته:

وهو بسبق حائز تفضيلًا
مستوجب ثنائي الجميلا

ولا شك أن شعيرة بمنزلة خطبة الجمعة تستحق أكثر من موقع.

وطريقة موقع (المنبر) تقتصر على الخطب التي يستقبلها من المرسلين، فمشروعهم انعكاس لمستوى الخطباء، وصورة لنتاجهم، وملتقى الخطباء بحاجة إلى العمل في صعيد مواز، وهو الارتقاء والتوجيه والتخطيط والإعداد للخطباء، وهذا ما يركز عليه، فهو يعمل على تلمس حاجات المجتمع، ومواضع الضعف عند الخطباء، ثم إفرادها بالخطب، والملفات.

٥- لم يقف موقع ملتقى الخطباء على جهة تعتني بدراسات التخطيط الاستراتيجي للخطاب الدعوي، وفي الوقت ذاته يرى القائمون عليه تقصير الكثير من الخطباء في التخطيط الطويل للخطبة، وحسن الارتقاء بها وبالمستهدفين بها، مع أن المجتمعات والتحديات التي يعالجها الخطباء في الوقت الحاضر لم تعد بالبساطة التي كانت عليه في السابق، والمشروع الذي يضطلع به الملتقى في محور (استراتيجية الخطيب) يأخذ على عاتقه بث الفكر التخطيطي، ويقوم بتحديد الأولويات الاستراتيجية للخطباء، ويخدمها بالملفات والخطب التي يعدها.

٦- من خلال التأمل في المشاريع الدعوية، والتعامل مع الشبكة العالمية لم يجد الملتقى مشروعًا تفاعليًا للخطباء يكون بمثابة الرابطة لهم، يكتبون فيه أفكارهم، ويتشاورون فيه في نوازلهم، ويعرضون فيه خطبهم عند النوازل، وإنشاء شبكة ملتقى الخطباء في زاوية (الملتقيات) يهدف إلى تكوين هذه الرابطة، ويوفر هذه الخدمة.

٧- مشروع الملتقى من المشاريع الاستراتيجية الهامة من حيث نفاذ التأثير، وعدد المستفيدين، فإن الموقع يوجه خطابه من حيث الأساس للخطباء لأنهم يملكون منبرًا إعلاميًا من أعظم منابر التأثير في المجتمعات الإسلامية، ألا وهو منبر الجمعة. ومن وراء هؤلاء الخطباء جماهير غفيرة من عموم الأمة، ومن هنا يستطيع إيصال رسالته إلى أعداد كبيرة ربما تفوق ما يتصور ابتداء.

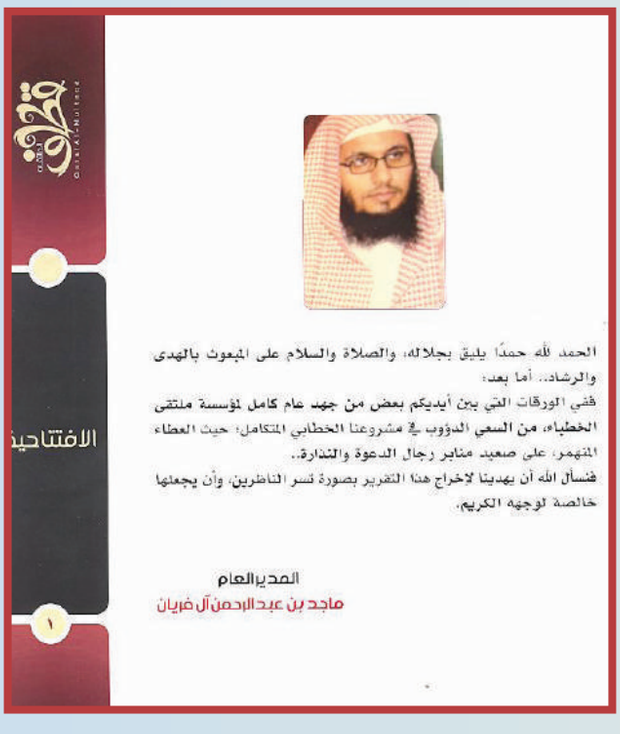

أهداف المشروع:

يمكن تلخيصها في ثلاثة أهداف كبرى، يندرج تحت كل منها أهداف أصغر منها، وسياسات وإجراءات مختلفة ترمي إلى تحقيق هذه الأهداف وتفعيلها.

والأهداف الكبرى هي:

الهدف الأول: توحيد الجهود الخادمة لخطبة الجمعة.

الهدف الثاني: الارتقاء بالخطاب الدعوي، والإصلاحي.

الهدف الثالث: تطوير مستوى الخطباء علميًا ومهاريًا.

د.سعد الحلواني أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر:

صراع الحضارات أصله عقائدي وفروعه دنيوية!

محمد حبيب
القاهرة- دار الإعلام العربية

أكد د.سعد الحلواني أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر وعضو اتحاد المؤرخين العرب أن الصراع بين المسلمين والآخر صراع قائم وممتد ومستمر.. وأوضح في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الدولة الإسلامية في بواكيرها ظلت قوية متماسكة فتية، ولم يصبها الضعف والتخاذل إلا بعد أن ذاق المسلمون في العصور التالية رغد العيش والحياة المترفة.. إلى التفاصيل.

● نموج في عصر تكتنفه الضغائن والصراعات.. فإلى أي مدى استطاع التاريخ الإسلامي أن ينتصر لفكرة التعايش مع الآخر ومدى إسقاط ذلك على واقعنا المعاصر؟

– التاريخ الإسلامي يبدأ منذ بزوغ فجر الإسلام، وفي تلك الأثناء كانت معظم شعوب العالم تتعامل إزاء منظومة الفكر الغربي وبحكم من يستطيع أن يستولي على خيرات الشعوب الأخرى ويستعمرها، ويحتلها، فكان له أن يفعل، وكانت تلك الآلية هي السائدة آنذاك، لكن عندما جاء المسلمون استطاعوا أن ينظموا بنيان دولة متكاملة تتعامل بشريعة ربانية ذات معالم إنسانية، وبدأ المسلمون في فترة وجيزة جدا يبسطون سلطان الإسلام على نصف أرجاء المعمورة في آسيا، إفريقيا، أوروبا، ولم تتعد هذه الفترة ١٥٠ عاما تقريبا، واستطاعوا أن يروجوا لثقافاتهم، ويرسخوا عاداتهم وتقاليدهم في جميع مناطق حكمهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح للمسلمين تاريخ عريق وحضارة باذخة، على الرغم من تخلل هذا التاريخ كثير من فترات الفتن والمآسي والمعارك والإخفاقات، فهذه سنة بشرية، فالبشرية إنما خلقت على التفاوت والاختلاف، والتاريخ الإسلامي في ميزان المقاييس البشرية يعد تاريخا حافلا وسويا، ولكل منا فهمه واجتهاده وتصوراته للأحداث وللشريعة نفسها، وكل يفهم حسب ما أعطاه الله من علم وذكاء ودهاء، لذا فقد كان طبيعيا أن يكون هناك اختلاف بين هؤلاء وهؤلاء، وفي كل المواقف التاريخية التي جمعت المسلمين مع المسيحيين أو اليهود انتصرت الشريعة الإسلامية لمبدأ التعايش معهم، وحفظ كامل حقوقهم دون مزايدة أو تدليس.

● إذن.. كيف يرد الإسلام على ما يوجه إليه من مزاعم انتشاره بحد السيف؟

– هذا الكلام مخالف لكل النصوص التاريخية، ما يحدث يندرج تحت إطار أن المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ كانوا يبعثون برسائلهم إلى قيادات الأمم من الأباطرة والحكام، وكانت تلك الرسائل تحمل دعوات وبشريات التوحيد إلى شعوبهم، دون أدنى إجبار لأحد على اعتناق الإسلام، وحين رفض هؤلاء الأباطرة والحكام توصيل رسالة المسلمين إلى شعوبهم بطريقة سلمية، هنا كان لابد من وقفة للمسلمين من أجل توصيل رسالتهم لهذه الشعوب، حينئذ بدأ المسلمون في التحرك العسكري من خلال الجيوش والإصرار على توصيل رسالتهم، كما أن الجهاد لا يكون في الإسلام إلا لدرء العدوان والاعتداء على بلاد المسلمين.

البشرية خلقت على التفاوت والاختلاف.. وتاريخنا الإسلامي حافل بالإنجازات

● وماذا عن فكرة الغزو الإسلامي لفتح دول ومناطق بعينها لتمكين الإسلام من دخولها؟

– لم تحدث فكرة الغزو إلا من أجل الدفاع عن البلدان الإسلامية والعقيدة الإسلامية فقط، وهذا ما حدث خلال الفترات الأولى لصدر الإسلام في عهد الخلفاء والدولة الأموية والعباسية.

● وما موقف الشريعة الإسلامية من التعددية؟

– الشرع يدعم فكرة الأمة الواحدة غير المتفرقة وغير المنقسمة على نفسها قولا واحدا، لكنه ترك الفرصة للبشر أن يتفكروا، ويتدبروا، هذا التدبر خلق أفكارا متنوعة ومتعددة، فقد جاء الإسلام بالقرآن، وقد فسره الرسول محمد ﷺ في ضوء منهج التيسير على أمته لا في ضوء التشديد، حتى حين كانوا يسألونه ﷺ في مناسك الحج مثلا كان يقول: افعل ولا حرج، افعل ولا حرج، وقد بدأت هذه الخلافات تضرب بجذورها في التاريخ الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ وقدوم الخلفاء الراشدين، فالعقول مختلفة والتفكير غير متشابه، فبعض العلماء كان متشددا والبعض كان لينا رفيقا؛ اقتداء بالرسول ﷺ في ذلك، وهذه هي الحضارة الإسلامية التي تعطي للمسلمين مساحة للتفكر والإبداع وإعمال العقل بدلا من تحجره، ومن هنا كان انطلاق قضية فهم الكون والطبيعة وقضية الخلق.

● وماذا عن أحلك الفترات في التاريخ الإسلامي؟

– كان هناك العديد من الأحداث التي أثرت على تفوق المسلمين بعد ذلك، وكان لها الأثر السلبي في تقدمهم لسنوات طويلة بلغ مئات السنين، وأول هذه الأحداث هو الخلاف القائم آنذاك بين أم المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وعندما طعن عثمان وتولى علي بن أبي طالب الخلافة نصحه مستشاروه بأن يعزل كل الولاة في كل الإمارات الإسلامية، فعندما أصدر قرارا بعزلهم انصاعوا جميعهم طاعة للقرار، إلا معاوية بن أبي سفيان الذي كان يحكم بلاد الشام، فأرسل إلى علي أنه لن يطيعه في العزل إلا بعد أن يأتي له بقتلة خاله عثمان رضي الله عنه، فقامت الحرب بين جيش من قبل علي قاده عبيدة بن الجراح وجيش من قبل معاوية قاده عمرو بن العاص، فانتصر جيش علي، وكانت هذه الأحداث هي البداية الحقيقية لظهور الشيعة في معركة صفين عندما تشيع الناس لعلي في مواجهة الخوارج الذين خرجوا عليه، وشيعة علي، أي مناصروه أو مؤيدوه، والخوارج هم من خرجوا عليه، ثم ظهر بعدها ما يعرف بالمعتزلة، ومن هنا كانت البداية الحقيقية لظهور الفرق وتفتيت عضد المسلمين.

● هذا عن موقف التشريع الإسلامي فماذا عن موقف التاريخ؟

– هذا سؤال رائع، كثير من المؤرخين أيدوا عليا في موقفه؛ لأنه كان أمير المؤمنين وطاعته واجبة لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(النساء:٥٩).

فمن هذا المنطلق كان علماء التاريخ ممن جاءوا بعد هؤلاء يميلون إلى موقف علي على حساب موقف معاوية، لكن هذا لا يمنع من أن هناك علماء آخرين رجحوا موقف معاوية على حساب علي وهم الأقل.

● هل يمكن اعتبار هذه الواقعة هي البداية الحقيقية؛ لتغيير المدار الإسلامي إلى منحى غير صحيح؟

– التاريخ لا يقاس بهذا الشكل، لكن لابد من أن نذكره بما حدث، وليس بما كان ينبغي أن يحدث، فنحن لا نستطيع عادة صياغة التاريخ مرة أخرى، ولكن ما يمكن أن نقوله أنها كانت بداية حقيقية لظهور الفتن والمصائب التي ألمت بالمسلمين وانقسامهم على أنفسهم بعد ذلك.

● وماذا عن أهم الفوارق الجوهرية بين الرعيل الأول من المسلمين صناع الحضارة الإسلامية، وبين من جاءوا بعدهم وأضاعوا بعض ملامحها؟

– الرعيل الأول من الحكام كانوا يقودون الجيوش الإسلامية الجهادية التي تدافع عن المسلمين وعن بلدانهم بأنفسهم، وكانت تعيش الدولة الإسلامية أزهى عصورها التوحدية، وأعطت للعالم نموذجا صارخا في كل مفاهيم العدل والإخاء والمساواة والكرامة وحقوق الإنسان والحيوان، وبعدما بدأ المسلمون يحصلون على رغد العيش والحياة المترفة، ويتنعمون بها، حينئذ ضعفت الدولة الإسلامية وجيوشها، وحل محلهم غيرهم من الجبابرة أمثال المجوس الذين جاءوا من قبائل منعدمة الحضارة والثقافة، واستطاعت أن تهجم على الدولة العباسية، وتدمرها.

● برأيك.. هل يدير الغرب ومن يواليه صراعا خفيا مستترا على الإسلام تحت زعم الحريات وحقوق الإنسان؟

– هذه حقيقة راسخة ومؤكدة لاشك فيها، ولدينا من قول الله تعالى ما يؤكد لنا ذلك: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾(البقرة:١٢٠).

وهذه قاعدة لا نقاش ولا جدال فيها، فالصراع بين الحضارات هو صراع ديني عقائدي في أصله، ينشأ عنه صراعات اقتصادية ودنيوية، ولا يمكن أن ينكر أحد هذه الجوانب، ولا عجب في ذلك، فقد أعلن الغرب عن هذا صراحة في أكثر من موقف، وقد تم طرد المسلمين من بلاد أوروبا، خاصة بلاد الأندلس، وتمت ملاحقة المسلمين ومحاصرتهم من خلال لجان للتفتيش كانت تترصدهم في كل موضع يصلون إليه فارين من اضطهاد الغرب لهم، ومن هنا كون أنصار الأندلس دولتين هما إسبانيا والبرتغال، ومن خلالهما بدأوا يهاجمون المسلمين في بلادهم.

● نعود إلى الجانب الأكاديمي.. ما أهم الضوابط التي يجب الالتزام بها عند كتابة التاريخ؟

- من يكتب التاريخ يجب أن يعتمد على مصادر صحيحة تتمثل فيمن يكون شريكا في الحدث التاريخي المتناول، إما أن يكون قريبا منها، أو سمع نصا ممن شاركوا في الحدث، ولابد للمؤرخ أن يكون عارفا وعالما بلغة الأمة التي يكتب عنها، ودارسا لبعض جوانب العلوم المساعدة لكتابة التاريخ، وملما إلماما كافيا بالوثائق المرتبطة بالحدث ومصادرها المختلفة، بالإضافة إلى ضرورة توافر صفة الحيدة والنزاهة لدى المؤرخ، وينقل بموضوعية متناهية ما تعرض له من متعلقات بالحدث.

● وما العراقيل التي يمكن أن تواجهها كتابة التاريخ بشكل عام؟

- العراقيل تتمثل في أن بعض ممن يكتبون التاريخ يكتبونه؛ رغبة ورهبة، فإما يرغبون في عطاءات الحكام أو أصحاب الحدث الذي يتناولونه، فيجاملون، ويحابون، ويسوغون الحدث على هذه الشاكلة، فلا يتم مراعاة الضوابط السالف ذكرها؛ لتتوافر المصداقية الكافية، وذلك تملقا لأصحاب هذه الأحداث، إما طمعا في مال أو جاه أو سلطان، وهناك من يكتبونه رهبة من الحكام، فهم يعرفون الحقيقة السلبية عن الحكام وعن أصحاب الأحداث، ولا يستطيعون نقلها؛ خوفا من البطش والخسران المادي أو الأدبي، والأمانة المهنية لابد أن تسمو فوق أي اعتبار.

● إلى أي مدى تتطابق هذه المعايير مع صحة كتابة الحديث عن الرسول ﷺ من قبل البخاري ومسلم وكذا التفسير القرآني؟

- مازلت أقول: إن الدقة في كتابة

لم تضعف الدولة الإسلامية إلا بعد أن حصل المسلمون على رغد العيش والحياة المترفة

الحديث واعتمادها كانت كاملة ومتكاملة فيما نعلم، على عكس كتابة التاريخ تماما، كالذي صنعه الإمام الطبري، كان يكتب في مؤلفاته روايتين متعارضتين ومتناقضتين في نفس الصفحة، وهو بذلك قد ترك للباحثين الأكاديميين الذين جاءوا بعده بسبعمائة سنة أن يتخذوا موقفا تحليليا إزاءها لترجيح إحداهما على الأخرى، والحديث لم يجمع في حياة الرسول ﷺ؛ لأنه نهى أصحابه عن كتابته، خشية أن يختلط بآيات القرآن الكريم، فلم تكتب سوى كتابات بسيطة جدا، ولم يجمع الحديث إلا في عهود تالية للصحابة، ابتداء من عهد مالك بن أنس، ولم يجمع سوى أحاديث قليلة، ثم جاء بعده البخاري، ولما كثر الرواة بتعاقب الأزمنة بدأ علماء الحديث ينقبون عن تاريخ هؤلاء الرواة؛ ليفتشوا في سيرتهم ليعلموا من الصادق منهم، ومن ليس أهلا للنقل عن الرسول ﷺ؛ ليستبعدوا ما نقله من حديث برمته، ووفقا لمثل هذه المعايير لم يعترف ويكتب البخاري سوى بأربعة آلاف حديث من بين أربعين ألفا، ولقد جمعت الأحاديث من خلال الرواة من الصحابة الذين سمعوا مباشرة من الرسول ﷺ وهو يتحدث بها، أو نقلت عنه، ولم ينطقها لأنه -مثلا- إذا ذكر الصحابي أن الرسول ﷺ قد سكت عن أمر ما فيعد ذلك حديثا، وإذا قيل إنه كان يفعل كذا أو كذا على الرغم من أنه لم يتحدث فيعد ذلك حديثا، فعندما كثر الرواة، وبعد موت الصحابة رضي الله عنهم، كان السؤال: كيف نأتي بالأحاديث وهي ليست مكتوبة؟، وفئة قليلة من الصحابة هم الذين كانوا يحفظون القرآن، فلما جاءت حروب الردة، واستشهد فيها قرابة الأربعين صحابيا من حفظة القرآن، وخشية اندثار القرآن بموتهم، قام من هم على قيد الحياة آنذاك بنسخ نسخة وضعت عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ثم تركت عند عثمان بن عفان، ثم بعد ذلك بدأ المسلمون في نسخ القرآن بشكل أو بآخر.

بطاقة شخصية

د.سعد بدير سعد الحلواني، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الأزهر بمصر والملك خالد والملك سعود بالمملكة العربية السعودية، وكلية التربية بصلالة عمان.

عضو باتحاد المؤرخين العرب والجمعية المصرية للدراسات التاريخية واتحاد الآثاريين العرب.

له العديد من المؤلفات والأبحاث، منها: التاريخ السعودي الحديث والمعاصر حتى نهاية القرن العشرين، العلاقات بين مصر والحجاز ونجد، تعمير مكة المكرمة، تعمير المدينة المنورة، حاضر العالم الإسلامي بالاشتراك مع د.محمد جمعان دادا الغامدي، القاهرة، البعثات العلمية السعودية إلى مصر، عهد الملك سعود في ضوء الوثائق السعودية.

التسامح في التصور الإسلامي

د. أمان قحيف
باحث أكاديمي

اقتضت طلاقة قدرة الله تبارك وتعالى أن يتحرك التاريخ الإنساني – في قضاياه الكبرى– وفق مراد الله عزّ وجلّ لا وفق مراد الإنسان ورغباته وتطلعاته، ولأن العقل البشري عاجزٌ بطبيعته وتكوينه عن الوقوف على حكمة الله تبارك وتعالى في كل شيء، فقد لا يتعجب المرء من شيء قدر تعجبه من أحداث الدنيا ومسيرة التاريخ، وكم هي عجيبة تقلبات الحياة وتحولاتها إذا نظرنا إليها من خلال زوايا رؤيتنا البشرية المحدودة، بقدراتنا الذهنية وإدراكاتنا العقلية، وليس من المنتظر أو المتوقع أن تأتي تلكم التقلبات والتحولات وفق المنطق الإنساني والتفكير البشري القائم على أسس المعرفة الإنسانية وحساباتها بشكل دائم ومستمر، وإلا ما كانت تقلبات أو تحولات بل تكون –عندئذ– تطورات طبيعية، ومسيرة حياتية، وحركة آلية للتاريخ انبثقت من تفاعلات اجتماعية مدروسة، وسلوكيات إنسانية معلومة ومفهومة ومتحقق من ديمومتها، وصيرورتها، وأهدافها، وغاياتها، يبدو أن الواقع يؤكد أنه كثيرًا ما تفاجئنا الأحداث بما لا نتوقعه، وتداهمنا الظروف بما لم نحسب حسابه، أو نستشرف قدومه بحال من الأحوال.

والحق أن دراسة مسار الحضارات وتاريخ الأمم تكشف لنا النقاب عن وقوع العديد والعديد من التحولات الطارئة والتقلبات المفاجئة في حركية المجتمعات وتفاعلاتها، حتى ليكاد المرء يخال أن المفاجآت التاريخية هي من سنن الله تبارك وتعالى التي لا تجد لها تبديلًا ولا تجد لها تحويلًا: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ (فاطر: ٤٣)، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ (الأحزاب: ٦٢).

وكثيرًا ما يظن صاحب الحق أن أحداث التاريخ قد سارت أو تحركت وفق مراد خصومه أو منافسيه، فيتألم لذلك أشد التألم ويحزن لذلك أشد الحزن، وربما يكره الظروف والأحداث التي جاءت – بحسب ظنه – مخالفة لرؤاه وتصوراته وتطلعاته وحقوقه ومستحقاته، وربما يجزم بأنها تعاطفت مع خصومه أو منافسيه.

التمسك بالرأي

ولنا أن ندرك أن أحداث الدنيا وتحركات التاريخ لن تأتي دائمًا وفق هوانا، أو متطابقة مع تطلعاتنا.. بالتالي فهي غير مضمونة المسار وغير معروفة التوجه، وإلا ما سميت تقلبات وتحولات مفاجئة وغير منطقية بحسب التفكير الإنساني، بينما الواقع أن لها قانونها الذي يرجع في الأصل إلى إرادة الله الذي قد تغيب عنا حكمته في تلك الأحداث لبعض الوقت الذي قد يطول وقد يقصر.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما أفضل كيفية يمكن للمرء أن يتعامل بها مع مثل تلك المواقف والأحداث؟ هل يجب أن يتمسك برأيه ورؤيته ويصرّ على أنها الأصح والأصوب طوال الوقت؟ وبالتالي يتشدد لوجهة نظره وموقفه زاعمًا أنه على صواب

والآخرين على خطأ؟ أم يجب أن يتحلى بالتسامح ويقدر الظرف الذي يمر به الآخر، والصعوبات التي تواجهه، والضغوط التي تمارس عليه من هنا وهناك وبالتالي يلتمس له العذر؟

قد يكون من المتوافق عليه أن من حق كل طرف أن يحافظ على حقوقه ويتمسك بالدفاع عنها والذب عن حماها ما استطاع إلى ذلك من سبيل بالطرق الشرعية والمشروعة التي لا تدينه ولا تجعله يتجاوز الحد المسموح به دينيًا وقانونيًا وأخلاقيًا.. إن الدفاع عن الحق أمر مكفول للجميع لا مرية في ذلك ولا شك، لأن الدفاع عن الحق هو السبيل الوحيد إلى استعادته والمحافظة عليه؛ لذلك قيل: لا يضيع حق وراءه مطالب، غير أن هذا الدفاع له سبله وضوابطه التي لا يجب تجاوزها بأية حال من الأحوال، أو أية صورة من الصور، لأن الخروج عن تلكم الضوابط أو تجاوزها يؤدي إلى ضياع هذا الحق، أو على الأقل يعطي للآخرين مبررًا لرفضه أو الاجتراء عليه، مستغلين في ذلك حياد صاحب الحق عن المنهج القويم في المطالبة بحقه عند محاولته استرداد ما هو له.

آلية التوافق

وإذا كان من حق المرء أن يدافع عن حقه ومطالبه فإن الأمر يقتضي الوعي بالمدى الذي يمكن أن يصل إليه هذا الدفاع كي لا تتطور الأمور والأحداث إلى مراحل أو أشكال يكون من شأنها إحداث ضرر أكبر - من حيث القيمة والمقدار - من الحق المطلوب إرجاعه أو الهدف المطلوب الوصول إليه.

وأيًا ما كان الأمر فإن ثمة آلية قد وضعها الدين الإسلامي الحنيف للوصول إلى درجة من التوافق المجتمعي، وجعلها أداة لرفع التناقضات وفض الاشتباكات بين المجتمعات والأفراد والأمم.. ولقد جعل الإسلام تلك الآلية من قيمه العليا ومبادئه الأخلاقية السامية.. إنها «العفو والصفح والتسامح».

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في أكثر من موضع، نذكر منها أن الله عز وجل امتدح المتسامحين واعتبرهم من المخلصين لدينهم وعقيدتهم، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).. من ثم فأهل العفو والتسامح في الإسلام هم من أهل الإحسان الذين يحبهم الله عز وجل، ومن أحبه الله تعالى أكرم نزله، وأحسن مثواه، وأنزله منازل أهل البر والتقوى.. وورد في القرآن الكريم أيضًا قول ربنا سبحانه وتعالى في حض المؤمنين على العفو والتسامح: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).. وحتى أولئك الذين خانوا ولم يدركوا جوهر العقيدة وقصروا في أداء ما عليهم من واجبات تجد القرآن الكريم يوصي النبي ﷺ ومن بعده المسلمين جميعًا بالصفح عنهم وعدم الإصرار على معاقبتهم أو الانتقام منهم، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).. ثم إن الله تبارك وتعالى يكرر الأمر لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو في موضع آخر حيث يقول له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ويزاد على ذلك أن الله عز وجل أكد على الأخذ بمبدأ العفو والصفح عمن أساء لنا، وربط بين التسامح والعفو من جهة، وبين مغفرته سبحانه وتعالى لذنوب عباده وسيئاتهم من جهة أخرى، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

هي دعوة إذن إلى اجتناب الانتقام وتقليد سلوك الآخرين في التطاول على الناس أو الإساءة إليهم.. ويتم هذا الأمر باجتناب السير وفق منهجهم أو التعامل وفق طريقتهم، وللمسلم أن يلجأ إلى العفو والتسامح - حتى وإن كان صاحب حق - سيما إذا كان هذا التسامح لن يؤثر على دينه وقيمه الإسلامية الرفيعة.. أما إن كان هذا العفو سيؤدي إلى ضياع بعض الحقوق الدنيوية والمكاسب الحياتية فإن الأمر يعد - من الوجهة الشرعية - هينًا ويمكن التغاضي عنه سيما إذا أدركنا أن الدنيا برمتها لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، ولو كانت تساوي ذلك ما سقى الكافر منها شربة ماء. كما علمنا ذلك رسول الله ﷺ.

وقال ربنا سبحانه وتعالى في حض المؤمنين على العفو والتسامح، منبهًا إلى أن صاحب الحق الذي يعفو ويصفح لن يتركه الله تبارك وتعالى، ولن يتخلى عنه، لأن الله - عزّ وجل - من أسمائه «العدل»، لذلك فهو سبحانه وتعالى له تصاريفه في كونه التي قد تخفى علينا ولا ندركها، لأنها تتحرك وفق القانون الإلهي الرباني لا وفق قانون البشر المحدود بإمكاناتهم العقلية، قال تعالى فيما يشير إلى هذا المعنى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

وإذا كان القرآن الكريم قد حض المسلمين على العفو والصفح والتسامح فإنه أكد في ذات الوقت - وفي أكثر من موضع - أن الله تبارك وتعالى عفو غفور، ومن أسمائه الحسنى «العفو» و«الغفور»، يقول ربنا: ﴿إِنَّ

﴿ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٤٣)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(النساء: ٩٩).. وتلك مسألة من شأنها الأخذ بيد المسلمين جميعًا إلى الاتجاه صوب ممارسة العفو والصفح والتسامح مع الآخر حتى وإن تطاول وتجاوز حده. وإلا عن ماذا سيكون الصفح وعن أي شيء سيكون العفو؟

وهكذا تقوم فلسفة التسامح في الإسلام على ممارسة اللين مع من أساءوا، وممارسة العفو عمن أخطأوا؛ وذلك لأن في التسامح دلالة على سعة الأفق ورحابة الصدر، وفي العفو قدرة على ضبط الانفعالات الانتقامية.. وتلك مسائل وضعها الإسلام ضمن منظومته القيمية والأخلاقية.

من هنا نستطيع أن نقرر أن الإسلام حض المسلمين في كل مكان وزمان على اعتماد التسامح كمنهج وأسلوب ناجع في حل المشكلات ورفع التناقضات بين الجميع، وتلك هي شيمة كل الرسالات السماوية الكبرى، حيث يقف المرء في العهدين القديم والجديد على العديد من النصوص التي تؤكد على ضرورة الأخذ بمنهج العفو والصفح والتسامح وتبرز عظمة توجيهات الإسلام، غير أن عشاق التشدد وأصحاب الميول الإقصائية هم من ذهبوا إلى زعم أن الأديان لا تحض على التسامح والتآخي الإنساني، وزعموا أن بعضها يعمل على إقصاء بعضها الآخر، وما قالوا بذلك وما زعموه إلا ليجدوا تربة مناسبة لنشر فكرهم المادي وتياراتهم الإلحادية.. ومعلوم أن تلك الأمور لا تسود ولا تنتشر إلا في ظل غياب الدين الصحيح والتدين الوسطي المعتدل.

وثمة أهمية لأن نشير في هذا السياق إلى بعض العوامل التي من شأنها دفع الإنسان إلى ممارسة التسامح على مستوى الفكر والممارسة أو القول والعمل:

أولًا: الحرص على مرضاة الله تبارك وتعالى، فالله عز وجل قد حض على التسامح وحبب الناس فيه، بل أمرهم به من خلال العديد من الآيات القرآنية التي أشرنا إليها.. ونشير إلى أن الأحاديث النبوية أكثر من أن تحصى في هذا السياق، وسيرة رسول الله ﷺ نموذج يحتذى في العفو والصفح والتسامح مع الآخرين، والمعلوم أننا أمرنا بالتأسي به ﷺ في كل شيء، فهو القدوة الحسنة والمثل الطيب في السلوكيات للمسلمين جميعًا بل ولغير المسلمين من ذوي العقول الناضجة والبصائر المستنيرة.. قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

مراد الله

ثانيًا: الثقة في أن تحول الدهر وتبدل الزمن لا يحدث إلا وفق مراد الله تعالى، فلا يقع في كون الله إلا ما يريد، مع الثقة بأن لله تعالى في كل قضاء حكمة.. إن إدراك المسلم لهذا المعنى يجعله يتسامح ويعفو من دون إحساس بأنه قد سلب حقه أو نهب مستحقه.. فتصاريف الله في الكون تخضع لمشيئته ومراده سبحانه وتعالى، وليس بالضرورة أن يتوافق ذلك مع مرادات البشر ورغباتهم أو مشيئتهم.. وصدق قول من قال: أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد.

ثالثًا: الوعي بأن اللحظة الراهنة ليست آخر اللحظات، والفرصة المتاحة الآن ليست نهاية التاريخ، مع إدراك أن الزمن لن يتوقف على حادث معين، أو أن قوانين الوجود ستختل إذا تسامحنا، أو أن الكرة الأرضية ستكف عن الدوران، إذا تجاوزنا عن خطأ الآخرين.

ويجب أن يرتبط ذلك بالوعي بأن التعويض ممكن إذا توافرت أسبابه وعوامله – التي من أبرزها الإخلاص والاجتهاد – الأمر الذي من شأنه تخفيف حدة الألم عن النفس الإنسانية إذا ضاعت عليها فرصة أو أخفقت في تحقيق أهدافها ونجح غيرها في ذلك.

رابعًا: التعلم من التاريخ وقراءته بدقة ووعي وتأمل وتدبر، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾(الحشر: ٢)، وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ (إبراهيم: ٥).

خامسًا: الثقة بأن نتائج التسامح أفضل بكثير من النتائج التي تترتب على التشدد والتزمت وعدم المرونة.. إذ لم يثبت التاريخ عبر كل مراحله الطوال أن تغييب التسامح والصفح أتى بنتيجة إيجابية، بل كل المواقف التاريخية والحياتية تثبت عكس ذلك تمامًا.

سادسًا: إدراك أهمية الحوار: فالتسامح هو وليد التفاهم، الذي يؤدي بدوره إلى إيجاد حوار حضاري بين طرفي كل نزاع، والحوار هو آلة العقل الأولى في حل المشكلات وتقريب وجهات النظر، إذا ما قام على الموضوعية والحيادية وتخلص من آفاته المتمثلة في الجدل البيزنطي والتماحكات اللفظية.

العقل الراشد

سابعًا: الوعي بأن التسامح فعل إنساني صرف، فالإنسان أو التيار الفكري الذي ينتهج التسامح منهجا وطريقا في تعامله مع القضايا والأحداث هو تيار إنساني بامتياز، لأن التسامح صفة العقول الراقية والأذهان الناضجة، أما العقول الضيقة العاجزة عن الانفتاح فهي عقول أقل قدرة على ممارسة التسامح مع الآخرين، لأن العفو والصفح يمثلان الترجمة الحقيقية والفعلية لقبول الآخر والاقتناع بحقه في الحياة والوجود بجانب الأنا أو الذات.. وإذا اقتنع المرء بحق الآخر في الوجود فسيقتنع بالضرورة بحقه في أن يصيب ويخطأ.. وما دام الخطأ واردًا فإن العقل الرشيد يقول بضرورة ممارسة التسامح، وهذا بالضبط ما أراده الإسلام.

ثامنًا: توافر الجو العام الذي يحض على التسامح ويعرف للمتسامحين حقهم ونبل أخلاقهم.

المعلم القدوة

رشيد ناجي الحسن
باحث دراسات إسلامية

التعليم أسمى وظيفة يمكن أن يعمل بها إنسان، إن لم تكن هي الوظيفة الأهم على الإطلاق.

ومن يتصدى لهذه الوظيفة، أعني التعليم، لابد أن يكون نموذجًا مثاليًا فيما يظهر للمتعلمين. ويمكن توضيح هذا النموذج واختصاره في ثلاثة أركان، هذه الأركان هي: أولا: استيعاب المادة التي يدرسها. ثانيا: امتلاك وسائل الاتصال. ثالثا: صلاحيته لأن يكون قدوة.

إن المعلومات والقواعد التي يتلقاها الأبناء في محاضن التربية وأماكن التعليم، تبقى رسومًا جامدة لا حياة فيها ولا حراك، فإذا هيأ الله لها من ينفخ فيها روح التطبيق من أب أو أخ كبير، آتت ثمارها وظهرت آثارها، ورسخت في أذهان الطلاب وعقولهم رسوخ الجبال الراسية، وأما إذا كان المعلمون يبنون كل يوم لبنة . وهي للأسف ضعيفة . ثم يهدم المجتمع ألف لبنة بما يراه المتعلم عليهم من مخالفات لما تعلمه، فأنى لبنيان العلم يومًا أن يقوم ويرتفع؟ وكيف لصرح الأخلاق والآداب أن يصلب ويشتد.

وللمعلم أثر كبير في نفس الطالب، فهو يقوم مقام الأب في البيت.. بل قد يفوقه أثرًا لأن مادته العلم وهو غذاء الروح الذي يفوق غذاء الجسد الذي يقدمه الأب لأفراد أسرته.. ولذلك لا يفوق الأب المعلم في دوره إلا إذا كان يقدم لأبنائه الغذاء المادي للجسد والغذاء الروحي للنفس..

يقول مدرس لمادة التربية الإسلامية تعودت وضع الساعة في يدي اليمنى خلافا لعادة الناس في وضعها في اليد اليسرى، وذلك حتى تأخذ اليد اليسرى راحتها في الحركة عندما أكتب بها على السبورة، ولئلا ينشغل الطلاب بالنظر إلى الساعة أثناء الكتابة، فجاءني طالب بعد فترة من بداية العام الدراسي وقال: يا أستاذ جرى نقاش بيني وبين بعض الزملاء حول لبس الساعة في اليد اليمنى أو اليسرى، فقلت لهم: إن لبسها في اليد اليمنى هو السنة، وقالوا: ليس في ذلك سنة، بل تلبس في إحدى اليدين، فرددت عليهم: بأن أستاذنا يلبس الساعة في يده اليمنى اتباعا للسنة، ففوجئت باستدلاله بي في حجته على زملائه، ثم ابتسمت وبينت له سبب لبسي لها في اليد اليمنى، ثم سألته مداعبا له: الرسول ﷺ لبس الساعة في اليد اليمنى أم اليسرى؟ ففكر ثم ابتسم وانصرف.

علمًا أن قاعدة الشرع كما ذكر الإمام النووي - رحمه الله - أن ما كان من باب التكريم والتزيين استحب فيه التيامن، وما كان بضد ذلك استحب فيه التياسر.

فهل أدركت أيها المربي الفاضل إلى أي درجة أنت تحت مجهر أعين الطلاب، بل وربما سائر أفراد المجتمع.

إنه ما لم يكن هناك توافق بين العلم والعمل، وتناغم بين التنظير والتطبيق، وبيئة داخل المدرسة وخارجها يتهيأ للمتعلم فيها شواهد حية على إمكانية تحقق ما تعلمه واقعًا ملموسًا، فلن يزيدنا التعلم حينئذ إلا مقتًا لأنفسنا، وشاهد ذلك في كتاب ربنا، حيث يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾. (الصف: ٢- ٣).

وحين يكون المعلم هو أول الهادمين، بما يلحظه طلابه من فرق بين ما يقوله في المدرسة وما يعمله خارجها، وبما يرونه من مفارقات بين أوامره المثالية معلما في الفصل، وتصرفاته المغايرة مواطنا يمشي في الشارع أو في السوق، وكأنه لا يعرف مما كان يلقيه في دروسه شيئًا، فتلك هي أكبر خطيئة يرتكبها في حق مجتمعه، وأعظم ذنب يقترفه ويهون على طلابه اقترافه:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدًا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى
بالعلم منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

أساتذتنا من القرون المفضلة خرجوا إلى الشعوب الإسلامية في إندونيسيا وماليزيا فبلغوا دعوة الله بأعمالهم قبل أقوالهم، لذا فإنا ندعوك أيها المعلم الفاضل في هذا العام الدراسي إلى أن تقدم للشبيبة المسلمة علمًا نافعًا، وعملا صالحًا ورسالة خالدة، وكلاما مؤثرا، وأن تتقي الله عز وجل في هذا النشء، الذي ينتظر منك النصح.. إنهم عطشى أمامك، فاسكب على قلوبهم من فيض حنانك وودك ما يكون بإذن الله بلسمًا شافيًا.

إنك تبني عقولا ورجالا لخدمة المجتمع، تستطيع أن تؤثر في طلابك بما يخدم المجتمع في شتى المجالات بتعليمهم كيف يستفيدون من أوقاتهم.

التعليم.. بوابتنا للنهضة

السنوسي محمد السنوسي
باحث مصري

الحديث عن التعليم وهمومه والآمال المعلقة عليه، حديث له مذاق خاص، إذ هو لا يتعلق فقط بالحاضر بل بالمستقبل أيضًا، فمن ينخرطون اليوم في العملية التعليمية من الأجيال الناشئة هم من سيتولون دفة الأمور في المستقبل القريب.

وغني عن البيان أننا بقدر ما نحسن تشكيل هؤلاء الشباب وصقلهم وإمداداهم بالخبرات اللازمة، فإن المستقبل سيكون أكثر نضجًا وثراءً وإشراقًا.

وموضوع «التعليم والأمة الإسلامية» هو موضوع متعدد الزوايا، ومتشعب الإشكاليات.. ولذلك سأكتفي بإلقاء الضوء على بعض هذه الإشكاليات التي أراها مهمة وضرورية في هذا الملف الحيوي.

التعليم والتربية

معظم الوزارات التي تتولى أمر التعليم في دولنا تسمى «وزارة التربية والتعليم»، وهذا أمر محمود بلا شك، إذ جمع العنوان بين أمرين مهمين، وقدم التربية على التعليم. لكننا نلاحظ- للأسف- أنه قد حضر التعليم وغابت التربية! بمعنى أنه تم التركيز بشكل أساسي على «التعليم»، طبعًا بمفهومه القاصر، وهو حشو الذهن بالمعلومات وتلقين الطالب وتعويده على الحفظ، وكأننا في سباق لملء العقول كميًا لا كيفيًا.

بينما يتم تجاهل «التربية»، ولا نعمل بالقدر الكافي على أن تتحول هذه المعلومات إلى قيم ومفاهيم راسخة عند الطالب، مما ينعكس إيجابًا على سلوكه وأخلاقه، وعلى طريقة فهمه لدوره في وطنه، وفي الحياة بشكل عام.

الإنسان في معادلة «تعليم بلا تربية» هو أشبه بالآلة الصماء، لا روح فيها ولا إحساس لها، وبالتالي لا تنتظر منه دورًا فاعلًا في الحياة!

بل الأخطر من ذلك، أن يتحول العلم في هذه الحالة إلى وسيلة دمار وشقاء، بدل أن يكون سببًا للنفع والسعادة، فالتربية الراسخة في الإنسان هي التي تحول بينه وبين الاستخدامات الضارة للعلم.

التعليم والأهداف الثلاثة

ويرتبط بالنقطة السابقة أن العملية التعليمية لها أهداف ثلاثة، يحرص المدرسون على ذكرها في «دفتر التحضير» مع كل درس.. وهذه الأهداف هي: الهدف المعرفي، والهدف المهاري، والهدف الوجداني.

فالهدف المعرفي هو أن يلم الطالب بعناصر ومفردات الموضوع ويستوعبها جيدًا، والهدف المهاري هو أن يتعلم ويتقن المهارات المرتبطة به، أما الهدف الوجداني فهو أن يستشعر الطالب أهمية الموضوع، ويتحلى بالقيم التي يعكسها.

هذا الثلاثي الذهبي (المعرفة، المهارة، الوجدان) لو أنه تحقق في تعليمنا بالشكل المطلوب، لرأينا أجيالنا الناشئة خلقًا آخر، ولكنا بحق أمام إنسان متكامل الجوانب والأركان.

أما نتيجة الانفصام الذي حدث بين أركان هذا المثلث الذهبي فهي ما نراه ونعانيه من أجيال تحفظ ولا تفهم، وتعرف ولا تطبق- فضلا عن أن تخترع وتبدع- وتُحشى بالمعلومات دون أن تتطبع على أخلاقها وسلوكها!

إن وقوفنا عند الهدف الأول- وهو الهدف المعرفي- جعل أمتنا تتخلف عن ركب الحضارة، وتنحبس مسيرتها وتطورها بين سطور الكتب، ولا تحسن أن تحول المعارف النظرية إلى تكنولوجيا واختراعات، وهذا بخلاف الحضارة الغربية التي استفادت مطلع عصر نهضتها من حضارتنا التي كانت حينئذ في مرحلة أفول، وتجمد فيها العلم وانحبس بين السطور، وحدثت قطيعة بين المعرفة والعلوم من جهة، والواقع المزري من جهة أخرى، حتى بدا واقعنا كأنه لم يذق طعم الحضارة والمدنية يومًا ما!

فقد ذكر المؤرخ المصري «الجبرتي» في تاريخه أن والده «الجبرتي الكبير» كان عالمًا ملمًا بأنواع كثيرة من العلوم والمعارف والصناعات، وأنه «حضر إليه طلاب من الإفرنج، وقرأوا عليه علم الهندسة، وذلك في سنة (١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م) وأهدوا إليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها العلم من ذلك الوقت، وأخرجوه من القوة إلى الفعل، واستخرجوا به الصنائع البديعة، مثل: طواحين الهواء، وجر الأثقال، واستنباط المياه، وغير ذلك»(١).

فطلائع المستشرقين حين كانوا يجوبون بلادنا بحثًا عن المخطوطات النفيسة، وعن العلم المبثوث في صدور نفر قليل من العلماء، جمعوا ذلك كله وحولوه من «القوة إلى الفعل»- بعبارة الجبرتي- أي من المعرفة إلى التكنولوجيا، وهذا هو سر تطور الحضارة، فالمعرفة النظرية وحدها لا تقيم بنيانًا، ولا تشيد حضارة.

كما أنه حين غاب الهدف الثالث- وهو الهدف الوجداني- عن عمليتنا التعليمية، صار عقل الطالب كأنه آلة تسجيل، لا يعيش ما يتعلمه، ولا ينفعل به ومعه! حتى طريقتنا في تدريس العلوم الدينية، صارت طريقة جافة، تخاطب العقل والذاكرة لا الروح والقلب، ولا تغرس في الشباب معاني الإسلام وقيمه، ولا تصلهم بتراثهم وحضارتهم، بحيث يذوبون فيها، ويعتزون بها، ويتخذونها أساسًا وسلمًا نحو وصل ما انقطع من تاريخ مجيد، وحضارة زاهرة.

التعليم الفني

نتيجة لحالة التدهور الحضاري التي ضربت مجتمعاتنا، صارت الألقاب عندنا أهم من الحقائق! وأصبح كل شاب يتوق إلى مكتب مكيف وسيارة فارهة ويأنف من العمل اليدوي، ومن ثم يفضل التعليم النظري على التعليم الفني، بحيث لا يلجأ إلى الأخير إلا ضعاف الطلاب، لا النبغاء والموهوبون، بالرغم من أن التعليم الفني- كما هو مشاهد في الغرب- أصبح يقوم بدور مهم في تخريج الكوادر الفنية التي تقوم عليها الصناعات الثقيلة والدقيقة، بعد تعليم وتدريب مكثفين.

أما عندنا، فمن الممكن أن يتخرج الطالب مثلًا في معهد فني، قسم النجارة، دون أن يحسن صناعة باب أو شباك!

ومن الطريف أن نذكر هنا أن اليابان حين أرسلت أحد أبنائها لألمانيا ليتعلم الميكانيكا العلمية، فإنه عاد صفر اليدين من شهادة الدكتوراه التي ابتعث من أجل الحصول عليها! لكنه عاد بأعظم هدية لليابان، وهي فك شفرة «الموتور»، مما كان أساسًا قامت عليه اليابان في نهضتها الحديثة(٢).

فهل يعتبر على صواب الذين يجرون خلف شهادات نظرية لا تقدم ولا تؤخر لمجتمعهم، ويأنفون من تعليم يمثل الأساس للرقي والتمدن؟!

بل إنني أذكر أيضًا بأسف أنه في فترة من الفترات كان بعض الطلاب- اندفاعًا من فهم خاطئ لمفهوم «العلم الشرعي»- ينسحبون من كليات الطب والهندسة بعد التحاقهم بها، لينخرطوا في كليات أصول الدين والشريعة!

فهل سأل هؤلاء أنفسهم: ماذا لو فعل كل الطلاب مثل ذلك، من يعالج

المرضى ويبني البيوت والمصانع؟ وهل يمكن حينئذ أن نواجه «التحدي الحضاري» الذي يتخذه الغرب وسيلة لخداع شبابنا بثقافاته وآدابه، زاعمًا أن حضارته المادية والمعنوية هي الأجدر بالبقاء؟!

وأقصد بالتعليم الفني: تلك المرحلة المتوسطة التي تخرج الكوادر الفنية، لا الكليات التي تمنح الشهادات العليا، فالمعاهد الفنية لا تستغرق الدراسة فيها وقتًا طويلا، وبإمكانها أن تفي بحاجة سوق العمل لأيد مدربة ماهرة(٣).

البيئة العلمية

تشير الدراسات المرتبطة بتنظيم وتطوير العملية التعليمية إلى أن هذه العملية تقوم على مجموعة من الأسس: (الطالب، المعلم، المنهج، المدرسة) إضافة إلى توافر البيئة العلمية الحاضنة لذلك، والتي توفر الظروف المناسبة حتى يحدث التفاعل الجيد بين هذه العناصر.

واختلاف البيئات التعليمية الحاضنة هو الذي يجعل أداء هذه العناصر الأربعة مختلفًا من حالة لأخرى، ولذلك ليس غريبًا أن يتفوق الطلاب العرب والمسلمون في الجامعات الغربية ويتبوأوا أعلى المناصب العلمية فيها، بل يكونون أعضاء بارزين في فرق البحث العلمي المميزة هناك ومتفوقين على أقرانهم الغربيين.. لأنهم وجدوا بيئة علمية حاضنة ومشجعة، بينما لو ظلوا في دولهم لربما لم يسمع عنهم أحد، وما حالات فاروق الباز وأحمد زويل ومجدي يعقوب عنا ببعيد!

وإذا كانت إسرائيل تنفق على البحث العلمي ٤,٧٪ من الناتج القومي، أي ما يعادل ما تنفقه في هذا المجال الدول العربية جميعًا، فليس غريبًا أن تسجل الجامعات الإسرائيلية عددًا من براءات الاختراع أضعاف ما تسجله الجامعات العربية، وليس غريبًا أيضًا أن تأتي الجامعات الإسرائيلية في المراكز الأولى في قائمة الجامعات المتقدمة على مستوى العالم، بينما موقع الجامعات العربية لا يكاد يذكر في القائمة!

ففي عام ٢٠١٢، بلغ عدد طلبات حقوق الملكية الفكرية التي قدمتها إسرائيل للمنظمة العالمية للحقوق الفكرية (ويبو WIPO) ١٣٧٧ براءة اختراع، مقابل ٤٩١ لكل ما قدمته الدول العربية، أي ١: ٣ (٤).

وبحسب «تصنيف شنغهاي» عام ٢٠٠٥، الذي يعده معهد التعليم العالي في جامعة شنغهاي، فإن الجامعات العربية كانت خارج ترتيب الجامعات الخمسمائة الأولى في العالم، بينما احتل موقع المائة جامعة الأولى كل من (فرنسا، ألمانيا، كندا، السويد، سويسرا، هولندا، أستراليا، إيطاليا، إسرائيل، النمسا، الدانمارك، النرويج، فنلندا، روسيا) (٥).

والخلاصة، إننا نحتاج لتحقيق البيئة الحاضنة والمشجعة إلى زيادة معدلات الإنفاق على البحث العلمي، وإلى إذكاء روح المنافسة بين الباحثين- عن طريق رصد جوائز مثلا- إضافة إلى تدعيم مكانة العلم والعلماء في المجتمع، والتي باتت تزاحمها بل تتفوق عليها مكانة لاعب كرة أو ممثل سينمائي!

إن الانشغال بهموم التعليم وسبل الارتقاء به ليس ترفًا نملك الاستغناء عنه أو تأجيله، فالتعليم مسألة حياة أو موت للأمم والحضارات، وهو بوابتها للمستقبل والتنمية والحضارة والنهضة.

الهوامش

١- نقلًا عن العلامة محمود شاكر، «في الطريق إلى ثقافتنا»، ص:١٢١، دار الهلال، ط٣، ١٩٩١م.

٢- راجع قصة الطالب الياباني «تاكيو أوساهيرا»، في كتاب د. محمود محمد سفر «دراسة في البناء الحضاري.. محنة المسلم مع حضارة عصره»، على الرابط: HYPERLINK«http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=6&ChapterId=6&BookId=221&CatId=201&startno=0»http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=6&ChapterId=6&BookId=221&CatId=201&startno=0

ويلفت «أوساهيرا» أنظارنا إلى أهمية ارتباط المعرفة النظرية بالتدريب العملي لتنمية المهارات، وصولا إلى الإبداع والاختراع، فيقول عن تجربته: لو أنني اتبعت نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبت لأدرس عليه، في جامعة هامبورج، لما وصلت إلى شيء، كانت حكومتي قد أرسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، كنت أحلم بأن أتعلم كيف أصنع محركا صغيرًا.. كنت أعرف أن لكل صناعة وحدة أساسية أو ما يسمى «موديل»، هو أساس الصناعة كلها، فإذا عرفت كيف تصنعه، وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها. وبدلا من أن يأخذني الأساتذة إلى معمل، أو مركز تدريب عملي، أخذوا يعطونني كتبًا لأقرأها، وقرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها، ولكنني ظللت أمام المحرك، أيًا كانت قوته، وكأنني أقف أمام لغز لا يحل، وفي ذات يوم، قرأت عن معرض محركات إيطالية الصنع، كان ذلك أول الشهر، وكان معي راتبي.. وجدت في المعرض محركًا قوة حصانين، ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب ودفعته، وحملت المحرك، وكان ثقيلًا جدا، وذهبت إلى حجرتي، ووضعته على المنضدة، وجعلت أنظر إليه كأنني أنظر إلى تاج من الجواهر. وقلت لنفسي: هذا هو سر قوة أوروبا، لو استطعت أن أصنع محركًا كهذا، لغيرت اتجاه تاريخ اليابان.

٣ - راجع المزيد عن أهمية التعليم الفني، في مقال د.حسن أبوسعدة «التعليم الفنى.. أساس نهضة الدولة»، على موقع: «http://www.alwafd.org»

٤- http://www.aleqt.com/2013/03/20/article_740832.html

5 - انظر مقال محمد مرعي «الجامعات العربية.. لماذا هي خارج الترتيب العالمي؟» على الرابط:
http://www.alarabimag.com/Article.asp?ID=8793&ART=80.

ثمار التعليم في عالمنا العربي...

د. آندي حجازي
أستاذة أردنية في التعلم والتعليم

في عام ١٩٥٧م قام الاتحاد السوفيتي- كما كان يسمى آنذاك- بإطلاق قمر صناعي سبوتنك(Sputnik) في إطار الحرب العالمية الباردة التي كانت سائدة ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فأثار هذا السبق غضب الولايات المتحدة الأمريكية، إذ شعرت بتفوق العدو المقابل لها، وسيطر على العقول الأمريكية شعور عام بالهزيمة أمام الأدمغة السوفييتية، فقررت أن تعيد التفوق لها وتعود لمقدمة الأمم والشعوب، ولكن السؤال الذي طرحته: من أين تبدأ؟ فخلصت إلى أن عليها التوجه نحو التعليم.. فمن هنا تبدأ، فشرع الساسة والمسؤولون بتحميل القائمين على التربية والتعليم والتربويين اللوم على هذا التراجع، فدقوا طبول الخطر.. وانطلقت جهود القادة التربويين لعقد المؤتمرات التربوية، وجمع المخصصات من أجل تطوير التعليم، والتركيز على التعليم الحقيقي المرتكز على حل المشكلات وعلى التفكير الإبداعي، والتفكير المنتج.. وبالفعل وخلال أقل من خمس سنوات استطاعت الولايات المتحدة غزو الفضاء الخارجي، وإطلاق الصواريخ، وإنزال أول مركبة فضائية على القمر عام ١٩٦٢م، ما جعلها تشعر بالتفوق والنصر في حرب النجوم التي كانت دائرة آنذاك!

فالولايات المتحدة أدركت أن التفوق الحقيقي لها على باقي الأمم والشعوب ومصدر قوتها هو في العلم والعلماء، والاهتمام بالتعليم، فصبوا جل اهتمامهم على التعليم المتميز، وخاصة مناهج العلوم والرياضيات واللغات.. لتطوير التفكير، فتحقق ما أرادوا... فالتعليم المتميز هو المؤدي إلى التطوير والإبداع، وإلى رفع مستوى إدراك الفرد ومدى قدرته على توظيف ما ناله من معلومات وخبرات في واقع الحياة، وفي حل المشكلات التي تعتريه، وفي البحث عن حلول مفيدة معينة على اتخاذ القرارات الصائبة، سواء على مستوى الفرد ذاته أو المجتمع.

إن التعليم المصبو إليه في عالمنا العربي هو التعليم القادر على إعلاء مستوى الوعي الحقيقي لدى الفرد، وتحسين سلوكاته وأفكاره وطريقة تفكيره، وهو القادر على النهوض بالأمة وأخذها نحو التقدم والتنمية والتنافس مع باقي الأمم والشعوب، وهو المعين على تمييز الغث من الثمين، والحق من الباطل، والزيف والضلال من النبع الصافي، وهو المعين على حل الأزمات السائدة في المجتمع (الحالية والمتوقعة)، فلا يخلو مجتمع من أزمات، تزداد حدتها وتنقص وفق المتغيرات السائدة. فليس التعليم المرغوب فيه هو القائم على حفظ واستذكار المعلومات وتخزين الكثير منها في الذاكرة لتفريغها على ورقة الاختبار لتفريغ الذاكرة، ثم الانطلاق إلى عالم الواقع بعقلية فارغة لا تمت بصلة لما يتم تعليمه في المدارس والجامعات! وحين تعصف بواحدة من بلداننا عاصفة يقتل بعض أبنائها بعضًا!

فلماذا تعليمنا لم يقد إلى تحسين مستوى وعي الفرد العربي لما يجري حوله، وإلى إدراك دقائق الأمور وما يحاك من خطط وتدابير؟ ولماذا لم يعمل على حقن الدماء ومراعاة حرمة الدم والعرض للمسلمين وغيرهم؟ ولماذا شارك في إضاعة الجهود وتنمية الجهل وحرمان قطف ثمار الثورات الشعبية؟ وكيف لم يقد إلى إعمار البلاد ودرء الفتن والشقاق والنزاع، والحفاظ على الممتلكات العامة والبنى التحتية؟ ولماذا لم يلب حاجات أبناء أمتنا وطموحاتهم؟ ولم يحقق لنا الرفعة والرفاهية؟ فأي تعليم هذا؟! وأي مستقبل نرجوه؟

وتزيد وسائل الإعلام الواقع مرارة حينما تبث السم مع العسل، وتتلاعب بنا؛ فتجعل الحق باطلا والباطل حقًا.. فعندها تظهر ثغرات التعليم الذي تلقيناه في مدارسنا وجامعاتنا! فلو كنا خرجنا من رداء الجهل الحقيقي؛ فإنه لابد وأن نميز ما يدور حولنا ونفهم ما يخطط لنا! فالوعي الحقيقي الذي نرجوه هو السلاح الفاعل للإنسان في مواجهة المشكلات التي تعتري مجتمعاتنا اليوم.

إن الرائي لحال التعليم في مدارسنا العربية وجامعتنا يجد أن تعليمنا لا يعدو كونه تفريغا لما في جعبة المعلم من معلومات في جعبة الطالب، مع الاهتمام بوضع الخطوط تحت المعلومات التي يعتقد المعلم أهميتها من أجل إعانة الطالب على حفظ أكبر كمية منها، دون أدنى اهتمام بكيفية الاستفادة من هذا العلم في واقع الحياة، وفي مستقبل هذا المتعلم، وفي تحسين سلوكاته ومستوى تفكيره! فالتعليم الجاد هو القائم على التدريب والتطبيق لما تم تعلمه على أرض الواقع حين الحاجة إليه.

فتعليمنا لابد من أجل إصلاحه والاستفادة منه في واقع حياتنا من بذل الجهود الجادة لتحسينه، ونقترح الجوانب التالية المعينة على قطف ثمار التعليم في بلادنا العربية:

أولًا: إعادة النظر في مناهجنا اليوم والتفكير بمضمونها؛ فهل أدت بالفعل إلى تعليم الطلبة والإسراع بعقولهم خطوات وقفزات نحو الأمام؟.. لو كانت مناهجنا على خير ما يرام، فلماذا إذن سبقتنا اليابان؟ وكوريا الجنوبية؟ وسنغافورة؟ والولايات المتحدة؟ وألمانيا؟ وفرنسا؟ والسويد؟ ودول أوروبا كلها؟.. بعد أن كنا قادة العالم، ألم يكن العلم الحقيقي آنذاك مصدرًا أساسيًا من مصادر قوتنا؟ ألا يعتمد الساسة والحكام

في كل العصور على عقول العلماء والمفكرين لابتداع وسائل تعين على النصر والتقدم والتفوق على باقي الشعوب؟ حيث النصر لا يتحقق في المعارك فقط، بل قد تأتي القوة والنصر من قوة العلم المؤدي للاختراع، والإبداع، وتحسين البلاد.. وهكذا نؤكد ما بدأنا به أن الحرب الباردة بين الدولتين الأقوى في العالم في ستينيات القرن الماضي كانت صراعًا فكريًا وعلميًا أدى للتسلح الأقوى والسيطرة على العالم اليوم، لأن المسيطر دائمًا هو من يملك مصادر القوة، وهذا هو المبدأ الأساسي في عالم السياسة!

ثانيًا: ضرورة الاهتمام في مدارسنا وجامعاتنا بتعليم الحوار، وأساليب الحوار، ومهارات النقاش، وتدريب الاستماع الجاد للطرف الآخر ووجهة النظر الأخرى وتقبلها، وتدريب كيفية اتخاذ الحوار أسلوبًا للوصول إلى الحلول والنتائج، لا أسلوبًا للجدال العقيم، واستعراض القوة، وزيادة الصراعات وتأجيجها دون الوصول إلى نتائج حقيقية تعين على الإصلاح والتحسين والتطوير.. فالكثير من مشاكلنا العربية اليوم كان يمكن لها أن تحل لو تم الجلوس إلى طاولة الحوار المتزن الجاد منذ البداية، وقبل التعرض للكثير من الخسائر التي يصعب حصرها اليوم!

ثالثا: لابد للقائمين على التربية والتعليم من تدريب الطلبة على أساليب ومهارات التفكير العلمي والمنطقي، والتفكير الناقد، والتفكير الإبداعي، وتفكير حل المشكلات.

رابعًا: الاهتمام بالأساليب والأنشطة التعليمية، والوسائل التي تزيد من وعي الطلبة وقيمهم، وتفتح عقولهم وأذهانهم، وتنمي مستوى إخلاصهم لأوطانهم، بحيث تجعلهم يغلّبون المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وتجعلهم يبحثون عن سبل تطوير بلدانهم ومجتمعاتهم، وتحسين الإنتاج والدخل القومي لها، وتطوير

البعض يردد شعارات الدول الغربية دون فهم عميق لمحتواها

الاقتصاد، والزراعة، والصناعة، والبنى التحتية، والصحة والتكنولوجيا... ويجعل المسؤول - مهما كان موقعه- يحكّم قدراته العقلية من أجل تغليب المصلحة العامة على مصالحه وأهدافه الشخصية، الطامحة عادة في السلطة لا في البناء والتعمير والتطوير لوطنه! وفي المقابل، تجد أن الواقع يقول أن الكثير من تعليمنا يؤدي إلى التجهيل والتراجع، لأنه قائم على العلم النظري لا العملي والبحثي، فهو تعليم لا يفتح العقول ولا ينقلها نقلة نوعية! بل مكانك سر، إن لم ترجع للوراء!

خامسًا: تطبيق ما يتم تداوله والاتفاق عليه من مفاهيم وشعارات تربوية كبيرة تطرح في المؤتمرات، واجتماعات وزارات التربية والتعليم العربية، وتوضع أهدافا لمناهجها التعليمية، مثل: «التعليم القائم على التنمية المستدامة»، و«التعليم القائم على الاقتصاد المعرفي».

سادسًا: لابد من الارتكاز في التعليم لأبنائنا الطلبة في المدارس والجامعات على مبادئ ديننا الإسلامي العظيم الصالح لكل زمان وماكن، والاهتمام بإيصال مفاهيمه بشكل ذي معنى يجعل الفرد يوظفه في أمور حياته اليومية، لا سردا فقط لمعلوماته وحفظا مؤقتًا لها، ثم عند الواقع يتم نسيانها تماما وكأنه لا وجود لها، فالدين الإسلامي دين تطبيقي مليء بالتعاليم المعينة على الحياة، فهو دين للحياة برمتها، فهو -على سبيل المثال- «يحرم القتل بلا سبب، وقتل المسلم لأخيه المسلم، والاعتداء على الآخرين، وتخريب وسرقة الممتلكات، والظلم والتعذيب للغير، وقتل النساء والأطفال...»، فالانطلاق الصحيح للتعليم ينبغي أن يبنى على أسس العقيدة الإسلامية، والمستقى من مصادره الأصيلة (القرآن الكريم، والسنة النبوية)، لأنه الدين الإلهي المتكامل القادر على تنمية الإدراك الحقيقي المرغوب به لدى الشخص. فحيثما وقع المسلم في مشكلة ما أو خلاف مع أحد؛ فإن مرجعيته لابد وأن تكون للدين وتعاليمه، فهو خير معين على العدل في الحكم، وتجنيب الأفراد الكثر من الصراعات والمشاكل، وامتثالًا لأمر الله تعالى القائل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة:٤٤)، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (المائدة:٤٧)، أي الخارجون عن جادة الصواب.

والفجوة الظاهرة اليوم في تعليمنا أننا لم نعلم علوم الدنيا بشكل صحيح، ولم نعلم علوم الدين الإسلامي كذلك بشكل سليم، فلم نفلح في هذا ولا ذاك! فأخرجنا جيلًا تائهًا في أغلب الأحيان عند مواجهة المشكلات، لا يميز الحق من الباطل، ولا الخير من الشر، ولا يحاكم عقله ودينه! ومرجعيته الرأي والرأي الآخر، مرة مع القرار ومرة ضده! مرة مع الحق ومرة عكسه! حجته الكلام والجدال، وليس المنطق أو تحكيم العقل والدين وتقوى الله تعالى، وقد قال عز وجل: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (النور: ٤٨-٤٩). فهذه دعوة فكرية لجعل التعليم في عالمنا العربي حقيقيا واقعيا هادفا بأهداف راقية.

أدوار المعلم في عصر المعلوماتية

محمد عباس عرابي
باحث متخصص في الشؤون التربوية

يشهد العصر الحالي تغيرات متسارعة في شتى المجالات، وعجلة الزمن تدور بالإنسان في اتجاه العصر التقني والمعلوماتي والرقمي في تسارع مذهل، كما أن المقدار الكمي للمكتشفات العلمية، والحجم الهائل للتطور التقني والرقمي في مصادر المعلومات وأدواتها، وظهور ما يسمى بالمجتمع الإلكتروني وعصر المعلومات، كل ذلك ينبئ عن تطورات أعظم ونتائج أكبر في المستقبل الآتي، مما يجعلنا أمام تيار كاسح لا نستطيع مقاومته، وأمام تحدٍّ أكبر يستدعي منا التكيف المرن، والتجاوب المستمر مع متطلبات هذا العصر من جهة، والمحافظة على قيمنا الإسلامية، وهويتنا وشخصيتنا العربية من جهة أخرى.

ولاشك أنه بمجرد نظرة سريعة لشتى نواحي حياتنا نستطيع أن نلمس من خلالها التغيرات التي حدثت في المجالات الثقافية والاجتماعية والتربوية، خاصة في الجيل الجديد، مما يتطلب منا مراجعة أدبيات التربية وأساليب التعليم التي تمارس في مدارسنا، لأن هذه التغيرات تفرض على التربية ضرورة المواجهة والاستعداد والتكيف والمواكبة لما يسمى بعصر مجتمع المعلومات، بل علينا أن نضع خططًا مستقبلية تتناسب مع هذه التغيرات المتسارعة؛ استشرافا للمستقبل الذي ننشده.

وتتعدد جوانب دور المعلم وتتغير بتغير المواقف التي تفرضها العولمة وثورة الاتصالات والمعلوماتية والتقدم العلمي والتطور التقني والتجديد التربوي.. وهذا ما يؤكده وول فولك Folk بقوله: «إن هناك جوانب كثيرة لدور المعلم المعاصر بقدر ما تضيفه المستحدثات الجديدة في المجالات التربوية»، أي أن دوره تتعدد جوانبه بحسب ما تضيفه المستحدثات التربوية التي تعد مرآة عاكسة للتغيرات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية، التي يفرزها النظام العالمي الجديد، باعتبار أن النظام المحلي جزء من النظام العالمي..

ولهذا ليس من السهل تحديد جوانب أدوار المعلم التي يجب أن يؤديها؛ لأنها متجددة ومتغيرة باستمرار، بالإضافة إلى أنها متشابكة مع بعضها البعض، ويكمل بعضها البعض، وقد يقوم المعلم بأداء أكثر من جانب في وقت واحد.

ومن أبرز أدوار المعلم في عصر المعلوماتية ما يلي:

المحافظة على الثقافة الإسلامية مع الانتفاع بالمعرفة العالمية..

ولكي يقوم المعلم بهذا الدور «يجب أن يميز بين أسلوبين في التعليم، التعليم من أجل الحفاظ على ما هو قائم Maintenaince Instruction، والتعليم من أجل التجديد Innovative Instruction، فالتعليم المحافظ مهم ولا غنى عنه، إلا أنه لم يعد كافيًا، وأصبح التعليم من أجل التجديد واستشراف المستقبل مطلبًا حيويًا، إذا ما أراد إنسان هذا العصر مواجهة ما سوف يحمله له المستقبل من تحديات وأعباء، وما تحمله المتغيرات السريعة من مفاجآت».

والصمود أمام تلك التحديات يتطلب التمسك بالثقافة الإسلامية عقيدة ولغة وقيمًا وأخلاقًا وإنجازًا، ودعوة الأمة الإسلامية إلى قراءة الإسلام قراءة صحيحة من خلال مبادئه الأصيلة وقيمه الخالدة، وتحديث الثقافة الإسلامية والربط بينها وبين قضايا العصر، والمحافظة على خصوصية الهوية مع الانتفاع بالمعرفة العالمية المفيدة..

والتعايش مع التعددية الثقافية داخل هذه القرية الكونية واجب على التعليم القيام به من خلال المعلم، الذي لابد وأن يغرس في تلاميذه التمسك بالثقافة الإسلامية، والاعتزاز بالتراث الثقافي والاجتماعي للأمة الإسلامية، واحترام ثقافات الشعوب الأخرى، وأن يعودهم الثقة

بالنفس وتقبل الرأي الآخر، والموازنة في التعامل والمعاملة بين عناصر التأثير الداخلي وعناصر التأثير الخارجي، والأخذ بالأفضل والنافع.

حب الوطن والانتماء إليه لدى الطلاب

حب الوطن والشعور بالانتماء إليه والولاء له والوفاء بحقوقه من أهم القيم التي تبث في الطلاب، وترسخ في نفوسهم منذ الصغر.. وللمعلم دور كبير في ترسيخ حب الوطن والانتماء إليه لدى الطلاب، فهو ينمي فيهم مشاعر الحب والولاء لهذا الوطن، ويحثهم على الحرص عليه والدفاع عنه ضد كل معتد أثيم.

تعليم الطلاب لغة الحوار

يعد تعليم الطلاب كيفية الحوار مع الآخرين من الجوانب المهمة في دور المعلم، حيث يدرب طلابه على استخدام الكلمات التي تسمح بالتواصل مع أفكار الآخرين، من خلال استخدام طرق التدريس المختلفة كالتعلم التعاوني وغيرها، ونقصد بهذه الكلمات:

من المحتمل، من الممكن، يبدو أن، ربما، هل عندك رأي أخر؟.. الخ. ويعلم طلابه أيضًا ألا يكونوا أحاديي الرؤية، وهكذا يتعلم الطلاب جانبًا سلوكيًا مهمًا في حياتهم.

ربط المدرسة بالمجتمع

يعد المجتمع أساسًا من الأسس المهمة التي تبنى عليها المناهج الدراسية، فأساس وجود المدرسة هو رغبة المجتمع في إعداد أفراد صالحين له، فالمدرسة مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع لإعداد الفرد الصالح لهذا المجتمع، وحيث إن أهداف التربية تشتق من فلسفة المجتمع، فإن على المناهج المدرسية، وعلى المعلمين وعلى كل من يعمل بالمدرسة محاولة تحقيق هذه الأهداف التربوية.

ولذا، فإن دور المعلم ربط ما يدرسه لطلابه بما يوجد في مجتمعهم، أي توظيف ما يتعلمه هؤلاء التلاميذ من معلومات ومهارات وخبرات في حياتهم الاجتماعية.

المعلم داع إلى السلام

للسلام مكانة مهمة في الإسلام، وفي التربية رصيد لا غنى عنه في محاولتها لتحقيق قيم السلام والحرية والعدالة الاجتماعية، وفيها أمل لتنمية بشرية أكثر انسجامًا وعمقًا لاستبعاد شبح الحروب والتوترات، وإحلال السلام بدلًا منها.

وعلى المعلم- كقدوة وكداع للسلام- أن يشعر طلابه بالأمان والحب والتقدير لذاتهم وللآخرين، ويذكرهم بأن السلام في حاجة إلى قوة تحميه، وبدون هذه القوة قد ينقلب إلى استسلام.. فلقد أمرنا ديننا الحنيف أن نكون أهل سلام، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنفال: ٦١)، كما أمرنا- عز وجل- أن نستعد للحرب بكل ما نستطيع من قوة، فقال سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

وهذا جزء من القوة التي ينبغي الاستعداد بها، إضافة إلى قوة الشخصية وقوة الإيمان وقوة الترابط الاجتماعي: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

المعلم داع إلى التسامح

إن من أهداف التربية تكوين أفراد مؤمنين؛ ليعيشوا في مجتمع مؤمن لا تقوم المعاملة بين أفراده على المؤاخذة والمحاسبة والانتصار للذات والإنصاف لها في كل كبيرة وصغيرة، وإنما تقوم فيه المعاملة بين الأفراد على التسامح والتغاضي والصفح والصبر. وهذا ما دعت إليه عقيدة الإسلام، وحض عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(فصلت: ٣٤-٣٥).

ولغة التسامح لابد أن يتعلمها الطالب منذ نعومة أظفاره؛ حتى يشب على التسامح واحترام الآخر.. وإذا كان للأسرة دور كبير في هذا المجال، فإن للمدرسة دورًا لا يقل أهمية عن دور الأسرة، وهنا يأتي دور المعلم في تنمية قيمة التسامح لدى طلابه.

المراجع

١-الأحمدي، عمر وآخرون (١٤٢٨): الكفايات اللازمة للقيام بالدور القيادي التربوي للمشرف التربوي ومدير المدرسة والمعلم في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة، بحث مقدم إلى لقاء مديري الإشراف التربوي ومديري المراكز المقام في مدينة تبوك – السعودية خلال الفترة من ٢٦/ ٤ إلى ٢٨/ ٤/ ١٤٢٨هـ.

٢- بشرى بنت خلف العنزي (١٤٢٨): تطوير كفايات المعلم في ضوء معايير الجودة في التعليم العام، للقاء السنوي الرابع عشر، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)، أقامته بفرعها في القصيم يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٨-٢٩ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ، الموافق ١٥-١٦مايو٢٠٠٧م بعنوان «الجودة في التعليم العام».

٣- فاروق البوهي وعنتر لطفي: مهنة التعليم وأدوار المعلم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٩م.

أمة اقرأ..
واقع مؤلم وطموحات خلاقة

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

عاش سيدنا محمد ﷺ أربعين عاما بين قومه، وحين اصطفاه الله تعالى للرسالة أرسل له جبريل في غار حِراء ليلقي عليه أول كلمات الوحيِ ﴿اقْرَأْ..﴾.

إذن، فلم يكن أول أوامر الله تعالى لرسوله بأن يعبده أو يدعو قومه أو أن يصلي أو يصوم أو غيرها من العبادات الجوهرية في ديننا الحنيف، بل كان أمره الأول أن يقرأ.. وفي ذلك حكمة عظيمة.

أزمة تعليم وثقافة

في أغلب مجتمعاتنا العربية ما إن يبدأ الطفل النطق والحركة وتقليد من حوله حتى تسمع الجميع يمدحونه بأنه ذكي ونبيه وسريع التعلم والاكتساب، وتستمر إبداعات الطفل التي تبهر من حوله بشكل لافت حتى يبدأ المقربون وغير المقربين يتنبأون له بالمستقبل الباهر.

يغادر الطفل عالمه الصغير وكفيره من الأطفال يبدأ مسيرة الألف ميل، ابتداء من الروضة، وصولا لشهادة البكالوريوس والماجستير، وأحيانا الدكتوراه، مارا بسنوات طويلة من التحصيل العلمي والأكاديمي وإحراز المراكز والشهادات.

لكن.. تظل تلك الملاحظة عليه

-خاصة منذ مغادرته لسنوات الحضانة- بأنه صار أكثر هدوءًا وأقل ضجيجا، أكثر حفظا، لكن أقل حركة ونشاطا، وبالتالي أقل قدرة على الإبداع والإبهار كما كان في بداية طفولته، لنجد أنفسنا إزاء الحقيقة المفجعة، فقد تم تحويله خلال سنوات دراسته من طفل يفهم ويدرك ما يريد إلى طفل يحفظ ما يتم تلقينه.

بقسوة يتم قتل روح الطفل الذكي والمبدع، ليحل محله لوح أبيض يتم ملؤه خلال كل عام دراسي -حد التشبع- بكل ما تحتويه كتب المناهج من آلاف الكلمات، والتي يتم تفريغها خلال فترة الإجازة الصيفية، ليكون بالإمكان ملؤها مجددا العام القادم، وهكذا...

فما إن تنتهي سنوات الدراسة التي أصبحت تمثل للطلاب سنوات تعذيب، يحلمون بالتخلص منها، حتى يلغوا من قواميسهم شيئا اسمه اطلاع أو قراءة أو تعلم واكتساب، ويستمر قانون الحظر إلى ما لا نهاية.

لكن لماذا نلومهم ومنذ التحاقهم بالمدارس وجل يومهم يقضونه وهم متكورون على كراسي خشبية في فصول مغلقة، يمثلون دائما دور المتلقي والمستمع، الدور الذي لا يتبدل مهما تبدلت فصول السنة ومهما تغيرت وجوه وأسماء المعلمين، أو حتى المدارس، ومهما ارتقوا في مستوياتهم الدراسية، فهم مجبرون على حشو أدمغتهم بكل المواد التي يحبونها والتي لا يحبونها، التي يفهمونها والتي لا يقدرون على استيعابها، على الأقل حتى انتهاء مرحلة الثانوية العامة، هم ليسوا أغبياء ليقفوا أمام بعض المواد عاجزين عن فهمها واستيعابها، لكن لكل شخص ميول واهتمام معين، فمن الاستحالة أن يبدع شخص في كافة المجالات.

لا يسلمون من العقاب والتوبيخ في حال تقصيرهم المقصود وغير المقصود، كيف لشخص أن يبدع في مجال لا يتقبله عقله، ومن أين للإبداع

إلام نسلم بالأمر الواقع ونستفيد فقط من اكتشافات الآخرين

أن يجد له طريقا وهو يقضي ما يربو عن الخمس ساعات وهو قابع على كرسيه باستثناء دقائق الاستراحة التي تتحول غالبا إلى ساحات عراك يفرغ خلالها الطلاب تلك الطاقات المكبوتة لساعات طويلة!

تنتهي الساعات الدراسية ليعود كل طالب إلى البيت مثقل الرأس والجسم لا ليرتاح وإنما ليبدأ رحلة عذاب جديدة مع واجبات وفروض منزلية لا تنتهي، فكل معلم طلب منه أن ينسخ صفحات الكتاب للدفتر، دون التفكير في الجدوى التي سيحصل عليها الطالب من نسخ فقرات أو صفحات بخط يده؟

يكبر الطفل وهو في هذا الحال حتى ينسى كل شيء إلا الحفظ، يحفظ لينجح، ويحفظ ليتفوق، ويحفظ لينهي دراسته، ويحفظ ليحقق حلمه بالتخرج حتى لا يكون ملزما بالقراءة أكثر، ولا النسخ أكثر، ولا تسميع مزيد من الصفحات الطويلة التي لا يفهم أغلبها!

وهذا ما يحدث، فما إن يحصل على شهادته ويكرمه الله بوظيفة حتى يفسخ العقد الطويل الذي كان بينه وبين التعلم، فيكفيه أنه يتقن عمله الذي لا يخرج غالبا على النمط الروتيني المكرر.. وهنا تنتهي الأحلام والطموحات التي لم يجد الوقت الكافي ولا البيئة المناسبة التي تساعده على صياغتها بشكل أوسع، والسعي لتحقيقها، فهو في الأساس درس وتعلم كي يحصل على وظيفة، حقق حلمه أخيرا، توظف وكون عائلة

فماذا بعد؟ لا شيء أكثر.. فأين «اقرأ» من حياته وأيامه؟!.. للأسف لا وجود لها، لأنه كان يقرأ فقط لينجح لا ليكتسب مزيدا من العلم والمعرفة، ولا ليتميز ولا ليبدع، وصدق من قال «إن شئت ألا يسرق منك شيء فضعه في كتاب.. فهذه أمة تخاف فتح الكتب»، نحن لا نتحدث عن وضع شاب أو اثنين، بل أجيال كاملة من أمة اقرأ، إلا من رحم ربي.

فالمؤسسة التعليمية في الدول العربية تعاني من مشاكل وصعوبات وتحديات لا حصر لها، مما يعمق من الفجوة التي تفصل بيننا وبين التنمية الحقيقية.

لكن، هل يعني هذا أن الأمر انتهى وأن العملية التعليمية في بلادنا العربية محكوم عليها بالفشل التام؟.. وهل يعني هذا ألا مستقبل لنا ولا مجال لنكمل مسيرة الإنجازات التي حققها أجدادنا الأولون؟.. هل سنظل دائما في الخلف، نستجدي من الآخرين آخر الاكتشافات والاختراعات وكل ما هو جديد حتى الثياب التي نلبسها!!

هل نسلم بالأمر الواقع ونقول: هو قدرنا ولا نملك من خيار آخر!

تحدي الواقع

يبدو الأمر محبطا حتى الآن.. ربما!

في الواقع علينا أن ندرك جيدا أن كل الصعوبات والمعوقات التي يعاني منها قطاع التعليم في وطننا العربي وبدرجات متفاوتة تشتد في بعض البلدان وتخف في أخرى؛ إلا أن التغلب عليها أمر ليس بالمستحيل.. فبقليل من الصبر وكثير من الدعم للطفل طوال مسيرته التعليمية، خاصة في البداية، يمكن أن نساعده على تجاوز تلك التحديات، ونكفل له الخروج الآمن من متاهات تدمير الإبداع الذاتي.

إذن، هناك أمل لكنه بحاجة إلى تكاتف وتعاون من الأسرة والمدرسة، يشارك فيه الأب والأم والمعلم والإدارة

المدرسية، وحتى الطالب نفسه، لكسر حواجز أمية التعليم التي يعاني منها شباب أمتنا، ببساطة علينا أن نتوقف عن البحث عن شماعة نلقي عليها تخاذل الجميع بالأخذ بمسؤوليتهم تجاه الأجيال الصاعدة، فلن يجدي نفعا إلقاء الملامة كاملة على المؤسسات التعليمية.

إذا وقف كل أب وأم بجانب أطفالهم فبكل تأكيد يمكن إيصالهم إلى بر الأمان، متجاوزين كافة المعوقات التي تواجههم أثناء مسيرتهم التعليمية، والأمثلة حولنا كثيرة لأطفال -بتوفير البيئة المناسبة لهم في البيت والمدرسة- تمكنوا من هزيمة كافة العراقيل والوصول إلى أعلى المستويات، منهم على سبيل المثال لا الحصر.

أصغر قاصة

دخلت القاصة التونسية سمر المزغني موسوعة «غينيس» للأرقام القياسية مرتين «كأصغر كاتبة قصة قصيرة في العالم» و«الكاتبة الغزيرة الإنتاج الأصغر في العالم» في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٢.

بدأت الكتابة وعمرها سبع سنوات، نشرت أول قصة لها عام ١٩٩٧ ليصل نتاجها الأدبي في عام ٢٠٠٦ إلى نحو١٠٠ قصة، تبرعت بريع بعضها إلى «أرامل وأيتام شهداء الانتفاضة الفلسطينية».

ونشر نتاجها الأدبي فيما يزيد عن مائتي جريدة ومجلة تونسية وعربية.

الرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي (ICDL) حصل الطفل «ضياء الدين شغالة» البالغ من العمر ٨ سنوات مواليد حلب على الرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي (ICDL)، ليصبح أصغر طفل في العالم يحصل على هذه الرخصة من منظمة «اليونسكو».

وتؤكد الرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي لأصحاب العمل أن المتقدم للعمل على معرفة تامة باستخدام شبكة الإنترنت، والبريد الإلكتروني، ومعالجة النصوص، وإعداد العروض، والجداول المحاسبية، وقواعد البيانات، وكل ذلك على جهاز الحاسب الآلي باستخدام البرمجيات المتعارف عليها، إضافة إلى ذلك، هذه الرخصة تثبت لأصحاب العمل أن المرشح قد اجتاز الاختبارات العالمية، وتتمثل في سبعة اختبارات عملية لتقييم كفاءته في استخدام الحاسب الآلي الشخصي، ومدى معرفته لتطبيقات برمجيات الحاسب المتعارف عليها.

أصغر إعلامية

يعد تقديم برنامج تليفزيوني هو الحلم الذي انطلقت وراءه منة، الطالبة بالصف السادس الابتدائي، وعلى الرغم من صغر سنها فإنها تتعامل مع حلمها بكل نضج، فهي تدون أفكارها الخاصة بالبرامج التي تتمنى تقديمها على شاشة التليفزيون، ليس هذا فحسب بل تقوم بكتابة إسكريبت لحلقات البرنامج، فتحدد الفقرات وتضع أسئلة كل فقرة، بالإضافة إلى اختيار الضيوف معتمدة على نفسها في إعداد هذه الخطوات، وذلك طبقا لما ذكرت صحيفة روز اليوسف المصرية، وقد شاركت في المسابقة الأولى للبرامج الحوارية بتنظيم من ساقية الصاوي، أعدت الحلقة وتواصلت مع الضيوف، اختارت أن تقدم برنامجا حواريا باسم «منة مننا» تناقش من خلاله قضايا الشباب في سن المراهقة وقدمت حلقة تجريبية من خلال المسابقة تناولت فيها موضوع الموضة، وعلى الرغم من كونها أصغر المشتركين بالمسابقة فإنها حصلت على المركز الأول.

لعبت أسرة منة دورا إيجابيا في تقدمها وتكوين شخصيتها، فقد تعاملت والدتها مع قدراتها بكل احترام، وتركت لها حرية التجربة وآمنت بموهبتها ولم تهملها.

المخترعون الصغار قدموا تجارب أذهلت علماء العالم

ريحانة العطاء والإرادة الفلسطينية

الطفلة «هبة سامر أشتية» رقيقة الحس والقلب، استحقت لقب «ريحانة العطاء والإرادة الفلسطينية»، بعدما سطرت ببراءة الخواطر والقصص التي تصور واقع بلادها الأليم، فشاركت في مسابقة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) لتحصل على المركز الأول كأفضل إنتاج أدبي للأطفال في العالم الإسلامي.

مهندس معماري

أصبح الصبي الموهوب «أحمد الأنصاري» (١٧ عاما) مهندسا معماريا، وهو لم يدرس الهندسة المعمارية، فهو يمتلك عددا من

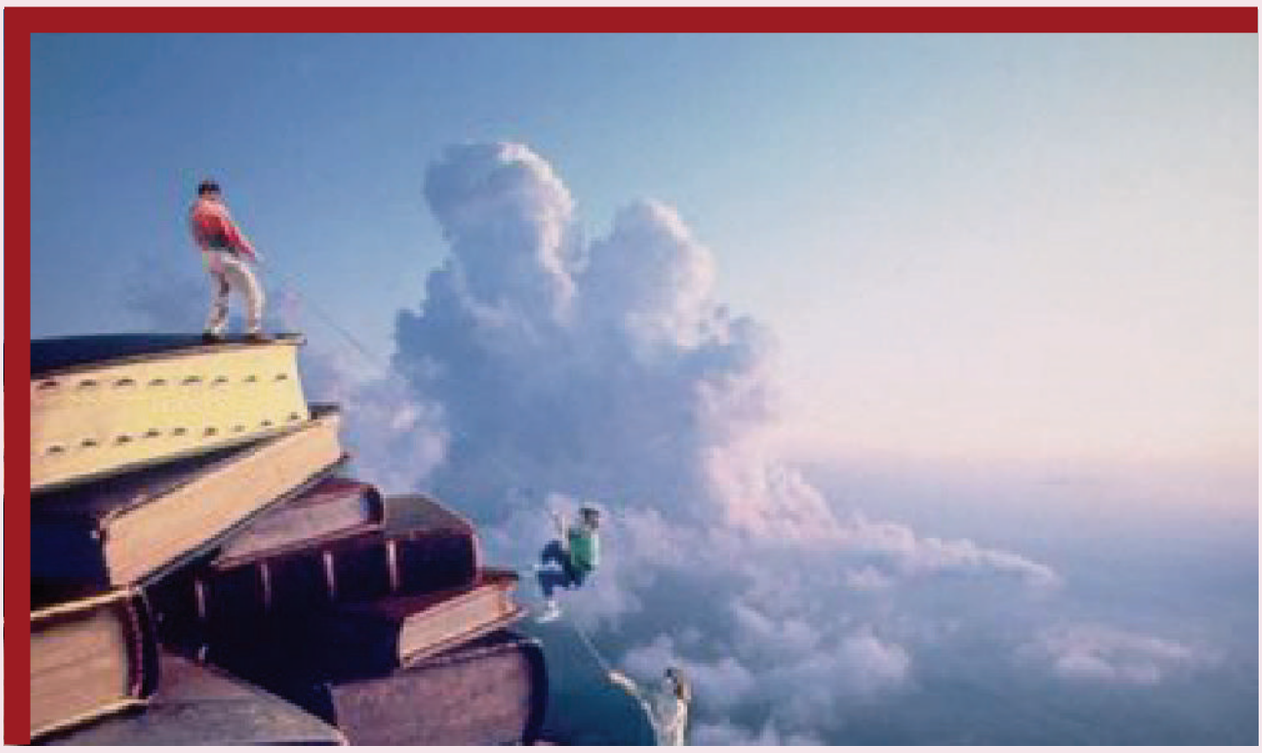

التصميمات الهندسية المعمارية المتميزة، وهو ما يزال في الثانوية العامة.

ومن أهم التصميمات الهندسية التي يمتلكها «أحمد» -الذي يعيش بمدينة العين الإماراتية- تصميم متميز لبرج تجاري دائري الشكل، بحيث تكون الطوابق الثلاثة الأولى في البرج بمثابة مجمع تجاري فندقي.

وله تصميم آخر عبارة عن برجين متصلين من الأسفل بسوق خاص ومطاعم لسكان البرجين ومن الخلف قاعة حفلات، إضافة إلى ناد صحي على شكل هرم زودته بفتحة علوية في السقف مثل فتحة السيارة، وحسب الطلب يفتح إذا كان الجو مشمسا ويقفل إذا كان مظلما.

أصغر عالم

منح علماء من أوروبا الطفل الفلسطيني «براء إبراهيم شراري» الذي يبلغ من العمر ٨ سنوات درجة عالم، ليكون أصغر عالم في العالم، بعدما تمكن من إثبات نظرية جديدة في علم الرياضيات، تتلخص في اختزال عمليات الضرب الطويلة، ليتم حلها في ثوان معدودة ودون الحاجة إلى القلم والورقة أو الحاسبة الآلية.

وقام ثلاثة من كبار علماء الرياضيات في بريطانيا وألمانيا وفرنسا باختبار النظرية وقد تبين لهم أن الطفل براء يستحق لقب عالم، لأن النظرية لم تعرف من قبل، وبناء عليه قررت اللجنة إعطاءه لقب عالم في الرياضيات بسبب اكتشافه نظرية لم يسبقه أحد إليها، فيما قامت جامعة «أكسفورد» البريطانية، بتبني موهبة «براء» العلمية ليكمل دراسته في الجامعة.

وللدعوة نصيب

اعتبر الطفل المصري «مسلم سعيد» أصغر داعية إسلامي على مستوى العالم، فرغم كونه في السابعة من عمره، فإن دروسه الدينية تنتشر في أنحاء مصر بعد إصدار شريط كاسيت له مصرح به من إدارة البحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية.

وتعلم «مسلم» على يد أبيه الذي يعمل في مركز «العزيز بالله» الإسلامي بالقاهرة، أصول الدين وفن الخطابة.

المبدع الصغير

نجح المصور عبدالرحمن الفاروق من نيل الجائزة البرونزية من المهرجان العربي الأوروبي السادس للصور الفوتوغرافية الذي أقيم في ألمانيا، وسط ٨٠٠٠ صورة، وبالتنافس مع ٣٦٤ مصورا ومصورة من ٢٣ دولة عربية وأوروبية، وذلك رغم أن عمره لا يتعدى ٨ أعوام فقط.

عبدالرحمن أصغر مشارك في المهرجان اعتاد مرافقة والده في جلسات التصوير منذ أن كان في الخامسة من عمره، بدأت رحلة الأب في نقل تجربته لابنه حينما كان يستمتع بصحبته في جلسات التصوير التي كانت بمثابة وسيلة تربوية ناجحة تمكن من خلالها تعليمه الانضباط، فهو «يستيقظ قبل الشروق لالتقاط صورة بجانب إمداده بالكثير من المعلومات التاريخية المهمة، من خلال زيارة الأماكن الأثرية لتصويرها».

التعليم المحظور في بلادنا

محمد إلهامي
باحث مصري

تقول القاعدة التاريخية البسيطة: إن كل تقدم علمي لا ينعكس أثره على التقدم العسكري يعتبر غير مؤثر في مسار التاريخ- التاريخ السياسي على الأقل- فكم استطاعت أمم متخلفة أن تقهر أممًا أرقى منها علمًا وحضارة وثقافة؛ لأنها كانت أقوى منها في المجال العسكري.

هكذا اجتاح المغول- وهم رعاع أجلاف- عواصم الحضارة الإسلامية الزاهرة، من بلاد ما وراء النهر مرورًا ببلاد طبرستان وفارس والعراق، حتى أوقفهم رجل كان قد استطاع إعداد العدة في أرض الشام.

وقبلهم اجتاح النورمان- وهم بدو أوروبا الأجلاف- دولة الإسلام في صقلية، واحتلوا أجزاء من الساحل الشمالي الإفريقي أيضا، وبين الحادثتين تقع النكبة الأشهر في تاريخ المسلمين.. نكبة سقوط الأندلس على يد قوم لم يكن لهم ولا عشر معشار ما لدى المسلمين من تفوق علمي.

ماذا يعني هذا؟

يعني أننا نواجه مشكلتين في لحظة واحدة، الأولى: مشكلة التخلف العلمي، والثانية: ضرورة انعتاقنا من الأسر الحضاري لأعدائنا.

غير أن المهم، وهذا هو هدف المقال، أن كلتا المشكلتين لا يمكن حلهما بالتدرج أو التتابع، بل لابد من مواجهتهما معًا، وإلا ذهبت كل المجهودات أدراج الرياح.

المشكلة الحضارية

تأسست الحضارة الغربية على الفكرة المادية، واستبعدت وجود إله، ومن لم يستبعد وجود الإله جعل إلهه كإله أرسطو «كصانع الساعة، أودع فيها قوانين الحركة ثم تركها فلا يدبر أمرها»، ومن هذه الفكرة المادية نشأت «فلسفة العلوم الغربية».

مثلا: يتأسس «علم الاقتصاد» على قواعد، منها أن «الموارد تنضب»، وأن «البشر أكثر مما تحتمله الموارد»، ومن ثم يكون مفهومًا أن يقول مالثوس- وهو مؤرخ واقتصادي وقس وصاحب نظرية التكاثر السكاني- بأن الحروب والنزاعات إنما هي حلول تعيد الطبيعة بها تنظيم نفسها ومواردها، وأن الجوع والمرض والموت إنما هي «موانع إيجابية» في مقابل «الموانع السلبية» كتأخير الزواج والشذوذ!! وهكذا أعطى مبررًا قويًا للحروب وعمليات الإبادة، فهي- بهذا- «قدر محتوم» و«قانون تنظم الطبيعة به نفسها».

واقترح مالثوس ألا تتجاوز أجرة العامل الحد اللازم لعيش الكفاف؛ حتى لا يتكاثر كما يحلو له، واقترح أنه لا داعي لزيادة الإنفاق على العاطلين؛ كي لا يؤدي هذا إلى الكسل وتضاعف عدد الأسرة فتتضاعف الأفواه، وطالب بوقف إعانات الفقراء، ووضع العوائق أمام الزواج المبكر لخفض نسبة المواليد!!

وكانت مثل هذه الاقتراحات مبررات ذهبية للبرلمان البريطاني- حينئذ- ليبرر تخفيض إعانات الفقراء، وإعانات البطالة وإعانات المرضى والمحتاجين، ولأصحاب المصانع للحفاظ على حد أدنى للأجور، لقد تلقوا آراء مالثوس- كما يقول ول ديورانت- «كوحي إلهي مقدس»(١).

بينما نجد أن الأساس الإسلامي لعلم الاقتصاد قائم على أن الله هو الرزاق، وأن كل دابة في الأرض إنما على الله رزقها، وأنه ما يظهر من فساد في الموارد فإنه بما صنعت أيدي البشر، وأن السموات والأرض مكنوزة بالثروات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(الأعراف: ٩٦)، ولا يتصور المسلم أن الله العليم الخبير الحكيم يخلق خلقا ولا يجعل لهم رزقا.

وقس مثل هذا على سائر علوم الاجتماع والإنسانيات، بل على كل العلوم- بما فيها العلوم البحتة- إذ إن العقول التي تعمل في حقل العلم تؤثر في اتجاهه وتطبيقاته، فثمة عقل لا يرى في الطبيعة إلا «ملكية خاصة» تمثل «مخزنًا لثرواتنا، ومستودعًا لنفاياتنا»(٢)، وثمة عقل يؤمن بأنه «مستخلف فيها» بحيث لا يعمل فيها إلا بأمر الله ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، وبنهيه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦).

المشكلة الثانية: ردم الفجوة العلمية بفاعلية

ونقول «بفاعلية» لأن العلم قد ينصرف إلى ما ليس يفيد الأمة، وهاهي ألمانيا واليابان تحققان أقصى درجات التقدم العلمي والازدهار الاقتصادي، لكنهما بلا أي ثقل في الميزان السياسي، لأنهما بلا جيش، وكما ذكرنا من قبل: فكل تقدم علمي لا ينعكس على التقدم العسكري ليس بمؤثر، ولايحمي الأمة من الاجتياح والسقوط، وذكرنا أشهر الأمثلة على ذلك.

وعلى غير ما قد يظن الناس، فإن ردم الفجوة العلمية هذا يحتاج وقتًا من الهدوء والاستقرار، ويخبرنا التاريخ بأن هذا الردم لم تقم به الأمة إلا في لحظات المقاومة والمواجهة، أو بعبارة الراحل الكبير جلال كشك: «تجربة التاريخ كله لا تثبت حالة واحدة استحال فيها على شعب متخلف

سؤالان متلازمان: كيف تنظر إلى العلم؟ وكيف تطبقه بفاعلية؟

اكتساب التكنولوجيا والتفوق فيها.. شرط أن يختار القتال»(٣).

لقد اندهش الفرنسيون من مقاومة الأهالي المصريين، الذين استطاعوا إنشاء معمل للبارود، واستطاعوا إعادة تصنيع واستعمال ما بقي من المدافع التالفة، واستعملوا الأدوات البدائية من حجر وأخشاب ومثاقيل الموازين، وما ضرب عليهم من قنابل الفرنسيين ليعيدوا صناعتها كقنابل تطلق من المدافع، وكان أبطال المشهد هم أصحاب الحرف من السباكين والنجارين والحدادين «والعربجية»، حتى ليقول ضابط فرنسي: «لقينا مقاومة لا قبل لنا بشراستها وتنظيمها من قبل»، ويشهد أحد مهندسي الحملة بأن ما فعله سكان القاهرة «لم يستطع أحد أن يقوم به من قبل، فقد صنعوا البارود وصنعوا القنابل من حديد المساجد وأدوات الصناع، وفعلوا ما يصعب تصديقه- ومن رأى ليس كمن سمع- ذلك أنهم صنعوا المدافع»، بل يشهد كليبر- قائد الحملة الفرنسية آنذاك- بأنه لم يكن يتصور الوضع على هذه الدرجة من الخطورة(٤).

أما التوهم بأن نقل العلم قد يتم بين الأعداء بالرضا في لحظات الهدوء والصفاء، فذلك يدل على سذاجة وجهل، فذلك مينو- القائد الثالث للحملة الفرنسية- حين فكر في إقامة مصنع للجوخ في مصر لسد حاجة الجيش منه، في ظل الحصار البحري المفروض عليهم، جاءته التقارير توصيه بألا يعمل في المصنع مصري، ذلك «أن مقدرة المصريين في تقليد المبتكرات الصناعية من شأنها أن تضر بالمصانع الفرنسية»، وقد كان!

وهذا الأمر مطّرد عبر التاريخ، قديمًا وحديثًا، وانظر إلى الحركات التي هادنت المستعمر.. هل استطاعت أن تكتسب من علمه شيئا؟

ثم انظر إلى الحركات التي قاومته، إلى أين وصلت؟ وكيف أوجعته؟

لقد ظلت إسرائيل نحو عشر سنوات تحاول مقاومة صواريخ فصائل المقاومة، وهي حتى الآن لم تنجح نجاحًا كاملا، رغم الفارق الرهيب بين الطرفين في كل شيء، بينما لم ينجح من هادنوها في أي شيء!!

وحين وقف وزير الحرب الإسرائيلي يبرر عجزه قائلا: «إن أجهزة رصد الصواريخ التي لدينا عاجزة عن التقاط هذا النوع؛ لأنه أقل تطورًا من أن ترصده»، رد عليه أحد أعضاء الكنيست بعبارة ساخرة ولكنها حقيقية جدا: «إذن فلنصدر لهم صواريخ متطورة لكي نستطيع صدها»!!

إن نظام التعليم إذا لم يتدارك هاتين المشكلتين: كيف ننظر إلى العلم؟ وكيف نطبقه بفاعلية؟ فإنه سيظل دائرًا في الفراغ، أو بالأحرى: دائرًا تحت رقابة الأعداء.

الهوامش:

١- ول ديورانت: قصة الحضارة ٤٢/٢٥١- ٢٥٣، ٤٢/ ٣٨١- ٣٨٩. وانظر: رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني: البيئة ومشكلاتها ص١١٢، جان ماري بيلت: عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة ص٢٧.

٢- جارودي: وعود الإسلام ص٢٠.

٣- جلال كشك: ودخلت الخيل الأزهر، ص٣٠٥.

٤- الجبرتي: عجائب الآثار ٢/٣٢٦ وما بعدها، وانظر جوزيف ماري مواريه: مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر ص١٥٥ وما بعدها، الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، ٢/١٧٣.

النشء المسلم..
أين موقعه في مناهج التعليم؟!

هالة عبدالحافظ، منار محمد
القاهرة- دار الإعلام العربية

الطفل هدف أساسي للعملية التعليمية، لذا تعتبر مرحلة رياض الأطفال (التعليم ما قبل سن المدرسة)، عالما مستقلا بذاته، له خصائص وقوانين، يعمل على تهيئة الطفل وإعداده، وفق قيم اجتماعية متباينة، يفترض أن تكون قويمة ومازجة بين الأصالة والحداثة؛ ليستقبل الطفل حياته التعليمية والاجتماعية برصيد جيد من الثقافة والخبرات البسيطة.. إلا أن واقع التعليم العربي الإسلامي، ربما لا يكون طموحا أو ناجعا مع تباين مناهج التربية والتعليم ومخرجاتها في مرحلة رياض الأطفال.. «الوعي الإسلامي» تطوف معكم بعدد من التجارب، وتلتقي عددا من المعلمين والتلاميذ والمختصين؛ لنتعرف إلى واقع أطفالنا في سن الروضة.

سعيا وراء الارتقاء بمستوى الناشئة في مرحلة رياض الأطفال، سعت دولة الكويت أخيرا إلى إجراء تعديلات في المناهج المقدمة لمرحلة رياض الأطفال، ولهذا قررت إيقاف التوسع في تجريب مناهج العربي والإنجليزي ومفاهيم الرياضيات، خلال العام الدراسي الحالي ٢٠١٣/٢٠١٤، واستعانت وزارة التربية والتعليم بخبراء في مرحلة رياض الأطفال، طالبوا بعدم تدريس المناهج لطلبة الرياض بطريقة فردية، أي كل مادة على حدة، بل بطريقة متكاملة.. الأمر الذي استوجب تعديل المناهج التي يجري تجريبها في رياض الأطفال منذ سنوات، كي تدرس المواد بشكل متكامل.

في الإمارات، كشفت وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد للعمليات التربوية فوزية حسن غريب، أن الوزارة بصدد إعادة هيكلة مرحلة رياض الأطفال، ودراسة مناهجها؛ لردم الفجوة بين هذه المرحلة والتعليم الأساسي، معتبرة أن تطوير تعليم رياض الأطفال مُبادرة لأحد أهداف الوزارة الاستراتيجية ٢٠١٠-٢٠٢٠.

ومن واقع نتائج دراسة رياض الأطفال بدولة الإمارات العربية المتحدة «الواقع والتطلعات»، أكدت

«غريب» على أن الدراسة أوصت بمراجعة وثيقة المنهج، وإدخال الإضافات اللازمة في ضوء توصيات الدراسة والمعايير العالمية، وإثراء المنهج بعدد من الوحدات التعليمية، والموضوعات الشائقة والمرتبطة بحياة الطفل وواقع مجتمعه، واعتماد معايير عالمية؛ لتقييم وإعداد خطط شاملة تحتوي على إرشادات واضحة، تيسر على المعلمة التطبيق الفعلي والتقييم المرحلي الموضوعي لمستويات الأطفال، وإعداد وثيقة وطنية خاصة بمعايير اللغة الإنجليزية، بما يتلاءم مع طبيعة مجتمع الإمارات، وإعداد وحدات ومصادر تعليم مرتبطة بهذه الوثيقة، والعمل على توفير برامج تدريبية للهيئة الإدارية والتعليمية، وفق أفضل الممارسات العالمية، وبصورة مستمرة، ووضع استراتيجية جديدة للتدريب والتأهيل، واعتبار الوثيقة الوطنية مصدرا أساسيا ومساندا لمعلمة الروضة أثناء تطبيق المنهج.

ووفقا لما كشفت عنه حقائق ومؤشرات الدراسة على مدار ٤٠ عاما من ١٩٧٣-٢٠١٣، ارتفع عدد رياض الأطفال من ٧ روضات ليصل إلى ١٢٤ روضة، وارتفاع عدد الأطفال من ٢١٣٥ إلى ٢٩ ألفا و٥٤١ طفلا إماراتيا، وعدد المعلمات من ٧٣ إلى ٢٣٠٤ معلمة، وبلغت نسبة التحاق الأطفال ٨٥٪، ونسبة المواطنات من معلمات رياض الأطفال ٧٩٪، الجامعيات منهن ٩٨٪، و٩٥٪ من المديرات مواطنات، ٧٩٪ من المعلمات تخصص رياض الأطفال، وبلغت نسبة الموجهات المواطنات ١٠٠٪، ولم تتوفر نسبة دقيقة للأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.

وقالت مدير إدارة الدراسات والبحوث التربوية بالإنابة د.فوزية بدري، إن مشروع تطوير مرحلة رياض الأطفال تضمن إعداد المنهج المطور، وإقامة مراكز التطوير، وتدريب وتأهيل المديرات والمعلمات بواقع ٧٨٤ معلمة

الكويت تلجأ إلى المناهج التكاملية.. والإمارات تعتبر التطوير هدفا استراتيجيا

و٦٤ مديرة و٢٤ موجهة، فضلا عن تهيئة البيئة التربوية، ووضع آلية للتقييم (أدوات التقييم وقياس الأداء)، وإعادة تنظيم البرنامج اليومي، وتطوير الهيكل التنظيمي، وصياغة الأنظمة واللوائح (القيد والقبول، الانتقال، الترقية)، وإعادة هندسة تصميم المبنى، وإدخال برامج إثرائية (اللغة الإنجليزية، التنمية اللغوية)، وتعديل برامج إعداد المعلمات.

رؤية ثانية

وفي المملكة العربية السعودية، أطلق مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز؛ لتطوير التعليم العام، من خلال تطوير الخدمات التعليمية، المرحلة الثانية من مشروع تطوير مناهج رياض الأطفال، والذي يطبق في (٥٠) روضة على مستوى المملكة.

وأوضح مدير عام المحتوى والمعايير والتقويم في تطوير الخدمات التعليمية د.منصور بن سلمة، أن العمل من خلال هذا البرنامج الذي يُطبّق حاليا في الرياض، والمنطقة الشرقية، ومحافظة جدة، ومنطقتي القصيم وحائل، على اختيار المناهج الأنسب لمرحلة رياض الأطفال على جميع المستويات، بمنهج يتواءم مع ثقافة المجتمع السعودي، وقيمه وعاداته، وخصائص الطفل السعودي، ويتوافق مع التوجهات العالمية في مجال الطفولة المبكرة.. فكان التركيز على الاستعانة بخبرات وطنية وعالمية؛ للمشاركة في تنفيذ المشروع.

كذلك عقد برعاية نائب وزير التربية والتعليم السعودي لشؤون البنات نورة الفايز، أخيرا اللقاء التعريفي لمشروع «تطوير مناهج رياض الأطفال» لمشرفات رياض الأطفال، ومديرات الروضات، بمشاركة مساعدات مدراء التربية والتعليم للشؤون التعليمية في مناطق الرياض، وحائل، والقصيم، والشرقية، وجدة..

تقليد أعمى

ومن قطر، أوضح أستاذ استراتيجيات تطوير المناهج د.المكاشفي عثمان دفع الله محمد، أن التربية كالثياب، ومن حق كل أمة أن تفصل ثيابها على مقاسها وليس على مقاس أمم أخرى، ومن حق كل أمة على بقية الأمم أن ترى منها ما يسر، أو على الأقل لا ترى منها ما يغم ويؤذي العيون والقلوب.. مؤكدا على أن الأقطار العربية لا تختلف عن غيرها، في أن أغلبها تُقلد الغرب تقليدا أعمى في كل شيء، مشددا على أن استيراد الفكر الحضاري من الاتجاه الخارجي، يكمن فيه الخطر كله.

وأضاف أن الثورة التكنولوجية الثالثة، لن تكون حكرا على المجتمعات الكبيرة أو القوية، إنما يمكن لجميع الشعوب أن تخوض غمارها، إذا ما أحسنت إعداد أبنائها تربويا وتعليميا.

حصانة روحية

وفي الجزائر، تعتبر «الكتاتيب القرآنية» حصانة روحية ودعامة أساسية في تعليم النشء وتربيته، حيث تلعب الكتاتيب القرآنية التي انتشرت بكم هائل في الآونة الأخيرة وبطريقة مرخصة، دورا تربويا وتعليميا كبيرا يتمثل في تربية وتكوين الناشئة تكوينا إسلاميا، يرتكز على تعليم الأطفال المبادئ الأولية والكتابة، مع تحفيظهم ما تيسر من كتاب الله العزيز، وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي، وتنشئتهم تنشئة إسلامية رفيعة، بناء على أسس وقواعد الدين الإسلامي

الحنيف، إذ إن دورها لا يقتصر على تعليم فئة الصغار من الفئة الذكورية فقط، بل حتى الفتيات لهن نصيب من التعلم والحفظ.. وبحسب الصحفية «سهيلة بركو»، فإن المدارس والكتاتيب القرآنية المنتشرة في كامل الجزائر، والتي بها يُحافظ الطالب على أصالته الإسلامية، بحفظ السور القرآنية من كتاب الله العزيز، وتعليم الناشئة العلوم والمعارف العربية والإسلامية، قبل التحاقهم بالمدارس والمراكز التعليمية.

النشء المسلم عماد الأمة

أما في مصر، فأكد العديد من الخبراء أن النشء المسلم هم عماد الأمة في كل العصور، وأن الشريعة حرصت على ترسيخ التعاليم والقيم الاسلامية، حتى يكون الشباب المسلم واعيا محبا لدينه ووطنه.

وبحسب عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة د.محمد أبوزيد الأمير، فإن الأزهر الشريف يُولي اهتماما بالغا بالنشء؛ لأنهم نواة المجتمع وجيل المستقبل، لذا حرص كل الحرص على الاهتمام بالطلائع، وتعليمهم ثوابت وركائز صحيح الدين، وأضاف أن بناء وتربية الأجيال أمر من الأمور المهمة في الحياة، وهذه التربية لابد أن تقوم على أساس قوي من المنهج السليم والعقيدة الصافية، مشيرا إلى أن تربية الأجيال لها عدة أطراف لابد أن تجتمع لتحقق هذا الهدف، وهو إخراج الجيل الفريد، وهذه الأطراف هي الأسرة والمدرسة والمعلم، وإن اختل أحد هذه الأركان أو ظهر القصور فيه أثر سلبا على عملية بناء وتربية الجيل المسلم.

مناهج المرح

وعلى أرض الواقع، انتقلت «الوعي الإسلامي» إلى مدرسة النور الإسلامية بأرض اللواء محافظة الجيزة، والتقينا الأستاذ حسين عبدالوهاب ناظر المدرسة، الذي أكد أن تجارب الطفل التي يعيشها أثناء السنوات القليلة الأولى تُحدد مستوى نمائه الإدراكي وارتباطه العاطفي الآمن بالآخرين، فضلا عن تحديد الطريقة التي يتفاعل بها الطفل مع الآخرين، ومع العالم من حوله.. ولفت إلى أن طفل الروضة يحتاج بشكل أساسي إلى ما يُعرف بصناعة عالم مرح متكامل، يوفر للأطفال أفضل فرص النمو الشامل المتوازن.. ففي المناهج الحديثة يُعتبر المرح واللعب والنشاط الحركي أحد مكونات حياة الطفل الأساسية، يميل إليها بفطرته، وينجذب إلى ممارستها بتلقائية وعفوية، لذلك أصبح التربويون ينادون باعتماده مدخلا رئيسيا من مداخل التربية والتوجيه والتعليم.

محاور أساسية

أما مدرس الرياضيات محمد مصطفى عبدالرحيم في المدرسة ذاتها، فأكد على أنه في كثير من الأحيان لا يتم تطوير المناهج، إنما يتم تغيير شكل الكتاب دون محتواه، لكن إذا أردنا تطوير المناهج فلابد أن نستند على عدة محاور أساسية، وهي روضة أو مدرسة فعالة، تقدم تعليما عالي الجودة لكل مُتعلم في بنية تعليمية، غير تقليدية ترتكز على المتعلم، وتقوم على وسائل وأساليب التعلم النشط، واستخدام التكنولوجيا بما يمكِّن المتعلم من التزود بمهارات العلم الذاتي، والتفكير الناقد، والمهارات الحياتية، ويستلزم ذلك أبنية تعليمية متكاملة، ومعلما أو مدرسة روضة على مستوى عال من المهنية والخبرة التي تمكنه من القيادة التربوية والتخطيط الجيد، والتفكير المُتكامل، وتجعل منه عنصرا فعالا في التغيير والتطوير.

وأكدت مدرسة اللغة الإنجليزية مروة حسن، على عدم مواءمة المناهج للواقع الحالي، مشددة على ضرورة أن تصمم على أساس طرفي العملية التعليمية الأساسيين، وهما التلميذ والمعلم، وشددت على أن غالبية طرق التدريس المطبقة حاليا ليست حديثة بالدرجة الكافية التي تواكب روح العصر أو حتى الأجهزة التقنية التي يستخدمها الطفل، قبل دخوله رياض الأطفال، ما يُحدث خللا لدى الطفل بين ما يعيشه في الواقع، وبين ما يتعلمه في الروضة أو المدرسة.

السعودية تتبنى مناهج تتواءم مع ثقافة المجتمع وقيمه وعاداته وخصائص أطفاله

طفرة منهجية

أما سامية مصطفى حسن، ولية أمر لثلاثة تلاميذ، إحداهن في الروضة والثاني في الصف الثاني الابتدائي، والثالثة في الصف السادس، فتؤكد على أن جيل اليوم لم تعد تصلح معه مناهج الجيل الذي سبقه، فضلا عن أن نستخدم في تعليمه تلك المناهج

والوسائل التي استخدمها جيل الآباء والأمهات، موضحة أن المتغيرات العصرية المتسارعة يجب أن يتم مراعاتها في المناهج، خاصة بالنسبة للنشء في مرحلة رياض الأطفال والابتدائي.. وأكدت على أن ابنتها الصغيرة «أيسل»، ذات الأربعة أعوام، تُفاجئها دوما بأسئلة وطاقات ذهنية، تؤكد على حاجة هذا الجيل إلى طفرة منهجية غير محدودة، لكن بما يتوافق مع قيم المجتمع والهوية الإسلامية والحضارة العصرية.

في المقابل، قالت معلمة رياض الأطفال عايدة جمال: «المناهج الدراسية والأنشطة التربوية التي تُدرس منذ ثلاث سنوات بعد تطويرها تساعد بدرجة كبيرة على محو الفجوة بين هذه المرحلة والتعليم الأساسي».

موضحة أن المنهج الجديد يرفع شعار «من حقي ألعب وأتعلم وأبتكر»، حيث تم إثراء المنهج بموضوعات مهمة مرتبطة بحياة الطفل وواقعه المجتمعي، فضلا عن أن المنهج يُلبي حاجة طفل الروضة، الذي تتبلور فيها شخصيته، وتنعكس على مشواره التعليمي، ويجعلنا نؤسس جيلا قادرا على مجاراة كل ما هو متطور.

زرع الثقة بالنفس

بدورها، أكدت الخبيرة في مجال الطفولة وفاء المستكاوي، على أهمية زرع الثقة بالنفس في نفوس أطفالنا في تلك المرحلة العمرية الحرجة، لأن الثقة تنعكس على دراسة الطفل، وتعاملاته، وعلاقاته، وآرائه، وحديثه، ولغته.. لذلك لابد من تدعيم ثقته بنفسه، من خلال التعاملات اليومية، وضرورة إكسابه الاستقلالية في سن مبكرة، بحيث نجعله دائما يشعر بالأمن والأمان.. فالطفل في مرحلة الرضاعة إذا كانت أمه هادئة تحيا

حياة مستقرة خالية من التوتر، ينعكس ذلك عليه، فيشعر بالأمان والدفء، وهذه قاعدة أساسية، تطبق على مراحل تعليمه المختلفة.

تأهيل نفسي

إلى ذلك، أوضح أستاذ المناهج وطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة قناة السويس د.مصطفى رجب سالم، أن إعادة هيكلة مرحلة رياض الأطفال، لا تتطلب تقديم أو تغيير مناهج، بل تحتاج إلى أنشطة تربوية، تعمل على تأهيل الطفل نفسيا ليصبح محبا للتعليم، لأن العلم في هذه المرحلة يُدرس من خلال أنشطة مختلفة، فضلا عن أن الطاقة الاستيعابية للطفل، قادرة على التعلم والنجاح.

وأكد على أن غرس المبادئ الدينية، لا يتم إلا عن طريق القدوة الحسنة، التي تعلمه حسن الخلق، وعفة اللسان وطهارته، وتجعل لسانه دائما عطرا بذكر الله، وذلك من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة عن طريق العمل التعاوني، واستراتيجيات تعاون جديدة.

هيئة خاصة

أما الخبير التربوي ورئيس الجمعية المصرية للمناهج والتدريس، د.محمود الناقة، فيعتبر مرحلة رياض الأطفال من أصعب وأهم المراحل، حيث ترجع أهميتها إلى أن عقول الناشئة لم تزدحم بعد، فضلا عن أنها نشطه، وخلاياها غير ملوثه، فلابد أن يكون لمرحلة رياض الأطفال قطاع متخصص في وزارة التربية والتعليم؛ لأنها تعتبر مرحلة الغرس، التي تبنى عليها المراحل التعليمية الأخرى.

وأكد على أن هذه المرحلة ليست في حاجة إلى كتاب أو تلقين أو حفظ، إنما في حاجة إلى ممارسة أنشطة كافية، كالحكايات والقصص والتعامل مع الإلكترونيات، لكن بشرط أن تكون محددة الأهداف والنتائج أيضا، الأمر الذي يجعلنا نتأكد جيدا من الجرعات المطلوبة من هذه الأنشطة، وتوزيعها بشكل متساو، حتى لا ينجرف الطفل إلى اتجاه معين، ولا يأخذ من النشاط سوى عيوبه، ويتعود عليه، مثل استخدامه لجهاز الحاسب الآلي فقط، فالأمر هنا في حاجة إلى آلية وتنظيم، وتخطيط علمي.

ودائع الله

أخيرا، يستشهد الشيخ معوض عوض إبراهيم (من كبار علماء الأزهر وعضو لجنة الفتوى في الأزهر سابقا) بقول الرسول الكريم ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، في كتابه «الأولاد ودائع الله عندنا»، مؤكدا على أن الأطفال في مراحلهم التعليمية الأولى عود غض طري، وممارسة الحياة مازالت في أول الطريق، وهو مناخ تنمو فيه المخاطر، لذا فلا يجب استهواء الأطفال؛ من خلال أنشطة لا تنفعهم، أو محاولة التأثير عليهم، وصرفهم عن مقتضيات الفطرة، التي فطرهم الله عليها، وهي فطرة الإيمان وتوحيد الله، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه.

آثار المعصية في الفرد والمجتمع

مختار محمد لوح
باحث تربوي

ولاء الله تعالى للمؤمنين يقتضي حدودًا يضعها لهم ضمانًا لفوزهم، كما أن براءته من الكافرين توجب خذلانه لهم تحقيقًا لعدالته ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾ (محمد: ١١)، فيكون موقفه من الفريق الأول توجيهًا وزجرًا حين عجل عقوبتهم ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم: ٤١)، وجزاء وعذابًا للفريق الثاني حين أجل هذه العقوبة ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ (إبراهيم: ٤٢).

قبل تفصيل الموقف الأول- الذي يعنينا هنا- نذكر بأن صلح المسلم مع ربه، يكون بمقدار طهارة روحه، فكلما هجر الرجس وأحسن تطبيق العبودية لله واجتهد في ذلك، ازدادت السبيل وضوحًا، وعاين نتائج عمله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ (العنكبوت: ٦٩)، أما إذا آثر الحياة الدنيا ولبى طلبات النفس الأمارة بالسوء، وارتكب المعاصي بغير توبة، فسيتحول بعضها منغصات ذات انعكاسات سلبية على حياته.

وسنسوق في الفقرات التالية أدلة نقلية ومواقف تاريخية تؤكد صحة هذه الأطروحة، كما سنتطرق إلى آثار روحية ومادية ذات صلة بمعاصي الفرد والمجتمع.

١- الأدلة النقلية: نذكر منها ما يلي:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ (الشورى: ٣٠).

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ (المطففين: ١٤).

يعلق الطبري على الآية الأولى: يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم فبما كسبت أيديكم، يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما أجرمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها. وعن النبي ﷺ: «لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر»(١).

وعن الران المذكور في الآية الثانية، قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه، فذلك الران الذي قال الله ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾(٢).

قد يقول قائل: إن الآية ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ ...﴾ امتداد لسياق موجه إلى الكفار المكذبين بيوم الدين والمستهزئين بالقرآن، لقوله تعالى قبل ذلك ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾ (المطففين:٧)، فكيف يقصد به نكتة في قلوب عاصين من المسلمين بدل قلوب الكافرين؟

إن الران يجوز أن يكون في قلوب الكافرين بسبب كفرهم، كما يجوز أن يكون في قلوب المؤمنين بسبب ذنوبهم، وإن كانت درجات النكتة متفاوتة، وبذلك تكون المقابلة متوازنة بين مرض القلوب الذي كان سببه النفاق والكفر، والقلوب المغطاة بالران بسبب (مَا كَانُوا يَكْسِبُون) بل الحديث المذكور حجة داحضة.

٢- أدلة من المواقف التاريخية

من ينظر في التاريخ الإسلامي على تعدد مراحله، يجد آثار المعصية واضحة، سواء في صدر الإسلام أو ما بعده من أحداث، وسنكتفي ببعضها فيما يأتي:

- معاصي ثلة من المسلمين في صدر الإسلام

لما حاصر المسلمون بني قريظة ليالي عدة وأعياهم الحصار، طلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة، ليستشيروه «... وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال، نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح. قال أبولبابة: فوالله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبولبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده..»(٣).

أما أثر معصية أبي لبابة رضي الله عنه فواضح جدا تمثل في هذا الارتباط ست ليال حتى كانت زوجته هي التي تفكه ليتمكن من الوضوء والصلاة(٤).

كما نستدل بمعصية ذي الخويصرة التميمي الذي أساء الأدب مع الرسول بعد غزوة حنين، فقال عنه الرسول ﷺ: «فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية...»(٥) إعلانا لحتمية ردته كأثر لمعصيته. هذا بالإضافة إلى معصية كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع الذين سماهم القرآن بالثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك.

- موقف عمر بن الخطاب من المعصية

في معركة القادسية، أوصى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص أمير الجيش فقال: «...آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا، ولن نغلبهم بقوتنا..»(٦).

لعل الأدلة المذكورة وضحت آثار المعصية في حياة المسلم، وقد يصعب إحصاء هذه الآثار، لذا نقوم بعرض الآثار الروحية والمادية حيث تندرج تحتهما عناوين فرعية.

١- الآثار الروحية

نعني بها تلك الآثار التكاثرية التي تجعل القلب جاهزا لاستقبال المعاصي واستضافتها، وذلك الخسران المحتم بسبب حبوط عباداته، وتلك الآثار النفسية المؤقتة ذات القابلية للتغير بسبب التوبة والإنابة:

١- ١: تكاثرية المعاصي

حين نهي أبونا آدم عن الاقتراب من الشجرة وعصى، أثر ذلك في مضاعفة المعصية الواحدة إلى معاصي عدة، وإليكم الآثار في الجدول التالي:

المعاصي المرتكبة	الآثار الناتجة عنها	أدلة المعاصي
الاستماع إلى إبليس مع علمه بعداوته له	الإيمان بـ«نصيحة إبليس» وقبوله لها	﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ (طه: ١١٧)
الاقتراب من الشجرة	قطف ثمرها	﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (الأعراف: ١٩)
الأكل منها	انكشاف السوءة	﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ (الأعراف: ٢٢)

يلاحظ في الجدول السابق كيف أن المعاصي متتالية بصورة تلقائية، فولدت السابقة اللاحقة، فأنتجت تلك الآثار على النحو الذي رأينا، وكيف أنه نسي التوبة أثناء المعصيتين الأوليين.

٢-١: حبوط الأعمال

هذا أخطر أثر تحدثه معصية الفرد المسلم، لأنه لا يشعر به وينسى التوبة إلا من رحم الله، وهناك ذنوب تسببه، منها:

أ- الشرك بالله: فهو معصية نتائجها وخيمة، لأنها الخسران المحتم في الآخرة، حيث لا أمل لمن مات على الشرك في النجاة من عذاب النار، لأنه يصل الآخرة بدون زاد، فإن كان طائعا فقد حبطت طاعاته ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

ب- الردة: وهي أيضا من المعاصي المحبطة للعبادات ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...﴾ (البقرة: ٢١٧).

ج- سوء الأدب تجاه النبي ﷺ: وقد يكون إما برفع الصوت عند حضوره، وإنه لمعصية خافية لولا البيان القرآني الذي جعله يحبط الطاعات، سواء كان هذا الرفع في حضوره أو في غيابه، كتقديم كلام آخر على كلامه ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)

وإما بمحاجته كما حدث في القصة السابقة مع ذي الخويصرة التميمي.

٢- الآثار النفسية

نقصد بها المعوقات التي تعوق الروح عن الصعود، وتخلد النفس في سفاسف الأمور وهي متعددة المظاهر: تلك الحالات التعسة التي تلحق بالمسلم هموما وغموما، وأحلاما مزعجة لا تكاد تفارقه ليلة، هذا الفتور الذي يصيبه في أكثر الأحايين بحيث يصبح هامدا ذابلا في الطاعات، ذاك الكسل الذي يلازمه عند الصلاة، ذلك الحرمان من الإحساس بالقيم الإسلامية، هذا الافتقار إلى الربانية في معاملاته، هذا الاحتساب المفقود لدى ممارسة الشعائر الدينية والأعمال العادية، هذه الغفلة التي لازمته، الغفلة عن المراقبة والعجز عن الخشوع حتى إذا انتهى من الصلاة نسي السورة التي قرأها! يقرأ القرآن ولا يتجاوز شفتيه ولا يستطيع معاينة الحسنات الجزيلة ولا الشعور بالدرجات المرفوعة، ولا الخطايا المنحطة عند خطوات المسجد أو انتظار الصلاة، لا يذكر الله تعالى إلا قليلا، وإذا ذكره يوما لا يحس بعظمة المذكور الذي شرفه بذكره، وذكره في ملأ أفضل.

يحسن أن يسأل هذا المسلم لماذا تحول كذلك؟ ولاشك أن هذه حالات شقاء وتصرفات ذل تصدر من النفس بسبب اتباع الهوى الذي يجعل الفرد في أحوال مسكنة وندامة وحسرة لا تزول إلا بصدق الإنابة والتوبة النصوح، وإلا يظل مثل الذي ﴿...أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ...﴾ (الأعراف: ١٧٦).

أما كون هذه الحالات تصدر بسبب اتباع الهوى، لأن جميعها جور، والجور يجلبه هوى النفس، وقد حذرنا الله منه حفاظا على العدل في المجتمع المسلم ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ...﴾ (النساء: ١٣٥) ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦).

إنه لهوى النفس الذي أمرنا بمخالفته ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠) هو الهوى الذي ألجم عقله وروحه وفكره، فصار كما قال الشاعر يؤنب نفسه:

طبعي اتباع الهوى وقلة الورع
والحرص والبخل في الأموال بالجشع
نفسي تقود حجاي الدهر كالفرس
ولم أقل فيه شيئا مثل ذي الخرس
نفسي إلى الغير دون الخير داعية
كأنها حين تعصي الله داهية
تنام عيني وقلبي كل أزمنة

وهمتي للمعالي غير مركنة
حتى ذنوبي ونومي خففت زنتي
أستغفر الله من نومي ومن سنتي (٧)
إن مخالفة هذه المعصية، كما قال عنها سيد قطب رحمه الله: هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأجل لعلاجها(٨).

إن هذه المعصية لإله يعبده الغافل بغير شعور ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الفرقان: ٤٣)، لهذا كان الرسول ﷺ يصور غضب الله تعالى وبغضه للهوى فقال: «ما تحت أديم السماء إله يعبد من دون الله عز وجل أبغض إلى الله عز وجل من الهوى»(٩).

٣- الآثار المادية

إنها تلك الآثار المحسوسة التي يعاني منها الفرد أو المجتمع المسلم من نواحٍ عديدة، وسنقتصر في الجانب المالي مع الفرد والمجتمع:

أ- آثار المعصية المالية على الفرد

كم نرى موظفًا يتقاضى راتبًا قياسيًا ولكنه يظل في ضنك من الحياة.. نفقات لا تغطي احتياجات الأسرة من الغذاء والكساء والدواء، وقد يبني قصرًا أو بيتًا فاخرًا ثم يخر عليه السقف من فوقه، أو يشتري سيارة ذات طراز نادر، ولكن لا يلبث أن تصطدم أو تسرق أو تتعطل كليًا، وقد يصاب بمرض عضال يلزمه الفراش، ولا يستطيع الاستفادة من المال الذي جمعه وعدده.. تشتُّت الأسرة وانتشار العداوة والبغضاء والإحن وسوء التفاهم بين الأبناء والآباء والأمهات.. خصومات واشتباكات لانهاية لها، وقد تمتد آثار ذلك إلى الجيران والأصدقاء، بل إلى أماكن العمل أحيانًا.

كل هذه الآثار، إذا لاحظها المرء في حياته فليتهم نفسه، ولينظر إلى حاله، لعله يرى معصية ارتكبها لم يتب بعدها.. هل تعامل مع البنوك الربوية بغير عذر؟ هل تأخر أو غاب عن عمله بدون حجة معقولة؟ هل قام بفساد إداري في كهرباء المؤسسة أو مياهها أو تهويتها أو هواتفها؟ هل استهلك بنزينها لأغراض شخصية بإيصال مختلق؟ هل سافر باسم المؤسسة وزاد المسافة في ورقة الانتقال رغبة في تعويضات أكثر؟ هل استهلك الميزانية ثم بررها بفواتير وهمية؟ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ (الأنفال: ٥٣).

ب - آثار المعصية المالية على المجتمع

إذا انتشرت المعاصي في قوم مع غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عمتهم آثارها، لهذا لا غرو أن تشهد المجتمعات المسلمة كوارث مالية وبيئية جماعية كالأسواق والمحلات التجارية المحترقة، المجهولة أسباب حريقها والتي تذهب بملايين الدولارات وتحصد العديد من الأرواح، كما نجد الآفات الزراعية التي تتمثل في القحط المتكرر أو غزوات الجراد، بعد ما ظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمر الله ليلا أو نهارا فجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس.

والمدقق في هذه الأحداث يرى أن السبب الغالب يكمن في الزكوات المرفوضة، والحقوق المغصوبة وغيرها من المعاصي المسكوت عنها، فليس بدعًا إذن أن تتحول تلك المعاصي نارًا تعذب صاحبها في الدنيا كما ستعذبه في الآخرة ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (التوبة: ٣٥)، وهكذا يُرجع المفكر الإسلامي الكوارث إلى المعاصي والإعراض فيقول: «...كما يمكننا رصد العديد من الملمات والزلازل والأحداث والسيول والفيضانات والانهيارات والتفجيرات البركانية الهائلة التي مست التجمعات البشرية، والتي ترجع- حسب العرض القرآني- إلى الإعراض عن اتباع ذكر الله، والاستهزاء بذاته سبحانه وتعالى وبرسالاته لأنبيائه، والنكوص عن الوفاء بعهد أبينا آدم عليه السلام الذي قطعه أمام ربه بعد أن تاب عليه، والإفساد والطغيان والظلم والاستكبار والعلو بغير الحق في الأرض، وليس لها في القرآن تفسير غير هذا»(١٠).

وللتخلص من هذه الآثار، يتزود المسلمون بعزيمة الإقلاع عن الذنوب، لأنه «إذا ظهرت العزيمة على ترك المعاصي، وجد القلب قوة على زجر النفس، ورفض ما عزمت عليه، فانقمعت النفس وذابت، وسكن غليان الشهوة، وماتت اللذة، وسكنت العروق، ودرست صورة تلك المعصية عن الصدر»(١١).

الهوامش

١- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ص ٥٣٨.
٢- المرجع السابق- ص ٢٨٦.
٣- محمد بن إسحاق بن يسار- السيرة النبوية لابن هشام، مؤسسة علوم القرآن- بيروت- ط٢ (د ت) ص: ٢٣٦، ٢٣٧.
٤- سيرة ابن هشام، المرجع السابق، ص ٢٣٨.
٥- سيرة ابن هشام، المرجع السابق، ص ٤٩٦.
٦- موقع: www.al sahaaba.net.
٧- الشيخ أحمد بمبا السنغالي، تحفة الأواه في تخميس «أستغفر الله»، مطبعة الشيخ عيسى جنغ، دكار (٢٠٠٩) ص، ص١٢،١٠،٩، ١٣ بتصرف.
٨- علي لبن، من مبادئ الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية- مدينة نصر- ط١ (٢٠٠٣)- ص ١٢٩.
٩- محمد بن علي بن حسن الترمذي، رياضة النفس، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢ (٢٠٠٥)، ص ٤٧، نقلا من حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.
١٠- د.أحمد عيساوي، الكوارث البيئية: استقراء وتحليل، مجلة الوعي الإسلامي- الكويت، العدد (٥٣٨) جمادى الآخرة ١٤٣١هـ- مايو/ يونيو- ٢٠١٠- ص ٢١.
١١- رياضة النفس- مرجع سابق ص ٣٧.

حضارتنا المتألقة في العصور الوسطى

د. أشرف صالح محمد
عضو هيئة التدريس
جامعة ابن رشد - هولندا

قدمت الحضارة الإسلامية نموذجًا رائعًا للوحدة والتنوع في إثمارها الحضاري، حيث هضمت فنون الأمم السابقة، وأعادت تمثيلها بعد تشذيبها وتهذيبها، وتصحيح اعوجاجها، وإكمال نقصها، ومن ثم إخراجها في حلة قشيبة، وكل ذلك في ظل عقلية تؤمن بالتكامل المعرفي للبشرية ومبدأ الأخذ والعطاء، عقلية تبغض التقليد وتمجد التجديد، عقلية ترفض الإلغاء والإقصاء، والعصبية المقيتة، والإقليمية الضيقة. وبينما كان العالم الإسلامي يموج حضارة وتمدناً خلال عصور الخلافة الراشدة والأموية والعباسية والعثمانية، كانت أوروبا تعيش في أتون الجهل والهمجية والبربرية والرق والعبودية. وهذه حقيقة لا ننكرها بل نقرها، فعلماء المسلمين في كل مشاربهم إبّان عصور حضارتنا الإسلامية التي غبرت لم يخلّفوا لنا سوى أمجادهم وكتبهم وتراثهم الذي نهلت منه كل الروافد المعرفية العالمية، لأنه كان ثبتا اتسم بالمصداقية البحثية مما جعلهم مشاعل التنوير ودعاة الاستنارة، ومجددين ومبدعين للعلم، فظلت حضارتهم تروي الإنسانية عبر القرون الوسطى حيث كانت الهمجية تسود أوروبا.

الحضارة هي الجهد الذي يقدم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معًا، فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية، مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيرًا سليمًا، أما المدنية فهي التقدم والرقي في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة مثل الطب والهندسة والزراعة، وغيرها. وقد سميت بالمدنية، لأنها ترتبط بالمدينة، وتحقق استقرار الناس فيها عن طريق امتلاك وسائل هذا الاستقرار، فالمدنية تهدف إلى سيطرة الإنسان على الكون من حوله، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان، ولابد للإنسان من الثقافة والمدنية معًا، لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم، وتتحسن حياتهم، لذلك فإن الدولة التي تهتم بالتقدم المادي على حساب التقدم في مجال القيم والأخلاق، دولة مدنية، وليست متحضرة، ومن هنا فإن تقدم الدول الغربية في العصر الحديث يعد مدنية وليس حضارة، لأن الغرب اهتم بالتقدم المادي على حساب القيم والمبادئ والأخلاق، أما الإسلام الذي كرم الإنسان وأعلى من شأنه، فقد جاء بحضارة سامية، تسهم في تيسير حياة الإنسان.

سمات الحضارة الإسلامية

لقد وصف المسلمون في العصور الوسطى بأنهم بالفعل أصحاب أعظم حضارة، والسبب في هذا أن الحضارة الإسلامية كانت عالمية المنبع والمصب، فقد استفاد المسلمون من تراث الأمم السابقة في صورة التراث اليوناني والفارسي والهندي، وخاصة اليوناني، ولم يجدوا مشكلة تعوقهم في ترجمة هذا التراث نظرا لازدهار العالم الإسلامي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية.

فقد تألقت الحضارة بسبب اقتصادي، حيث وضع المسلمون أيديهم على منافذ خطوط التجارة العالمية، وسيطروا على مناطق من البحر المتوسط حتى سور الصين العظيم، والشمال الأفريقي، وجنوب غرب أوربا في صورة شبه جزيرة أيبيريا، وكذلك جزر البحر المتوسط، حيث نمت تجارة المسافات البعيدة، حتى إنه لقد صدرت البضائع من خراسان بعيدا إلى مصر وشمالي أفريقيا، وبذلك سارت في أيديهم أموال سائلة ضخمة لتمويل مشاريع الترجمة والتشييد والبناء، ومن حسن حظ المسلمين أنهم سيطروا على مراكز التراث القديم في الهند وفارس ومصر فكانت حضارتهم متألقة.

يذكر أن الحضارة الإسلامية كانت ذات بعد إنساني واضح، كما اتسمت بطابع التسامح ولم تعرف التعصب، فقد أشار كلود كاهن Claude Cahen (١٩٠٩م - ١٩٩١م): إلى أن روح التسامح تلك لم تشهدها الحضارات العالمية قديما أو حديثا. ويكفي أن عظماء الأطباء كان منهم المسيحيون واليهود، ومثال ذلك:«حنين ابن إسحق» (١٩٤ - ٢٦٠هـ/ ٨١٠ - ٨٧٣م) الذي أجاد اليونانية والسريانية والعربية، وأيضًا «موسى ابن ميمون» (١١٣٥م - ١٢٠٤م) وهو طبيب يهودي بارع وواحد من سبعة أطباء كانوا مرافقين شخصيين للسلطان الأيوبي صلاح الدين (١١٣٨م - ١١٩٣م). وبذلك التقى الإسلام والمسيحية واليهودية في حضن حضارة واحدة عالمية قامت بمشروع حضاري في العصور الوسطى عجزت أوربا عن القيام به، وإنما قامت بمشروع متعصب في صورة الحروب الصليبية.

مدن تاريخية ومتحفية

كان ازدهار الحضارة الإسلامية من خلال ازدهار المدن كالكوفة، والبصرة، وبغداد، ودمشق، والقاهرة، والفسطاط، والعسكر، والقطائع، والقيروان، وفاس، ومراكش، والمهدية، والجزائر وغيرها، وقد انعكس هذا الازدهار على المناطق الريفية. كما خلفت الحضارة الإسلامية مدنًا متحفية تعبر عن العمارة الإسلامية كإستانبول بمساجدها، والقاهرة بعمائرها الإسلامية، وبخارى، وسمرقند، ودلهي، وحيدر أباد، وقندهار، وبلخ، وترمذ، وغزنة، وبوزجان، وطليطلة، وقرطبة، وإشبيلية، ومرسية، وسراييفو، وأصفهان، وتبريز، ونيقيا وغيرها من المدن الإسلامية. وكانت هذه المراكز في تناقض واضح بالمقارنة بالمدن البائسة للعصور المظلمة في أوربا، وخصوصًا بين القرنين الخامس إلى العاشر الميلاديين، حيث أصيبت حضارة الغرب بالانحطاط في مختلف المجالات، ولم يبق من معارف الإغريق والرومان التي ازدهرت في أوربا سوى القليل محصورًا بين الأديرة والكاتدرائيات وبلاطات الحكام، وتميزت العصور المظلمة بتفشي الجهل، والتزّمت الديني الشديد، وتعاظم دور الكنيسة في مختلف مجالات الحياة.

حركة الترجمة

لقد كانت الترجمة هي أولى مراحل الحركة العلمية الإسلامية، وبداية التأريخ للعلوم في الحضارة العربية. وقد بدأت الترجمة بداية منظمة منذ بداية الدولة الأموية؛ فقد عمل الأمير الأموي خالد بن يزيد ابن معاوية (ت ٨٥ هـ) على نقل بعض الكتب في الطب والكيمياء إلى العربية، وقد استمر في الحكم ثلاثة شهور، ثم تخلى عن الخلافة لينصرف إلى العلم، وقد درس بعض المستشرقين جهوده، وتوصلوا إلى أنه أسهم في تاريخ العلم.

وكانت الترجمة من أهم الأنشطة

العلمية طوال العصر العباسي، لاسيما في عهود أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون، وظهر في تلك الفترة مترجمون رواد حملوا على عاتقهم عبء نقل التراث الإنساني الموجود آنذاك إلى اللغة العربية التي كانت لغة العلم في ذلك العصر، مما حدا بالعلامة «البيروني» إلى القول: «إن الهجاء بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية».

ومن رواد الترجمة حنين بن إسحاق وأولاده، ويوحنا بن ماسويه، وقسطا بن لوقا البعلبكي، وحبيش بن الحسن الدمشقي، واصطفن بن بسيل. ويذكر هنا أن العباسيين لم يتعصبوا للإسلام على نحو يجعلهم يتجنبوا التعامل مع علماء الديانات الأخرى، والدليل على التسامح حينذاك أن حركة الترجمة قامت على أكتاف العناصر المسيحية التي حققت إنجازا غير مسبوق، وفي حالة تعصب العباسيين رفضت هذه العناصر المساهمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية.

ولم يقتصر دور العرب على الترجمة والنقل الأمين وحفظ العلوم من الضياع فقط، بل وقفوا موقف الدارس والشارح والمؤلف، فشرحوا الغامض، وصححوا الأخطاء، وأدخلوا الكثير من التعديلات والإضافات والتعليقات على أعمال الأقدمين. ولذلك فإن الحضارة الإسلامية تسمى «حضارة الجسر أو المعبر»، لأنها حملت التراث الكلاسيكي اليوناني وتراث الهند وإيران إلى أوربا، فكان التراث الإسلامي العامل الرئيس لبدء عصر النهضة الأوربية، وهذا ما اتفق عليه الكثير من مؤرخي العلم، فانتقال التراث الإسلامي -وخاصة العلوم والمعارف- إلى غرب أوربا خلال العصور الوسطى كان العامل الرئيسي لبدء عصر النهضة في أوربا وانتقالها من عصر الظلمات إلى عصر البحث والكشف العلمي.

صناعة الورق الإسلامية

الورق المعروف حاليًا يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، ففي عام ١٠٥ بعد الميلاد صنع الصيني تسي آي لون ورقا من لحاء الشجر وشباك الأسماك، ثم توصل الصينيون إلى صنع الورق من عجائن لباب الشجر، فحلت بذلك مكان الحرير غالي الثمن، والغاب ثقيل الوزن اللذين قنع بهما الصينيون زمنا طويلا. وبعد ذلك طور الصينيون هذه الصنعة باستخدام مادة ماسكة من الغراء أو الجيلاتين مخلوطة بعجينة نشوية ليقووا بها الألياف، ويجعلوا الورق سريع الامتصاص للحبر.

ولكن الورق الصيني كان محدود الانتشار، ولم يذع خبره في العالم القديم أو الوسيط حتى القرن الثامن الميلادي، حين عرف العرب أسرار صناعة الورق الصيني بعد فتح سمرقند عام ٩٣هـ/ ٧١٢م. وأسس أول مصنع للورق في بغداد عام ١٧٨هـ/ ٧٩٤م، وأسسه الفضل بن يحيى البرمكي في عصر هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م)، ثم انتشرت صناعة الورق بسرعة فائقة في كل أنحاء العالم الإسلامي، فدخلت سوريا ومصر وشمال أفريقيا وإسبانيا، وكان الناس يكتبون حتى ذلك الوقت على الرق والعسب واللخاف، ثم أمر هارون الرشيد، بعد أن كثر الورق، ألا يكتب الناس إلا في الكاغد (الورق الكتاني).

ويعتبر هذا الأمر إنجازا كبيرا، لأن المسلمين في ظل حضارتهم المزدهرة في العصور الوسطى كانوا أكثر أمة استهلاكا للورق، حيث انتشرت في أسواقهم دكاكين الوراقين، وكان أفضل أنواع الورق الصحف الدمشقية.

المنهج التجريبي

لقد قام العلم الإسلامي على أساس من الملاحظة والتجربة، فالمسلمين أول من تحدث عن المنهج التجريبي في العلوم في العصور الوسطى في وقت كانت فيه أوروبا لا تدري من أمرها شيئًا، وهو منهج مخالف تمامًا لما كان عليه اليونانيون أو الهنود أو غيرهم، فهذه الحضارات كانت تكتفي في كثير من الأحيان بافتراض النظريات دون محاولة إثباتها عمليًا، فكانت في أغلبها فلسفات نظرية، لا تطبيق لها في الكثير من الأحايين، حتى وإن كانت صحيحة، وكان يؤدي هذا إلى الخلط الشديد بين النظريات الصحيحة والباطلة، إلى أن جاء المسلمون فابتكروا الأسلوب التجريبي في تناولهم للمعطيات العلمية والكونية من حولهم، وهو ما أدى إلى تأسيس قواعد المنهج العلمي التجريبي، الذي ما زال العلم المعاصر يسير على هديه.

ومن العلماء المسلمين الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال جابر بن حيان (ت ٨٠٣م)، والخوارزمي (ت ٨٤٠م)، والرازي (٨٦٤ - ٩٣٠م)، والحسن بن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٤٠م)، وابن النفيس (١٢١٣ - ١٢٨٨م)، وغيرهم كثير، وهناك بعض العلماء وضعوا كتب في الرحلة، فحرصوا على أمر المعاينة والمشاهدة، ومثال ذلك الطبيب والرحالة العراقي عبد

اللطيف البغدادي في كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأمر مصر»، ومعنى هذا أن البغدادي اتخذ من المعاينة وسيلة لتجربة الرحلة، لذا من حق المسلمين أن يفخروا بأنهم أوجدوا المنهج التجريبي قبل فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦م) وغيره من علماء الغرب.

في الواقع لقد كان للنهضة الفكرية الإسلامية أثر ملحوظ في تطور العلوم الإنسانية والتطبيقية للأمم المجاورة التي نقل إليها هذا التراث، في حين انحصر التراث العربي الإسلامي في موطنه بين القراءات النقدية التحليلية وانضواء معظم دارسيه تحت جاهزية المعطيات العلمية والفكرية، بالرغم مما يحتويه هذا التراث من زوايا علمية تفرد بها دون تراث الأمم الأخرى، لاسيما ما يملكه من تنوع وخصوبة منهجية ونقدية، وكان من بين هذه العلوم:

علم النفس

علم النفس من العلوم التي كان للمفكرين العرب دور في إبداعها وتدوينها بشكل مميز لا يخلو من الجدلية والمعاصرة الملائمة لروح العصور المختلفة، وقد أدرج ضمن الدراسات الفلسفية والحكمة والطب حيث لم يكتسب استقلاله العلمي التخصصي، بل ظهر كجزء مكمل للأبحاث الكلامية والطبية الموسعة التي قام بها الفلاسفة العرب.

كذلك بوّب العلماء المسلمون النفس ضمن مصنفاتهم الفلسفية الشاملة بعد أن ملئت شروحا وانتقادا على ما هي عليه في اليونانية، ثم أفرد بعضهم لها فصولا في المؤلفات الطبية كأبي بكر الرازي (٢٥١ هـ – ٣١٣ هـ)، وابن سينا (٣٧٠ هـ – ٤٢٨ هـ)، وعليه أصبح للنفس منحى نظريا في المؤلفات الفلسفية، في حين أخذت طابعا آخرا في المؤلفات الطبية التي لا تهمل الارتكازات النظرية التي دونها الفلاسفة، وأصبحت النفس مبحث علم الأخلاق، فأبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف كان يؤمن «بمعالجة النفوس كما تعالج الأجسام، لما لها من تأثير في صحة ومرض الأجسام، ويرى أن يكون طبيب الجسم في الوقت نفسه عالما بطب النفوس».

يعتبر كتاب «الطب الروحاني» لأبي بكر الرازي والذي يسمى بكتاب «طب النفوس» أهم المصادر التراثية لعلم النفس، حيث أفرده لدراسة النفس من منظور تخصصي، يتكون الكتاب من عشرين فصلا، ورغم صغر حجمه فقد دون فيه الكثير من المعلومات النفسية فعرف فيه ماهية النفس والانفعال، الكآبة، الجنس، الإدمان، العادة وحتى عقدة النقص.

ذكر إخوان الصفا موجزا شاملا في علم الأصوات

كما أدلى الفقيه الأندلسي ابن حزم بدلوه في هذا الشأن، حيث تناول في كتابه «طوق الحمامة في الألفة والألاف» عاطفة الحب الإنسانية بالبحث والدرس، على قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة، فيعالج ابن حزم في أسلوب قصصي هذه العاطفة من منظور إنساني تحليلي. والكتاب يحتوي على مجموعة من أخبار وأشعار وقصص المحبين، وقد وصف بأنه أدق ما كتب العرب في دراسة الحب ومظاهره وأسبابه، وقيل أنه توصل لأفكار تفوق ما توصل إليه عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩م).

علم الصوت

اهتم الفلاسفة العرب بالبحث في الصوت، وألموا بالمعلومات الأساسية فيه، ولهم تصانيف في الموسيقى ضمنوها مباحث في منشأ الأصوات، وكيفية انتقالها، واختلاف بعضها عن بعض، وتناولوا كذلك بالبحث موضوعات يتناولها الآن علم الأصوات الحديث.

فقد ذكر إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي) في رسائلهم موجزًا شاملا في علم الأصوات وعلم الموسيقى، وضمنوا هذه الرسائل خلاصة للآراء التي سبقتهم منذ عهد فيثاغورث (ت ٥٠٣ ق.م)، عرّفوا الصوت بأنه:«قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام، وذلك لأن الهواء لشدة لطافته، وسرعة حركة أجزائه، يتخلل الأجسام كلها، فإذا صدم جسم جسمًا آخر، انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كروي، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل».

وقد قسموا الأصوات إلى أنواع منها الجهير، والخفيف و الحاد والغليظ، وعزوا ذلك إلى طبيعة الأجسام التي تصدر عنها هذه الأصوات، وإلى قوة تموج الأصوات بسببها، وفي اهتزاز الأوتار الصوتية وقفوا على العلاقة الكائنة بين طول الوتر وغلظه، وقوة شده أو توتره، وهذه التقسيمات التي صنفوا إليها الأصوات، تتفق وتقسيم الأصوات في العلم الحديث من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة.

كما عللوا الصدى بأنه يحدث نتيجة لانعكاس الهواء المتموج من مصادمة جسم عال كحائط أو جبل أو نحوهما. وقد شرح الجلدكي (عز الدين أيدمر علي/ ت. ٧٤٣هـ) هذه الظاهرة شرحًا كيفيا وليس قياسيا،

فيقول في كتاب «البرهان في أسرار الميزان»: «ليس المراد منه حركة انتقالية من ماء أو هواء واحد بعينه، بل هو أمر يحدث بصدم بعد صدم، وسكون بعد سكون... والصدى يحدث عن انعكاس الهواء المتموج من مصادمة جسم عال كجبل أو حائط، ويجوز ألا يقع الشعور بالانعكاس لقرب المسافة، فلا يحس بتفاوت زماني الصوت وعكسه...».

ولعل أفضل عمل وصل من الفلاسفة العرب في الأصوات، رسالة لابن سينا (٣٧١ – ٤٢٨هـ) بعنوان «أسباب حدوث الحروف»، وقد قسمها إلى ستة فصول:

الأول في سبب حدوث الصوت، والثاني في سبب حدوث الحروف، والثالث في تشريح الحنجرة واللسان، والرابع في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب، والخامس في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب، والسادس في أن هذه الحروف من أي الحركات غير المنطقية قد تسمع.

والصوت عند ابن سينا ينتج عن تموج الهواء دفعة وبقوة وسرعة، وسبب التموج عنده ما يسميه بالقرع والقلع، أي ما نسميه الآن بالتضاغط والتخلخل.

وقد وضع أحد الباحثين دراسة حديثة سجل فيها ريادة العرب في مجال علم الصوت، حيث عقد دراسة مقارنة بين نظرية الفونيم التي جاء بها العالم اللغوي الإنكليزي دانيال جونز في القرن العشرين، وبين نظرية الأصول والفروع في الأصوات عند ابن جني. وبعد عرض أصول النظريتين توصل عبر التحليل العلمي الصوتي لهما ريادة ابن جني في اكتشاف أصول نظرية الفونيم وتفاصيلها الدقيقة قبل دانيال جونز بقرون عديدة، كما تكشف الدراسة سبق الخليل بن أحمد الفراهيدي في بحث فيزيائية الصوت قبل علماء أوروبا معتمدا على حسه الصوتي المرهف وقدرته السمعية في تحليل الصوت.

علم الحيوان

علم الحيوان هو الفرع الثاني من فروع علم الحياة أو التاريخ الطبيعي، وهو علم يبحث في أحوال وخواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها. وموضوعه هو: جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر، وغير ذلك. والغرض منه: التداوي والانتفاع بالحيوانات، واجتناب مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها.

كان اهتمام العرب بالحيوان وعنايتهم به، أمرًا طبيعيًا جبلوا عليه، خاصة أن المستأنس منها كان يمثل جزءًا لا يتجزأ من حياتهم بدوًا وحضرًا. فكانت الخيل والإبل والكلاب والشاء وغيرها عماد الحياة الاقتصادية والاجتماعية والجمالية لديهم؛ لذا عندما بدأت نهضتهم إبّان العصر العباسي، أضافوا إلى الأدب الملفوظ المحفوظ أدبيات صنفوها في كل نوع من أنواع الحيوان أليفة ووحشية، ووصفوها وصفًا دقيقًا، وبينوا صفاتها وأشكالها وطبائعها وأسماءها وأسماء أصواتها.

أسماء الجواهر وردت لأول مرة في أمالي الإمام جعفر

ومن أشهر الذين ألفوا عن الحيوان النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م). ومن آثاره كتاب الصفات في اللغة الذي يتكون من خمسة أجزاء، خصص الجزء الثالث منه للإبل، كما تناول الغنم والطير، وخلق الفرس من بين ما تناول في الجزأين الرابع والخامس. وكذلك أبو زياد بن عبدالله الكلابي (ت نحو سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) وله كتاب الإبل، وهشام الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) ومن تصانيفه أنساب الخيل، وأبو عبيدة التيمي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) ومن مؤلفاته في الحيوان: كتاب الفرس، كتاب الإبل، كتاب الحيات، كتاب أسماء الخيل، كتاب البازي. والأصمعي (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م) ومن مصنفاته: خلق الفرس، الخيل، الإبل، الشاء، كتاب الوحوش. وابن السكيت (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، ومن تصانيفه: كتاب الوحوش، كتاب الحشرات، كتاب الإبل. والدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وله كتاب الخيل.

ومن المسائل التي سبق إليها العرب أثر البيئة في الحيوانات، فيورد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) عددًا غير قليل من الإشارات العلمية التي توضح فهمه لهذا الأمر، وهو أول من أشار إلى أثر الهجرة والمحيط في التغيرات التي تطرأ على حياة الحيوان، فبعضها يغير لونه أو سلوكه.

على الرغم من أن إسهام العرب في حقل الحيوان لم يكن واضحًا مثل إسهامهم في بقية العلوم، إلا أن لهم آراء سبقوا بها أفكار بعض المحدثين؛ فعلى سبيل المثال تنسب نظرية التكافل أو المشاركة

الحيوانية للفيلسوف الألماني جوته (١٧٤٩ – ١٨٣٢م)، وقد أخذ ذلك من عبارته الشهيرة في فاوست «إن روحين يسكنان صدري». إلا أننا نجد إشارات واضحة لدى كل من الجاحظ والقزويني (٦٠٥ – ٦٨٢هـ)، والدميري (٧٤٢ – ٨٠٨هـ) لهذه النظرية التي مفادها أن بعض الحيوانات التي تعيش في بيئة مكانية واحدة، قد يربط بينها نوع من المصلحة المشتركة، لذا تنشأ بينها مودة كأن يحط طائر البقر فوق البقرة ليلتقط منها الهوام، أو كأن ينظف طائر التمساح أسنان التمساح مما علق بها من بقايا اللحوم.

الأحجار الكريمة

يقول علماء الجيولوجيا: إن الأحجار الكريمة نوع من المعادن والعناصر النادرة، تتكون أساسا من مادة «السيليكا»، ويوجد نحو ٤ آلاف نوع معروف من المعادن الشائعة والموجودة في القشرة الأرضية، غير أن وصف «الأحجار الكريمة» لا ينطبق إلا على عدد ضئيل جدا من هذه المعادن بسبب ندرتها في الغالب، وهو أمر تحدده ظروف الطبيعة في المقام الأول.

وقد عرف العرب المعادن والأحجار الكريمة، وكانت كلمة المعدن في أول الأمر تعني لديهم المنجم. وأول من استخدم الكلمة لتدل على المعنيين هو القزويني في عجائب المخلوقات، وتحدث العلماء المسلمون عن المعادن والأحجار، وعرفوا خواصها الطبيعية والكيميائية، وصنفوها ووصفوها وصفًا علميا دقيقًا، كما عرفوا أماكن وجود كل منها. واهتموا بالتمييز بين جيدها ورديئها، ولعل عطارد بن محمد الحاسب (ت ٢٠٦هـ، ٨٢١م) كان أول من ألف كتابًا في الأحجار باللغة العربية. وهذا الكتاب هو كتاب «منافع الأحجار»، وفيه ذكر أنواع الجواهر والأحجار الكريمة، ودرس خواص كل منها، وقد ذكر الرازي هذا المؤلف في كتابه الحاوي. وهناك من العلماء من يعزو كتاب «الأحجار» لأرسطو إلى أصل سوري أو فارسي، وكتبت النسخة بالعربية منه في أخريات القرن الثاني الهجري، وعلى الرغم من قلة المادة العلمية فيه، إلا أنها تعكس آراء المسلمين عن المعادن في ذلك الوقت.

لعل أقدم نص احتوى على أسماء الجواهر التي تعدن من الأرض، هو ما جاء في أمالي الإمام جعفر بن محمد المسماة التوحيد، نذكر منها الجص (أكسيد الكالسيوم)، والكلس (كربونات الكالسيوم)، والمرتك (أكسيد الرصاص)، والذهب، والفضة، والياقوت، والزمرد، والقار، والكبريت، والنفط. ثم جاء جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق ليضيف بعض الجواهر والمعادن مثل الأسرب (نوع من الرصاص)، والمرقيشيا والياقوت الأحمر. وأضاف إخوان الصفا (٣١) جوهرًا جديدًا منها: (الطاليقوني، والإسرنج، والزاجات، والشبوب، وبواسق الخبز والعقيق والجزع). ثم أضاف البيروني الزفت واليشم والخارصين. وبالجملة نجد أنهم عرفوا من المعادن حتى عصر البيروني نحوًا من (٨٨) جوهرًا مختلفًا مما يستخرج من الأرض.

وقد اهتم العرب والمسلمون باستغلال المعادن والأحجار الكريمة بالقدر نفسه الذي أولوه لدراستها، فتكلم المؤلفون عن المناجم والمحاجر التي يستخرج منها الذهب والزمرد وغيرهما. وقد كانت لصياغة الحلي والأحجار الكريمة في عهد العباسيين منزلة كبيرة، فكان الذهب، والفضة، والزمرد، وأنواع الياقوت، واللازورد، والآزوريت، واللؤلؤ يجلب من خراسان وإيران والبحرين ونيسابور وصنعاء ولبنان والهند وسيلان والسودان. ومن الأسماء التي اشتهرت بالخبرة في التعدين في أواخر الدولة الأموية والدولة العباسية: عون العبادي، وأيوب البصري، وبشر بن شاذان، وصباح جد يعقوب بن إسحاق الكندي، وأبو عبدالله بن الجصاص، وابن البهلول، وغيرهم كثيرون.

علم الأرصاد الجوية

علم الأرصاد الجوية يعنى بدراسة جو الأرض، والتغيرات الجوية، التي يتألف منها المناخ، ويقيس علماء الرصد الجوي الرياح، ودرجة الحرارة، ومدى الرؤية، والضغط الجوي، والأحوال الجوية الأخرى، وكذلك يقيسون المواد الكيميائية الموجودة في الجو والتي تؤثر على المناخ مثل الكربون، وثاني أكسيد الكربون، والأوزون. وغالبًا ما يتمكن هؤلاء العلماء من التنبؤ بالحالة الجوية، من خلال تحليل المعلومات المتوافرة عن الجو.

وقد حقق المسلمون في هذا المجال إسهامات كبيرة، فتكشف لنا كتب الرحالة والجغرافيين عن إدراك كامل لدورة الرياح، وأنواع الرياح سواء الجافة أو المطيرة، واتجاهات الرياح، سواء على مناطق اليابس أو البحار، وقد استفاد العرب من ذلك في حركة التجارة التي كانت تعتمد على السفن الشراعية، كما أدركوا أيضا تأثير القمر على حركة المد والجزر.

وهكذا ساهمت الحضارة الإسلامية في العديد من العلوم في عصر تألقها، إلا أن إسهاماتها لم تستمر على المستوى نفسه، فقد تعرضت للانتكاسات التي أتت من الهجمات الخارجية في صورة الغزو الصليبي والمغولي، فدمرت إنجازات الحضارة الإسلامية، وأصيبت في مقتل على حد قول المؤرخ الأمريكي ويل ديورانت، إلا أن الباحثين الغربيين المنصفين يؤكدون أن الحضارة الإسلامية مثلت الأساس الذي بنى عليه الغرب حضارته المعاصرة، حينما قام بنهضته الكبرى في العصور الوسطى في القرن الثاني عشر الميلادي.

الشركات في الفقه الإسلامي

د.صالح سالم النهام
اختصاصي أول دراسات إسلامية

اعلم أن تشريع الشركات في ديننا الإسلامي جاء سدّا لحاجات الناس، وتنمية لأموالهم، وتحقيقًا لمبدأ التعاون البناء بين أفراد المجتمع.. ولا ريب أن هناك مِن الناس مَن لا يمكنه الخوض بنفسه في مجال الاتجار؛ وذلك لافتقاره لعنصر الخبرة، الأمر الذي يجعله يبحث عن شريك ذي خبرة وقدرة على العمل؛ لأنه بهذا التعاون المشترك يتحصل على المطلوب، ومن ثم تنعكس هذه الشراكة على تطوير الحركة الاقتصادية في المجتمع.

أولًا: تعريف الشركة لغةً واصطلاحًا

١- الشركة لغةً: هي الاختلاط، سواء كان بعقد أو بغير عقد، وسواء كان في الأموال أو في غيرها.

٢- الشركة اصطلاحًا: لقد عرفت الشركة بتعاريف عدة، إليك منها ما جاء عن الحنفية، حيث عرفوها بأنها عبارة عن: عقد بين المتشاركين في الأصل والربح.

ثانيًا: مشروعية الشركة

لقد ثبتت مشروعية الشركة من خلال أدلة عدة، جاءت في الكتاب والسنة والإجماع.

١- القرآن الكريم:

قال سبحانه في ميراث الإخوة من الأم: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء/١٢)، وقال- عز وجل- في قصة داود مع الخصمين: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (ص:٢٤)، والخلطاء هم الشركاء.

٢- السنة النبوية:

لقد وردت فيها أحاديث عدة منها: الحديث القدسي الذي رواه نبينا الكريم- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- عن ربه- عز وجل- حين قال: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإن خان خرجت من بينهما» (أخرجه أبو داود والحاكم وصحح إسناده).

وقد رأى النبي ﷺ الناس يتعاملون بالشركة، فلم ينكر عليهم ذلك. ويدل على ذلك خبر السائب بن أبي السائب صيفي ابن عائذ المخزومي رضي الله عنه أنه كان شريك النبي ﷺ قبل المبعث في التجارة، فلما جاء إليه يوم الفتح قال: «مرحبًا بأخي وشريكي، لا يداري ولا يماري (أي لا يخالف ولا ينازع)» (أخرجه الإمام أحمد: ١٥٥٩٠).

الحنفية والشافعية أجازوا بيع الشريك في شركة الملك نصيبه لغير شريكه

الإجماع: لقد أجمع المسلمون على جواز الشركة في الجملة، ولكنهم اختلفوا في جواز أنواع منها.

ثالثًا: أقسام الشركة

القسم الأول: شركة الملك

وهي أن يختص اثنان فصاعدًا بشيء واحد، أو ما هو في حكمه، وهو المتعدد المختلط بحيث يتعذر تفريقه.. كالدار الواحدة، والأرض الواحدة تثبت فيهما شركة الملك، فإذا اشترى اثنان أرضًا أو دارًا كانت شركة بينهما، وأيضًا الوصية والهبة والصدقة على أكثر من واحد، فهم شركاء في الوصية والهبة والصدقة، والكيسان من الدنانير ذات السكة الواحدة يخلطان معًا طواعيةً أو اضطرارًا، وكذلك الإردبّان من القمح يخلطان معًا طواعية أو اضطرارًا، وحكمها الجواز باتفاق الفقهاء.

أنواع شركة الملك

النوع الأول: اختيارية

وهي التي تكون بإرادة الشريكين أو الشركاء، سواء كانت بواسطة عقد أو بدونه، وسواء وقع العقد مشتركًا منذ بدايته أو طرأ الاشتراك في المال بعد العقد، ومثال ما كان بواسطة عقد مشترك منذ البداية: ما لو اشترى اثنان بضاعة يتجران فيها، وكالشراء قبول الهبة والوصية والعطية. ومثال ما كان بواسطة: عقد طرأ اشتراكه في المال بعده، كأن يقع الشراء أو قبول الهبة أو العطية من واحد، ثم يشرك معه آخر بعوض، أو بدون عوض، ومثال ما كان بدون عقد: كما لو خلط اثنان ماليهما، أو أحيا أرضًا مواتًا.

النوع الثاني: إجبارية

وهي التي تكون بدون إرادة الشريكين أو الشركاء، كما لو انفتقت الأكياس، واختلط ما فيها، مما يتعذر فصل بعضه عن بعض لتتميز أنصباؤهم؛ كبعض الحبوب، والنقود ذات السكة الواحدة، وكالمال الموروث بأكثر من واحد.

الأحكام المترتبة على شركة الملك

١- ليس لشريك الملك في نصيب شريكه شيء من التصرفات التعاقدية.. كالبيع، والإجارة، والإعارة.. وغيرها، إلا أن يكون ذلك بإذن شريكه، فإن فعل شيئًا من ذلك فلشريكه تضمينه حصته.

٢- لكل شريك في شركة الملك أن يبيع نصيبه لشريكه، أو يملّكه لشريكه بأي وجه من أوجه التملك، كالوصية، والهبة، والعطية، والبيع.

٣- ذهب الحنفية والشافعية إلى أن للشريك في شركة الملك أن يبيع نصيبه لغير شريكه في غير

الضرر دون إذن شريكه، أما في حالة الضرر فلا يجوز، كأن يبيع الشريك الحصة الشائعة في البناء أو الميراث أو الثمر أو الزرع منفردًا عن الأرض، بأن شرط المشتري هدم البناء وقلع الغراس، فلا يتأتى دون هدم وقلع حصة الشريك الذي لم يبع لمكان الشيوع، وذلك ضرر لا يجوز.

٤- ذهب الفقهاء إلى أنه في حضور الشريك في شركة الملك لا ينتفع شريكه الآخر إلا بإذنه؛ لأنه بدون الإذن يكون غصبًا، وأما في حالة غيبة الشريك أو موته يكون لشريكه الحاضر أن ينتفع بالمشترك انتفاعًا لا يضرُّ به.

القسم الثاني: شركة العقد

وهي ثلاثة أنواع: (شركة أموال- شركة أعمال- شركة وجوه).

النوع الأول: شركة الأموال

ما روي عن أبي المنهال أن زيد ابن الأرقم، والبراء بن عازب كانا شريكين، فاشتريا فضة بنقد ونسيئة، فبلغ الأمر النبي ﷺ فأمرهما: «أن ما كان بنقد فأجيزوه، وما كان بنسيئة فردوه» (أخرجه أحمد والبخاري بمعناه).

المعنى العام للحديث

دل هذا الحديث على أن بيع الفضة بنسيئة لا يصح، وما كان بنقد وتقابض في المجلس فصحيح؛ لما جاء في البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «ما كان يدًا بيد فليس به بأس، وما كان نسيئة فلا يصح»، وهذا الحديث دليل على مشروعية الشركة في الأموال، وذلك بأن يكون رأس مالها نقودًا.

تعريف شركة الأموال

عرفها الفقهاء بأنها: عقد بين اثنين فأكثر، على أن يتجروا في رأس مال لهم، ويكون الربح بينهم بنسبة معلومة، كالنصف، أو الربع، سواء شرطوا أن يشتركوا جميعًا في كل شراء وبيع، أو شرطوا أن ينفرد كل واحد بصفقات، أو أطلقوا (أي: لم يشترطوا).

حكم شركة الأموال

اتفق الفقهاء على جواز الشركة بالدراهم والدنانير.

الأحكام المترتبة على شركة الأموال:

١- لابد أن يكون نقد كل واحد من الشركاء مثل نقد صاحبه، ثم يخلطوا ذلك؛ حتى لا يتميز، ثم يتصرفوا جميعًا، إلا أن يقيم كل واحد منهم الآخر مقام نفسه.

٢- اختلف الفقهاء فيما إذا كانت الدنانير من أحدهم، والدراهم من الآخر، فذهب الحنفية والحنابلة إلى جواز الشركة، على أن تكون الدراهم من أحدهم، والدنانير من الآخر.

٣- ذهب أكثر العلماء إلى أن شركة الأموال تصح وتجوز في غير النقدين من كل ما يتملك من عروض، ودنانير، ودراهم.. وغيره.

وشركة الأموال هذه تنقسم عند الحنفية إلى:

(أ) شركة المفاوضة، ويشترط فيها ما يأتي:

١- أن يتساوى الشركاء في رأس مال الشركة الشامل لكل ما للشريكين صالح للشركة.

٢- يجوز للشركاء كل تصرف تجاري (تفويض) في رأس مال الشركة.

٣- الربح بينهم يكون معلومًا.

٤- كفالة ما يلزم كلًّا من الشريكين من دَيْن الشركة.

(ب) شركة العنان: وهذه لا يشترط فيها كل الشروط السابقة، بل أطلق كل منهم العنان لشريكه.

النوع الثاني: شركة الأعمال (الصنائع - الأبدان)

عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود- رضي الله عنهما- أنه قال: «اشتركت أنا وعمار وسعد فيما نصيب يوم بدر، فجاء سعد بأسيرين ولم أجئ أنا وعمار بشيء» (أخرجه أبو داود: ٣٣٨٨، والنسائي: ٣٩٤٧).

المعنى العام للحديث

دل هذا الحديث على مشروعية شركة الأعمال؛ وذلك بأن يتعاقد اثنان فأكثر على أن ما يحصل عليه أحدهم من غنيمة أو أسير أو سلب فهو شركة بينهم، فجاء سعد بأسيرين ولم يجئ عبدالله بن مسعود وعمار بشيء، فأشركهما في ملكيتهما.

تعريف شركة الأعمال

عرفها الفقهاء: بأن يتعاقد اثنان فأكثر على أن يتقبلوا نوعًا معينًا من العمل، أو غير معين، وأن تكون الأجرة بينهم بنسبة معلومة، كالصباغة، والبناء، والنجارة، أو كل ما يتقبل، ولابد من التعاقد قبل التقبل، وتسمى شركة الأبدان، وشركة الصنائع، وشركة العنان، وشركة المفاوضة.

● حكم شركة الأعمال:

ذهب جمهور العلماء من الحنفية والمالكية والحنابلة إلى جوازها، وقد اشترط الإمام مالك اتحاد الصيغة، أما الشافعية فعندهم باطلة؛ لأن كل واحد منهم متميز ببدنه ومنافعه فيختص بالفوائد.

● الأحكام المترتبة على شركة الأعمال:

١- قابلية التصرف المتعاقد عليه للوكالة؛ ليتحقق مقصود الشركة وهو الاشتراك في الربح؛ لأن كل واحد من الشريكين وكيل عن صاحبه في نصف ما تصرف فيه، وأصيل في نصفه الآخر، والمتصرف عن الغير لا يتصرف إلا بولاية، أو وكالة، فلابد من أهلية كل شريك للتوكيل والتوكل.

٢ - أن يكون الربح معلومًا بالنسبة؛ كالنصف أو الربع، فإذا تم العقد على أن يكون للشريك حصة من الربح من غير بيان المقدار فالعقد فاسد؛ لأن الربح مقصود الشركة فتفسد بجهالته.

٣ - أن يكون محلها عملًا؛ لأن العمل هو رأس المال في هذه الشركة، فإذا لم يكن من أحد الشريكين عمل لم تصح الشركة، ولكن يكفي لتحقق هذا العمل أن يتعاقدا على التقبل، سواء أجعل التقبل لكليهما أو لأحدهما عمليًا، وإن كان

الحنابلة والحنفية رأوا جواز شركة الوجوه في سائر الأمصار

لآخر نظريًا.. فإذا تقبل العمل أحد الشريكين بعد قيام الشركة وقام به وحده، كأن تقبَّل الثوب للخياطة وقطَّعه وخاطه، فالأجرة بينه وبين وشريكه مناصفةً، إن كانت الشركة مفاوضةً، وعلى ما اتفقا إن كانت عنانًا.

٤- أن يكون العمل المشترك فيه يمكن استحقاقه بعقد الأجرة، كالصباغة، والحدادة، والنجارة، أما ما لا يستحق بعقد الإجارة فلا تصح فيه الشركة، كالنياحة على الميت، والأغاني الخليعة.

النوع الثالث: شركة الوجوه (شركة المفاليس - شركة الذمم)

● عرفها الفقهاء القائلون بجوازها أن يشترك اثنان أو أكثر ممن ليس لهم رأس مال، على أن يشتروا بالنسيئة أو بأجل، ثم يبيعوا ما يشترونه، على أن يكون الربح بينهم بنسبة ضمانهم للثمن، ويقال لها: «شركة الوجوه أو المفاليس»؛ وذلك لعدم رأس المال، أو «شركة الذمم»؛ وذلك لعدم دفع ما يشترون به، بل يبقى الثمن في ذمتهم إلى حين البيع.

حكم شركة الوجوه

أ - يرى الحنفية والحنابلة جوازها بسبب:

١- إجماع الناس على التعامل بشركة الوجوه في سائر الأمصار من غير إنكار عليهم، وقد قال الرسول ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» (جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر: ٧٥٩/١)، (والكنى والأسماء للدولابي: ٥١٥/٢).

٢- شركة الوجوه تشتمل على الوكالة والكفالة، فكل شريك وكيل وكفيل عن غيره من الشركاء، وكل من الوكالة والكفالة جائزة، والقاعدة تقول: إن المشتمل على الجائز جائز.

٣- شركة الوجوه تنطوي على عمل من الأعمال من جانب الشركاء، وهذا جائز أن تتفق عليه الشركة.

(ب) ويرى المالكية والشافعية بطلانها للآتي:

١- أنها من باب: تَحمَّل عني، وأتحمَّل عنك، وهذا ضمان بجعل، وهو غير جائز.

٢- باطلة عند المالكية لأن فيها شبهة السلف الذي يأتي بمنفعة والكفالة المأجورة.

٣- باطلة عند الشافعية لأجل عدم وجود المال الذي يقدمه الشركاء، والذي يتحقق به الملك المشترك والخلط.

الأحكام المترتبة على شركة الوجوه

١- لابد أن يكون الربح بين الشريكين بنسبة ضمانهما للثمن.

٢- إذا شرط لأحد الشريكين في الربح أكثر أو أقل ما عليه الضمان، فهو شرط باطل، وهو مذهب كل من الحنفية والحنابلة.

٣- إن الربح في شركة الوجوه على حسب ما اتفقا عليه؛ لأن الشريكين في شركة الوجوه يتجران، والتجارة عمل يتفاوت كيفًا، كما يتفاوت كمًا.

قصة وقصيدة (١)

د. عبدالرحمن راشد الحقان
باحث كويتي

حضرت في صغري موعظة لوالدي الشيخ راشد أحمد الحقان -حفظه الله-، وشدني إذ ذاك مثل نبوي ساقه مع قصيدة قيلت معه لأحد الصحابة رضوان الله عليهم، والشعر له وقع في النفس بما تضمنه من جرس، ثم قرأت ذات القصيدة في كتاب من كتب الحديث المشهورة، وهو كتاب الأمثال للإمام الرَّامَهُرْمُزِيِّ صاحب كتاب المحدث الفاصل، ثم مرت بي القصيدة تلو الأخرى، والجامع بينهن اقتران القصيدة بقصة مؤثرة لا تخلو من عبرة أو موعظة.

فأحببت أن يشاركني إخوتي من قراء مجلة «الوعي الإسلامي» -مفخرة الكويت مع أختها مجلة العربي- متعة قراءة هذه القصص وقصائدها، فعرضت على أخي الشيخ فيصل العلي، وفقه الله، فكرة سلسلة يخصص كل مقال منها لذكر قصة وقصيدتها، واخترت لهذه السلسلة عنوان «قصة وقصيدة»، فرحب مشكورا وشجعني، ثم واصل متابعته لي حاضا إياي على المشاركة وإنهاء المقال، فجزاه الله خيرا.

وقد خصصت باكورة المقالات للقصيدة التي ذكرها الإمام الرَّامَهُرْمُزِيُّ، والقصد من ذكر القصة وقصيدتها أخذ العظة والعبرة، بالإضافة إلى متعة القراءة، لذلك لن أطيل في التعليق على القصيدة، ولن أضبط إلا المشكل منها، وسأكتفي بتخريجها من بعض الكتب التي ذكرت فيها، كما ذكرت خشية الإطالة ودفعا لتزيد لا طائل منه، وهذا أوان الشروع فيما صنع المقال له:

أخرج الإمام الرَّامَهُرْمُزِيُّ -رحمه الله- في كتابه أمثال الحديث(١)، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه: أتدرون ما مثل أحدكم ومثل أهله وماله وعمله؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «إنما مثل أحدكم ومثل ماله وأهله وولده وعمله كمثل رجل له ثلاثة إخوة، فلما حضرته الوفاة دعا بعض إخوته فقال: إنه قد نزل بي من الأمر ما ترى، فما لي عندك وما لي لديك؟ فقال: لك عندي أن أمرضك ولا أزايلك(٢) وأن أقوم شأنك، فإذا مت غسلتك وكفنتك وحملتك مع الحاملين، أحملك طورا(٣) وأميط(٤) عنك طورا، فإذا رجعت أثنيت عليك بخير عند من يسألني عنك، هذا أخوه الذي هو أهله، فما ترونه؟ قالوا: لا نسمع طائلا(٥) يا رسول الله!

ثم يقول للأخ الآخر: أترى ما قد نزل بي فما لي لديك وما لي عندك؟ فيقول: ليس لك عندي غناء(٦) إلا وأنت في الأحياء، فإذا مت ذهب بك في مذهب(٧) وذهب بي في مذهب، هذا أخوه الذي هو ماله، كيف ترونه؟ قالوا: لا نسمع طائلا يا رسول الله!

ثم يقول لأخيه الآخر: أترى ما قد نزل بي، وما رد علي أهلي ومالي، فما لي عندك وما لي لديك؟ فيقول: أنا

صاحبك في لحدك وأنيسك في وحشتك، وأقعد يوم الوزن في ميزانك فأثقل ميزانك، هذا أخوه الذي هو عمله، كيف ترونه؟ قالوا: خير أخٍ، وخير صاحب يا رسول الله! قال: فإن الأمر هكذا».

قالت عائشة: فقام إليه عبدالله بن كرز(٨) فقال: يا رسول الله! أتأذن لي أن أقول على هذا أبياتا؟ فقال: نعم، فذهب فما بات إلا ليلة حتى عاد إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه واجتمع الناس وأنشأ يقول: (من الطويل)

وإني وأهلي والذي قدمت يدي
كداع إليه صحبه ثم قائل
لإخوته إذ هم ثلاثة إخوة
أعينوا على أمر بي اليوم نازل
فراقٌ طويل غير متثق به
فماذا لديكم في الذي هو غائل
فقال امرؤ منهم أنا الصاحب الذي
أطيعك فيما شئت قبل التزايل
فأما إذا جد الفراق فإنني
لما بيننا من خلة غير واصل
فخذ ما أردت الآن مني فإنني
سيُسلك بي في مهيل من مهائل
فإن تبقني لا تبق فاستنفدنني
وعجل صلاحا قبل حتف معاجل
وقال امرؤ قد كنت جدا أحبه
وأوثره من بينهم في التفاضل
غنائي أني جاهدٌ لك ناصحٌ
إذا جد جد الكرب غير مقاتل
ولكنني باك عليك ومعولٌ
ومثن بخير عند من هو سائل
ومتبع الماشين أمشي مشيعا
أعين برفق عقبة كل حامل
إلى بيت مثواك الذي أنت مُدْخلٌ
وأرجع مقرونا بما هو شاغلي
كأن لم يكن بيني وبينك خلةٌ
ولا حسن ود مرة في التباذل
فذلك أهل المرء ذاك غناؤهم
وليس -وإن كانوا حراصا- بطائل
وقال امرؤ منهم أنا الأخ لا ترى
أخا لك مثلي عند كرب الزلازل
لدى القبر تلقاني هنالك قاعدا
أجادل عنك القول رجع التجادل
وأقعد يوم الوزن في الكفة التي
تكون عليها جاهدا في التثاقل
فلا تنسني واعلم مكاني فإنني
عليك شفيقٌ ناصحٌ غير خاذل
فذلك ما قدمت من كل صالح
تلاقيه إن أحسنت يوم التواصل

فبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون من قوله(٩)، وكان عبدالله بن كرز لا يمر بطائفة من المسلمين إلا دعوه واستنشدوه، فإذا أنشدهم بكوا(١٠).

وللمثل أصل في الصحيحين، فعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله، ويبقى عمله» (متفق عليه).

ورحم الله القائل: إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر في ماذا يقيمك، أي: إذا أردت أن تعرف مكانتك عند ربك فانظر فيما أنت مشغول فيه، فإن كنت مشغولا فيما يحب من طاعته فاحمده على ذلك، وإلا فانتبه لنفسك.

الهوامش:

(١) الرَّامَهُرْمُزِيُّ، أبومحمد، الحسن بن عبدالرحمن، كتاب أمثال الحديث، حققه وعلق عليه أمة الكريم القرشية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا.

(٢) أفارقك (القاموس: ز ي ل) ومنه قوله سبحانه ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ (يونس: ٢٨).

(٣) تارة (القاموس: ط و ر).

(٤) أزيل (القاموس: م ي ط).

(٥) غنىً (القاموس: ط و ل).

(٦) بالفتح النفع، وبالكسر من السماع (اللسان: ذ هـ ب).

(٧) مصدر ميمي دال على المكان، ولعل المراد سِيرَ بي في جهة وسير بك في أخرى.

(٨) الليثي كما في الإصابة، وذكر القصة والأبيات ومن خرجها، ولم يذكر سنة وفاته.

(٩) قال ابن حجر: فما بقي عند النبي ﷺ ذو عين تطرف إلا دمعت عيناه.

(١٠) قال الرَّامَهُرْمُزِيُّ: فيه عبدالله بن عبدالعزيز الليثي عن محمد بن عبدالعزيز الزهري: ضعيفان.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٥)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

لا خفاء أن حذاق اللغة وجلتهم المشبلون عندما يحرصون على صيانة اللغة عما يقترف فيها من شائنات؛ إنما يسعون إلى إرجاع الأمر إلى نصابه ومستقره، لأن الذي يسمح لنفسه أن تنام عيناه ملء جفنيهما على فشو وباء اللحن، يكون كمن يبصر نارًا تشب في غابة، ثم ينكص على عقبيه من دون أن يفعل أي شيء لإخمادها، أو أن يدل الناس عليها، فينتهي به الحال إلى عض إبهامه حسرة على تفريطه، ولات حين ندم. لأجل ذلك فإن أحسن جابة عن هذه الخلية السرطانية التي تنمو وتتسع في العربية لأجل النمو العبثي، تتمثل في قرع ظنبوب الاجتهاد لإبادة نوابت الفساد، ولاسيما أن سيرة نبينا محمد ﷺ قد علمتنا أنه لم يسكت قط عن خطأ، قائلًا عندما لحن أحدهم في حضرته: «أرشدوا أخاكم فقد ضل»، كما قال ﷺ: «رحم الله امرأ أصلح من لسانه» فتابعه خليله أبوبكر الصديق رضي الله عنه عندما أعلن: «لأن أقرأ فأسقط، أحب إلي من أن أقرأ فألحن». هذا هو ديدن الرسول ﷺ والخلفاء والبصراء بأفانين العربية من بعده، لا تظهر نبتة شر إلا استأصلوها، ولا يسمع لحن إلا بادروا لتصحيحه خوفًا من أن يندس إلى لغة القرآن العظيم ما لا ترضاه، وما لا يتوافق مع حكمتها وبراعتها وخلابتها التي جعلت الخزامى في أنف كل مفوه قوال؛ ولأنهم أدركوا بحصافة

ألبابهم أن تصور مفهوم الأمة من دون لغة موحدة وموحدة ضرب من الوهم، لأن الأمة التي لا تعيش بلغة واحدة، تكبر أمرها وتعلي شأنها، وتصنع بها أشياءها وتربي عليها ناشئتها وتصرف عنها مكائد غيرها؛ أمة ضائعة حائرة لا يوزن لها رأي، ولا يحسب لها حساب، ولا يجمعها أي شيء سوى جمع تبديد وتنافر يشعل الفتن ويذكي الصراعات؛ ولا ريب فالناس - عند التحقيق - لا يقتتلون إلا عندما يسيئون استعمال ما تقوله ألفاظ لغتهم بغيًا بينهم.

لذا ليس من الأسلم لنا ولا للغتنا العربية التي أعلن الرسول ﷺ حبه لها لأنه عربي، ولأن القرآن العظيم عربي، ولأن كلام أهل الجنة عربي؛ ليس من الأسلم أن نترك هذا التلوث اللغوي الذي بلغ مبلغه في التكاثر والخبل من دون البحث عن ترياق مضاد ينجينا وينجي لغتنا من هذا السم الزعاف الذي تقذف به وسائل اتصالنا وتواصلنا عوجًا غير مسدد طعنًا في الفصحى، التي تعد بلا امتراء عسل العروبة الذي لابد أن تتلمظه الأفواه لتذوق حلاوة طعمه، فتدرك مبلغ طاقته في إبادة الأسقام التي تحول بيننا وبين لغتنا الجميلة؛ اقتداءً بمنهج أسلافنا الذين كانوا يوقنون أن العربية الفصحى المعافاة هي جوهر المشروع الوجودي للأمة العربية، وهي الخميرة التي تضمن نضج عقول أبنائها، فتجعلها مدركة لحاجاتها، ومتممة لما لم تمتد إليه جهود الآخرين، فترتاد الآفاق ويتوسع التفكير وتستثار العقول وتتجدد مطارف اللغة؛ بما يضيفه إليها علماؤها ومفنوها ونطاسيوها من كلمات واصطلاحات لم يلهجها السابقون في زمانهم، فتكون تلك الإضافات وقودًا لضمان الاشتعال في صناعة المعرفة العربية المفيدة كما صنعها أسلافنا الذين بلغوا في العلم بالعربية قرن الكلإ.

هذا هو دأب أجدادنا. فما بال عقولنا لا تبتغي أن تتحرر من الاتباع الأصم للكلام المرذول المخسول الخارج عن أنظمة الصحة والسلامة، وما بال ألسنتنا تشرح صدرًا بالصدود عن الفصحى، وتتنكب السبيل الجدد المهيع؟! أسئلة عديدة تدعونا إلى مساءلة أسباب بعدنا وازورارنا عن القواعد والنواميس التي ضمنت للعربية سلامتها، كما تدعونا إلى البحث عن دوافع ضآلة المنجز التصحيحي بالنسبة إلى ما ينشر في صحفنا ومجلاتنا وكتبنا، وما تتفوه به ألسنتنا غير الفصاح، وما ينشر من كلام رقمي مخسول على الشابكة، ناهيك عن النظر إلى التصحيح اللغوي بنظرات الضرائر، وبعقليات الضيق وهز الأكتاف سخرية واستهزاءً، علمًا أن من صحح لفظة أو مفهومًا فكأنه صحح النظرة إلى الحياة والوجود، ولاسيما إذا كان الأمر يخص قضية «التذكير والتأنيث» في العربية؛ لأن الذي يذكر مؤنثًا ويؤنث مذكرًا يقلب الحقائق ويغمض الفكر ويفسد المعاملات، ولذلك جعل علماء العربية معرفة المذكر والمؤنث من تمام معرفة النحو والإعراب. قال ابن الأنباري: «إن من تمام معرفة النحو والإعراب، معرفة المذكر والمؤنث، لأن من ذكر مؤنثًا أو أنث مذكرًا كان العيب لازمًا له كلزومه من نصب مرفوعًا، أو خفض منصوبًا، أو نصب مخفوضًا»(١) لذا فإن المرء يعجب ويعمد من مثل هذه العبارات التي تظهر عدم إلف قائليها بلغة القرآن المعجز، والشعر العربي البليغ على هذه الشاكلة: هنيئًا لدولة البرازيل التي فازت بكأس العالم للشبان. لا ريب أن هذه العبارة من السوءة الصلعاء التي يجب أن نرميها في سفط السقط، لأنها تنكبت سبيل الفصحى من عدة أوجه؛ فهي قد ذكرت لفظة الكأس، وهي مؤنثة كما نطق بذلك القرآن الكريم والشعر العربي البليغ على هذه الشاكلة: قال تعالى من سورة الإنسان آية ١٧:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾

وقال الشاعر عبيد بن الأبرص:

حتى سقيناهم بكأس مرة

فيها المثمل ناقعًا فليشربوا

ناهيك أن الكأس لا تطلق على الزجاجة إلا إذا كانت مملوءة، أما إذا كانت فارغة فهي إما زجاجة أو كوب أو قدح. وكذلك لفظة «المائدة» لا تسمى مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خوان وخُوان أو طاولة، وكذلك «العهن» لا يسمى عهنًا إلا إذا كان مصبوغًا وإلا فهو صوف، و«الثرى» لا يقال له ذلك إلا إذا كان نديًا وإلا فهو تراب، ولا يقال للإسراع في السير «إهطاع» إلا إذا كان معه خوف، ولا «إهراع» إلا إذا كان معه رعدة(٢). لكن المعاصرين لا يعبأون بهذه الفروق اللغوية الدقيقة التي أوردها القرآن الكريم، والتي أشبعها القدامى بحثًا وتمحيصًا، فأكثرنا من التجوزات التي لا توجبها ضرورة، حتى اعتاص علينا التعبير الدقيق عن المراد بوضوح تام. وما ذلك إلا من تداني هممنا عن تدبر وتثوير القرآن الكريم، وعدم إلفنا بلغة الشعر العربي البليغ، حتى كاد أن يضرب بيننا وبين هذين المصدرين بسور لا قبل لنا بتوقله.

وبعد. هذا رأس الكلام الذي بدت عليه مخايل البراعة. أرجو ألا يكون عملي دون ما يطمح إليه أملي في التصحيح بعقلية استبصارية غير محصورة في القوالب اللغوية الجامدة، التي لا تمزج الإنارة بالإثارة.

الهوامش

١ - المذكر والمؤنث. أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق طارق عبدعون الجنابي. ص ٨٧. بغداد ١٩٧٨م.

٢ - الصاحبي. أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق السيد أحمد صقر. (ينظر باب الأسماء التي لا تكون إلا باجتماع صفات وأقلها ثنتان. ص ١١٨و١١٩). دار إحياء الكتب العربية. كما ينظر كتاب: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي. شرح وتعليق محمد جاد المولى بك ومحمد أبوالفضل إبراهيم وعلي البجاوي. النوع الثلاثون «معرفة المطلق والمقيد» الجزء الأول. ص ٤٤٩ وما بعدها. ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

الندم.. بين الشريعة والأدب

مصطفى قاسم عباس
باحث دراسات لغوية

كل واحد منا قد يندم على فعل أمر ما، أو على فوات أمر ما، فتراه يكثر من قوله: ليتني فعلت كذا، ولو فعلت كذا لما حصل معي كذا.

فنقول له: هون على نفسك، وقل: قدر الله وما شاء فعل، وتذكر دائما أنه: ما كل ما يتمنى المرء يدركه.. وكم من أمر ندم الإنسان على فواته فكان فواته خيرا له!، وكم من متمن كانت منيته في أمنيته، فما عليك إلا أن تكرر هذه الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (البقرة: ٢١٦).

ثم إن ارتشاف الندم، وتجرع الحسرات، ولهيب الآهات، وجمر الزفرات، لا يفيد في أي شيء، وهي أشياء لا تزيد صاحبها إلا أسى ولوعة، وأشجانا وانتحابا، لأنها لن تغير من قضاء الله وقدره أي شيء، فكل مصيبة مقدرة في كتاب عند الله قبل وجودها، سواء أكانت المصيبة في النفس أم في الأرض، وسواء أرضي الإنسان بها أم سخط، لذلك قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ (الحديد: ٢٢)، وعلى الإنسان العاقل أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال كعب بن أبي لابن الديلمي: «ولو أنفقت جبل أحد ذهبًا في سبيل الله عز وجل، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(رواه أحمد في المسند).

ومن أجمل الوصايا التي يجب على المرء أن يأخذ بها، ويعلمها لمن يحب، تلك الوصية الخالدة التي أوصى بها النبي ﷺ ابن عباس، يقول الراوي ابن عباس: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»(رواه الترمذي: وقال: حسن صحيح).

فالإنسان المؤمن يقينا بالقدر لا يقلب كفيه على ما فاته من الأمور، ولا يتبع الأمر الفائت بـ «ليت، وهلا» ويتمثل قول القاضي الجرجاني:

وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت
أقلب كفي إثره متندما
ولكنه إن جاء عفوا قبلته
وإن مال لم أتبعه هلا وليتما(١)

ثم إن العجلة، واتباع الهوى، وتسويل النفس، ووساوس الشيطان هي المطايا التي توصل من امتطى متنها إلى بيداء الندامة، فقابيل ما ارتكب جريمة القتل إلا بعد أن سولت له نفسه، ثم أصبح فيما بعد من النادمين، ولكن بعد ماذا؟! بعد ما ارتكب جريمة القتل العمد، وليته ندم على ارتكابه جريمة القتل، بل ندم لأنه لم يعرف ماذا يفعل بسوءة أخيه، وكيف يواريها بعد أن تعب من حمل أخيه ميتا كما في بعض التفاسير، وانظر كيف صور الله

سبحانه وتعالى لنا هذا المشهد:

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (المائدة: ٣٠ – ٣١) وكذلك فعل القتال الكلابي عبيد بن مجيب بن المضرحي، ندم، ولكن بعد أن قتل، واحمرت يده من الدماء، وماذا ستنفع الندامة؟ قال:

فلما رأيت أنه غير منته

أملت له كفي بلدن مقوم

فلما رأيت أنني قد قتلته

ندمت عليه، أي ساعة مندم(٢)

هذا في عيون الشريعة الغراء، لكن الأمر قد يختلف بعض الشيء في عيون الشعراء وأهل الأدب والأمثال، فهم فقط يهتمون بجانب النحيب والحسرات، وإظهار التندم على ما فات، وقليلا ما يذكر أحدهم أن ما تم من أمور هو بقضاء من الله وقدر، وذلك كما فعل الإمام الشافعي في مطلع قصيدته المشهورة، حيث يقول:

دع الأيام تفعل ما تشاء

وطب نفسًا إذا حكم القضاء

وهذا طبعًا لأن الإمام الشافعي هو إمام في الشريعة، بل وصاحب مذهب، وهو كذلك يعتبر أن الشعر يزري بالعلماء، ولولا ذلك لكان أشعر من لبيد كما قال!.

وفي كتب الأدب نرى أن هناك شخصا كلما ذُكر الندم يذكر معه، وهو ممن اشتهر بندمه حتى ضرب به المثل، وهذا الشخص اسمه: «الكسعي»، حتى قيل في المثل: أندم من الكسعي. وقيل أيضا: ندم ندامة الكسعي، فمن هو هذا الرجل؟ وما قصته؟

إنه محارب بن قيس، ومن حديثه كما ذكروا:

أنه كان يرعى إبلا له، فبصر بنبعة (شجرة) في صخرة، فأعجبته؛ وقال:

ينبغي أن تكون هذه قوسا، فجعل يتعهدها ويرقبها، حتى إذا أدركت، قطعها وجففها؛ فلما جفت اتخذ منها قوسا وأسهما... ثم خرج حتى أتى غرة على موارد حمير وحش، فكمن ليلا فيها، فمر قطيع منها، فرماه، فمرق منه السهم، فظن أنه أخطأ، ثم لم يزل يفعل ذلك حتى أفنى الأسهم الخمسة في أعيار خمسة، وقد أصابها كلها، ومرق منها سهمه، فأصاب الصخرة فأجج نارا، وهو يظن أنه أخطأها..

ثم عمد إلى القوس، فضرب بها حجرا، وكسرها ونام.

فلما أصبح نظر إلى الأعيار مصرعةً حوله، ونظر إلى أسهمه مضرجةً بالدم؛ فندم على كسر القوس، فشد على إبهامه، فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامةً لو أن نفسي

تطاوعني، إذن لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني

لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وسارت ندامته مثلا في كل نادم على ما جنته يداه (٣).

لذلك قال الشاعر مخاطبا أحد النادمين:

ندمت ندامة الكسعي لما

رأت عيناك ما صنعت يداكا (٤)

وكذلك عندما طلق الفرزدق زوجته النوار قال أيضا:

ندمت ندامة الكسعي لما

مضت مني مطلقةً نوار

وكانت جنة فخرجت منها

كآدم حين أخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمدا

فأصبح ما يضيء له النهار

ولو ضنت يداي بها ونفسي

لكان علي للقدر الخيار

وما فارقتها شبعا، ولكن

رأيت الدهر يأخذ ما يعار(٥).

ولكن، وحتى نعالج هذا الأمر بإنصاف فإننا نقول: على الإنسان أن يندم أحيانا، وأحيانا عليه أن لا يشعر بالندم، فكيف ذلك؟

يأتي الجواب كالتالي:

إذا كان الأمر فوق طاقة الإنسان، ومن الأمور الغيبية المقدرة عليه، فلا ندامة ولا حسرات، لأن ذلك لن يغير من القدر شيئا، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وذلك كالموت والأمراض، وما يعتري الإنسان من آفات جراء الزلازل والبراكين، وباختصار: كل ما لا طاقة للإنسان فيه.

وأما إذا كان الأمر الذي لا يريده المرء قد حصل بسبب تقصير منه، وعدم أخذه بالأسباب، ولولا تقصيره لما حصل له ما يكره، كطالب رسب في الامتحان لأنه لم يدرس جيدا فلا مانع من الندم في هذه الحالة وأمثالها، لأن الندم في مثل هذه الحالات يشحذ الهمم، ويمضي بأصحابها في دروب التقدم والطموح.

وكذلك العبد الذي عصى ربه يوما ما، فإن الندم في مثل هذه الحالة واجب عليه شرعا، وعليه أن يسرع في الندم قبل أن يغرغر، لأن عليه أن يتوب، وقد قال النبي ﷺ: «الندم توبة»(رواه أحمد في المسند، وانظره في المعجم الصغير للطبراني: ١/٨٣).

وختاما نقول: اللهم لا تكلفنا ما لا طاقة لنا به، والطف بنا في ما جرت به المقادير، ولا تجعلنا من النادمين، يوم لا ينفع ندم، ولا مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الهوامش

١- التذكرة السعدية، العبيدي، ١/٣٧.

٢- الحماسة البصرية، أبوالحسن البصري ١/١٥.

٣- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي ١/٤١. وانظر الكتاب: كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري الطبعة الثانية، ١٩٨٨ تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش ٢/٣٢٥- ٣٢٦.

(٤) حياة الحيوان الكبرى، الدميري ٢/١٣٢.

(٥) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ١/٤٢.

الأدب حياة

التحرير

أقام منتدى الأدب الإسلامي بالمركز العالمي للوسطية مجلسه الأدبي الشهري تحت عنوان «الأدب حياة» للدكتور محمد مصطفى الكنز في محاولة لتعزيز فرص التواصل مع جمهوره العريض، والارتقاء برسالة الأدب الإسلامي الهادف مجتمعيًا، وتسليط الضوء على دوره المتميز في نشر القيم العليا.

استهل د. الكنز محاضرته بالتأكيد على دور الكلمة الطيبة والأدب الرفيع كعنوان لشخصية كاتبها وتعبيرًا مثاليًا عن وجدانه وذاته، مبينًا كيف أن الله تعالى اختص الإنسان بميزة البيان وفصل الكلام كونه خليفة الله في أرضه، وبسط له من الأدوات والوسائل، وعلى رأسها البيان، ليقوم بواجبات الاستخلاف.

وخلص «الكنز» إلى أن الأدب هو الوعاء الذي يعبر عما يجيش في نفوسنا من الصراعات الداخلية والخارجية من مشاعر وأمزجة وطباع.

وأوضح العلاقة الوثيقة ما بين الأدب والدين، فكما أن الدين ضرورة ماسة في حياة الإنسان فالأدب نوع من الأساليب لبناء حياة تصلح لأن تكون ملاذا للهاربين من سطوة المادة وقسوتها.

وأشار إلى وجود التضارب الكبير بين الأدب والسياسة وانقطاع الصلة ما بين الأديب والسياسي للاختلاف الجوهري في القواعد، وأهمها إقصاء السياسي للجانب الإنساني الذي يتوافر لدى الأديب، واعتباره ضمن أدواته إلى جانب الطابع العنصري والتحيز للأجناس لدى السياسي، والذي لا يوجد عند الأديب.

وعرف «الكنز» بعض معاني مصطلح الأدب، وبين بعضًا من تلك التعريفات، والتي تلخصت وتماشت في مجملها مع معاني الدعوة والتعاطف وحب الخير، وكيف تعددت واتسعت علوم الأدب عند القدماء لتشمل العديد من الصنوف والأنواع، وكيفية انحسار المفهوم حديثا ليتطور ويقتصر على الشعر وفنون النثر الفني.

وقال: إن الأدب قادر على أن يبعث في النفس إنسانيتها، ويبث في الروح مباهجها، ويصفي الوجدان، لذا من الضروري أن يكون أدبًا سويًا غير مفرغ من معاني الإنسانية، بعيدًا عن العنصرية والطغيان.

وانتهى «الكنز» إلى أن الأديب روح أمته وضميرها النابض الذي يسري عبر الأجيال، والأديب الحق الذي يثري وجدانها ويحرك مشاعرها.

سوريا

وليد الخطيب

يأتي الربيع إذا ما اشتد ساعدنا
وساد أوطاننا من خاف بارينا
ولم يكن بيننا خب يضيعنا
ولا منافق يخفي الشر يغرينا
لابد آت بإذن الله إن طهرت
منا القلوب وكنا إخوة دينا
إن يعلمِ الله منا صدق نيتنا
يقض بنصر لنا يخز أعادينا
هذي الشآم بخطوات له سلكت
لن ترجع القهقرى حتى يوافينا
يأتي الربيع لقوم يعملون له
إن أحسنوا الزرع ما باتوا مساكينا
ضاق التصحر ذرعا من سواعدنا
وذاق طعم الأسى من كان ساقينا
الظلم ولى وجاء الخير مبتسما
سينعم الناس في أفيائه حينا
وتحت أقدامنا اخضرت مرابعنا
وأزهر الروض ما أحلا مغانينا!
في ظل رايتنا عدل ومرحمة
والخلق في ظلها عاشوا سلاطينا
من لم ير الشمس في دنياه طالعة
فالموت أولى به من مكثه فينا

مقالات أدبية

أحلام شاب عزب

عبدالكريم إبراهمي
ناقد أدبي

كثيرون هم الذين يظنون أن اللذة إنما تدرك حينما يصيب زيد من الناس ما يشتهيه، وذلك كاللذة في زيارة مكان طبيعي خلاب، ومثلها في مسامرة الأحباب، ومثلها في إراحة البدن وإزالة الدرن. ولكن قليلون هم الذين يصيبون اللذة حينما يفتقدون ما يشتهون.

ولتسمحوا لي أيها السادة أن أشرح هذه الفلسفة الغامضة، وأفك هذه الطلاسم المعقدة، وخير ما أشرحها به، أن أحدثكم بشيء أشقه من صدري حتى يأتي الحديث وقد غذي بلبان الصدق، فإن الكلام ما ينفع أبدا إذا خلا من الصدق، ولقد قال الحكيم: كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز.

أنا يا سادة شاب عزب، مقبول الصورة، موفور الصحة، ميسور الحال، لم يمنعني من الزواج مانع، إلا أني لم أجد بعدُ تلك الفتاة التي أحلم بها، وأنا أبحث عنها، وأود لقاءها اليوم قبل الغد، وأنا أتعجل معرفة صورتها، وما اسمها؟ ومن أين هي؟

ثم إن حالتي هذه، قد تضطرني بين الفينة والأخرى، إلى أن أنزعج من طول الانتظار، وأعاني شقاء البحث والسؤال، فأحس الكآبة في قلبي، لأنه لم يعرف بعد أليفه، ولذلك يخيل إلي أن الغيب عذاب للقلب، حتى كأنه جبل يجثم عليه.

ولكن، سرعان ما ينطلق بي الخيال وقد مزق حجب الغيب، يسبح بي في الفضاءات الواسعة، وتجدني قد انتقلت من حال إلى حال، وإذا الغيب الذي كان جحيما صار الآن جنة ونعيما، وإذا بي أزور العالم ولم أتحرك. وإذا بي أرفل في لذة لا هي كاللذات، وقد كان مبدؤها أنني لم أدرك ما أشتهيه، ألا وهو معرفة الفتاة التي تكون زوجتي.

فانظروا - يا رعاكم الله . كيف أني أصبت هذه اللذة من حيث فقدت معرفة الغيب، وذلك أن ما منحني إياه الخيال في لحظة الاكتئاب قد لا يمنحني القدر إياه وإن القدر خير من الخيال، لأن القدر من الحكيم الخبير، وما الخيال إلا أحاديث النفس تلهي بها الروح وتمنيها، ولكنها أيضا نعمة الله إلى المنكوبين.

كنت أتعجل معرفة الفتاة التي تكون زوجتي، والتي أخلص لها حبي ومودتي، فأسرع إلى باب بيتها أطلب يدها من ولي أمرها. ولكن.. إذا بالخيال يفتح إلي أبواب العشرات من الفتيات، لأتخير منهن من أريد وأيهن أريد؟

أأريد التي اسمها ليلى وسعدى، وغيرهما من صواحب أسماء الصبابة والحب. وكأن الصبابة لم تعرف من الأسماء إلاها، وكأن من لم يكن اسمها ليلى أو سعدى فليس للحب فيها رغبة وطمع، حتى توهم ذلك شاعرنا فسمى كل محبوبة ليلى، فقال:

كل يغني على ليلاه متخذا
ليلى من الناس أو ليلى من الخشب

كلا.. ليس الحب حكرا على ليلى وسعدى، وإنما هو كالغيث يصيب ماؤه كل من كان تحته على الأرض، ما لم يتخف، ولذا، فهو لا يصيب إلا الكرماء، أو هو كالقمر يجد نوره كل من سرى ليلا.

ومن أريد أيضا؟

أأريد التي كالحورية، لها أطيب ثغر ريحا، كأنه من أفواه الظباء، وعيناها ترنو كالمهاة، وشعرها ليل أسود مظلم، وهلم جرا.. إلى غير ذلك من أوصاف الغادة الحسناء. وكأن الحب مسابقة، ما لم تتوافر شروطها فلا مسابقة.

كلا.. فليس الحسن شرطا في الحب، إنما شرطه أن يسر الحبيبان بعضهما، ولو أن الأمر كذلك لاجتمع هوى الألف والألفين في حب الواحدة، ولو أن الأمر كذلك لأحب قيس مهاة وما أحب ليلاه.

وماذا أريد أيضا؟

أأريد أن أقلد قيسا العامري حين أحب ليلى العامرية ابنة عمه، أو عنترة حين أحب عبلة ابنة عمه، وكأن الود ما يصفو بين الإلفين إلا إذا نمت القرابة بينهما واتصلت، فلا يتحقق إلا بالقرابة في الأنساب.

كلا.. وإنا لو سألنا قيسا: أما أحببت ليلى إلا لأنها ابنة عمك؟ لأجابنا قيس: وهل الحب ميراث؟ نعم . ما الحب كالميراث، لا ينتقل من هذا إلى هذا إلا بعد أن يكون بينهما قرابة ونسب، وإنما هو استئناس يجده الصب في قلبه كلما رأى إلفه، أو ذكر له اسمه أو ما يتصل به، إنما أنت قتيل من أحببت.

ومن أريد أيضا؟ وهل بيدي أن أشتهي؟ هل بيدي أن أقول: هذه تصلح وهذه لا تصلح. وأروح أصنف النساء فأجعل منهن صنفين: ما يصلح وما لا يصلح، وكأني صاحب أخبار النساء، أو كأن النساء تمر وأنا فلاح يميز جيده من حشفه.

كلا.. ما أنا وأنتم بأصحاب الرأي في اختيار أزواجنا، وإنما صاحب الرأي من خلق الرأي.

عذرا يا سادة إن كنت قد صدعت رؤوسكم بما أشتهي وما لا أشتهي، ولا تحملوا مقالتي على محمل الجد، فما هي إلا أحلام شاب عزب، مل أن يعيش وحيدا.

من وجوه الإعجاز في الذكر الحكيم

ظاهرة المثلث القرائي

أ.د خالد فهمي
كلية الآداب- جامعة المنوفية

لقد استقر في النظر العلمي على امتداد تاريخ العناية بالذكر الكريم وصفه بالكتاب المعجز الذي لا قبل للطاقة البشرية على الإتيان بشيء من مثله.

وقد تنوعت نظريات تفسير إعجاز هذا الذكر الحكيم، واستقلت تآليف متنوعة لفحص هذا الأمر إلى يوم الناس هذا.

وقد كان الانطلاق من تحليل أسلوبه، وفحصه، أساسًا أصيلا على طريق الكشف عن بنيات هذا الإعجاز، وقد جمع الدكتور حسين نصار في كتابه إعجاز القرءان، مكتبة مصر ١٩٩٩م ص: ٢ أقوالا كثيرة جدًا تعول على تفرد أسلوب القرآن الكريم، وبراعته طريقًا للكشف عن إعجازه.

قد استطاع الراحل الكريم الدكتور محمد عبدالله دراز أن يلخص ويوجز هذا المدخل في عبارة مهمة وموفقة قال فيها: إن القرآن الكريم معجزة لغوية على ما قرره في كتابه (النبأ العظيم).

والحق أن تفاصيل هذا الحكم العام ربما أمكن أن نقرر أنها متشعبة لا سبيل إلى الإحاطة بها.

وطبيعة كون الكتاب العزيز كتابًا خاتما منزلا للزمان القادم كله يرشح لفكرة أن كل جيل ادخر له الله تعالى ما يناسب زمانه من وجوه الإعجاز التي تعيد صلته بالذكر الحكيم غضة طرية.

وأعتقد أن قراءة ظاهرة: المثلث القرائي من بوابة الإعجاز يمكن أن تسلكها في إطار وجوه الإعجاز اللغوية التي تدعم حقيقة تزاحم معاني هذا النص العزيز.

٢ – مفهوم المثلث القرائي

المثلث اللغوي ظاهرة معجمية بامتياز، تضم عددًا من الألفاظ التي ينطبق أحد حروف بنيتها ولا سيما الأول منها بالحركات الثلاثة، وهو ينقسم قسمين، أولهما ينتج عن تغاير الحركات تغاير المعاني، وهو الذي يسمى باسم المثلث اللغوي المختلف المعنى، وآخرهما يثبت مع تغاير الحركات أمر المعنى وهو الذي يسمى باسم المتفق أو المؤتلف المعنى.

وقد عرفت المعجمية العربية التراثية عددًا من مصنفات هذه الظاهرة اللغوية من مثل:

– المثلثات لقطرب، ت ٢٠٦هـ.

– المثلث، لابن السيد البطليوسي ٥٢١ هـ.

– إكمال الإعلام بتثليث الكلام، لابن مالك، ت ٦٧٢هـ.

– المثلث اللغوي ذو المعنى الواحد للبعلي ت ٧٠٩هـ.

– الدرر المبثّثة في الغرر المثلّثة للفيروزآبادي ت ٨١٦هـ.

ولما روي في الذكر الحكيم بعض من الألفاظ المعربة بالحركات الثلاث في الموضع الواحد تبعًا لقراءات مختلفة، نشأت الحاجة إلى تسمية أمثال هذه الألفاظ مثلثة الإعراب فاستعير المصطلح اللغوي، الذي هو المثلث اللغوي، لإطلاقه على الظاهرة مع تعديل مناسب، ليكون المثلث القرائي، أو ما قرئ بالتثليث من كلمات القرآن.

وبهذا يكون مصطلح المثلث من المصطلحات الرحالة، انتقلت من الجهاز الاصطلاحي اللغوي إلى الجهاز الاصطلاحي في علوم القرآن الكريم، بعد تعديل في مفهومه، ليدل على الكلمة القرآنية التي تقرأ بثلاث حركات، أو تروى بثلاث إعرابات، وهو ما يعبر عنه الرعيني ت ٧٧٩ هـ في مقدمة كتابه (تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن) ص٣ بقوله: «إني رأيت من القراءات ما جاء مثلث اللفظ».

٣ – العناية بالمثلث القرائي في التراث العربي

إن تأمل مسألة العناية بالمثلث القرائي تكشف عن وجوه وقفت عليها عدد من المؤلفات المنتمية لعلوم مختلفة، فقد اعتنى بهذه الظاهرة، وبأمثلتها أصناف الكتب التالية:

أ- كتب إعراب القرآن الكريم الموسعة، ولا سيما التي تعنى بإيراد الوجوه الإعرابية المختلفة والتوسع فيها، من مثل الدر المصون، للسمين الحلبي.

ب- كتب التفسير الموسعة ولا سيما التي تعنى بالقراءات وتوجيهها، كالكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

ج – كتب توجيه القراءات.

د- كتب النحو الموسوعية والتعليمية.

وقد ظهر نوع عناية بهذه الظاهرة القرآنية تمثل في ظهور تأليف مستقل، عني بتحرير مفهومها، وجمع أمثلتها من الذكر الحكيم، وبيان ما فيها من وجوه وأعاريب.

وهذا الكتاب هو: (تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن).

لأبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني المتوفى ٧٧٩ هـ، يقول محققه الدكتور علي حسين البواب ص٥ من مقدمة التحقيق: «وإذ كان التأليف في المثلث معروفًا وكتبه ومادته مجموعة ومبوبة»، فإن هذا الكتاب ينفرد بأمرين:

أولهما: أنه وجه عنايته للقرآن الكريم، وخص الكتاب بمثلثاته.

ثانيهما: أنه خالف مفهوم التثليث عند أهل العربية (اللغة)».

ومنهج الكتاب جامع بين منهجية الترتيب الألفبائي، ومنهجية الترتيب المصحفي، بمعنى أن الكلمات جاءت مرتبة ألفبائيًا مع مراعاة موضع التثليث على ترتيب

الهمزة والباء والتاء إلخ، ثم مراعاة ترتيب المصحف والسور الكريمة في داخل كل باب.

ففي باب الهمزة مثلًا، جاءت الكلمات المثلثة القرائية التالية: (شرَكَاء)(سورة يونس)، و(سوَاء) (سورة فصلت).

وفي باب الباء جاءت الكلمات المثلثة القرائية التالية:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الفاتحة)،﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾(سورة الأنعام)، ﴿ بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾(سورة الصافات).

ويبدو أن السر وراء انتهاج هذه المنهجية هو طلب التيسير، وهو الأمر الذائع في التوصل إلى هذه المنهجية، يقول الرعيني ص٣: «فلما يسر الله جمع ذلك كتبته، ليكون تذكرةً للبيب، وتنبيهًا للأريب، ورتبته على حروف المعجم، ليكون أسهل للناظر وأجمع للخاطر».

ومسألة التيسير يكمن وراءها كذلك نوع منهجية تتوخى الجمع وسهولة الاسترجاع.

٤- أسرار ظاهرة المثلث القرائي في الذكر الحكيم

القرآن الكريم كتاب مكتنز بالحكمة، وقضية الاكتناز بالحكمة المدعومة بكونه الكتاب الخاتم للزمن القادم تحتاج إلى قانون أو معيار يتعاطى مع هذه الطبيعة الخاصة، وهو ما أخرج المعيار الذي يقرر أن القرآن الكريم مبني على تزاحم المعاني، بمعنى أنه يلجأ إلى تقنيات بعينها ليستوعب تنوع المعاني وتعددها.

وقد أورث هذا المعيار الذي أطلق عليه معيار تزاحم المعاني في الذكر الحيكم عددًا من التجليات على مستوى البنية ابتداء.

كان من أظهرها وجود كلمات قرآنية قرئت بحركات مختلفة طلبًا لاجتماع المعاني وتنوعها وتعددها.

وبذلك تكون ظاهرة المثلث القرائي القائم على قراءة عدد من الكلمات القرآنية، في الموضوع الواحد بحركات ثلاث توسيعًا للناتج من معناها، وتشعيبًا للمراد من فحواها أساسًا، أو وجهًا جديدًا من وجوه الإعجاز، وبذلك تسهم هذه الظاهرة في الكشف عن أسرار القرآن الكريم، ومرونته واكتنازه وتدفقه بالمعنى.

ومن أمثلة ما جاء في ذلك الكتاب الكلام على إعراب قوله تعالى:

﴿ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ بتحريك همزة سواء بالحركات الثلاثة، وتمام الآية.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾(سورة فصلت:١٠).

و توزيع الإعرابات الثلاثة كما يلي:

أ- إعراب النصب في قراءة السبعة على تقدير كون﴿سَوَآءً ﴾ بمعنى استواء على المصدرية، أي استوت استواء، أو على الحالية من الأرض، أو من الأقوات.

ب -إعراب الرفع في قراءة أبي جعفر من العشرة، وهي إذن خبر لمبتدأ محذوف: أي هي سواء.

ج- إعراب الجر في قراءة زيد بن علي، والحسن وغيرهما وتقديرها أنها نعت لأربعة أيام.

وبهذا تكون الوجوه الإعرابية كفلت لاستواء: للأرض، والأقوات، وللظرفية(فيها)، وللأربعة الأيام، ولمجموع ما ذكر، ولم يكن من الممكن تحقيق هذا التوزيع الشامل للاستواء من دون استعمال هذا التثليث القرائي.

ومن أمثلة ذلك أيضًا الكلام على إعراب قوله تعالى:﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ (سورة الأنعام:٢٣).

إذ رويت كلمة ربنا بالإعرابات الثلاثة:

النصب في قراءة حمزة والكسائي على تقدير النداء، أي: يا ربنا، أو تقدير فعل: أمدح، والله يا ربنا، أو والله نمدح ربنا ونقدسه.

والجر في قراءة باقي السبعة على أنها نعت لله تعالى، أو بدلا، أي والله الذي هو ربنا.

ج- والرفع في قراءة عكرمة على تقدير أن الله مبتدأ وربنا خبره، والتنوع هنا محقق لما سميناه بتزاحم المعاني، واكتنازها، وانجماعها لتحقق أكبر قدر ممكن من المعاني من مثل:

أولًا – تحقيق الاعتراف بالإقبال على الله تعالى، والانكسار بين يده على تقدير النداء.

ثانيًا – تحقيق التمجيد لله سبحانه والدينونة له بتقدير امتداحه والثناء عليه.

ثالثًا- تحقيق كمال التوحيد بالاعتراف له بالألوهية، التي هي استحقاق بالعبودية وحده، وبالربوبية التي هي الاعتراف له بفضله ومنته وتربيه للخلق، وهو المعنى المستفاد من الإعراب المعتمد للنعت والبدلية.

رابعًا – الاعتراف بالإيمان والتعليل للابتعاد عن الشرك في قراءة من قرأ بالرفع، أي أننا لسنا مشركين، لأننا نقر على أنفسنا أن الله ربّنا.

والتثليث القرائي هنا، بما هو وجه إعجازي يحقق هذه المعاني جميعًا، فيحقق مطالب الاعتقاد والعبادة والأخلاق باجتماع الإعرابات - يعني أن لغة الذكر الحكيم ما تزال غضة طرية- تحتاج إلى مواصلة الجهد في تتبع ظواهرها، وتفسيرها خدمة لهذه المعجزة الخالدة الباقية على امتداد الزمان.

أطلس الوقف..
يوثق أوقاف الكويت في ١٨٥ عامًا

السيد المخزنجي
عضو اتحاد كتاب العرب

في إطار مشروعات الدولة المنسقة لجهود الوقف، وبالتعاون والتنسيق مع المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية.. صدر كتاب جديد بعنوان «أطلس الأوقاف.. دولة الكويت» عن الأمانة العامة للأوقاف، بإدارة المعلومات والتوثيق، مكتبة علوم الوقف، وهو الطبعة الأولى، عام ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

يقع الكتاب، أو بالأحرى «أطلس الأوقاف.. دولة الكويت» في مائة واثنتين وخمسين صفحة من المقاس الطويل (٢٣ × ٣٥سم)، ويحتوي على صفحة تتضمن أسماء كل من المشرف العام للمشروع، ورئيس المشروع، ورئيس تحرير الأطلس، والكاتوجرافيا والكمبيوتر، والتصوير الفوتغرافي، وهيئة المتابعة والتدقيق، والتصميم والإشراف على الطباعة، ثم الإخراج الفني والطباعة، وصفحة تتضمن محتويات الأطلس.

موضوعات الأطلس

أما الموضوعات التي يحتويها الكتاب (الأطلس) فتشمل: مقدمة تتضمن نبذة تعريفية عن الأطلس – وهو من الأطالس التوثيقية والتاريخية التي تهتم بالمكان والزمان، أو «الزمكانية» كما يسميها البعض- حيث لم يكتف بتبيان المعلومات الجغرافية المتعلقة بالأعيان الوقفية، بل قدم سردًا لأهم الأحداث والوقائع والأعمال التي حدثت خلال السنوات التي تم فيها وقف هذه العقارات، وتحديدًا من عام ١٨٢٥: ٢٠٠٩م.

يبدأ الأطلس بالحديث عن نشأة دولة الكويت، ويعرض ثمانية موضوعات وهي: أنواع الوقف في دولة الكويت، العقارات الوقفية في

دولة الكويت، توزيع الأعيان الوقفية في محافظة العاصمة، توزيع الأعيان الوقفية في محافظة حولي، توزيع الأعيان الوقفية في محافظة الأحمدي، توزيع الأعيان الوقفية في محافظة الفروانية، ونماذج من الحجج الوقفية الشرعية، ثم قائمة المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية.

مكتبة علوم الوقف

نظرًا لأهمية الأطالس، بوصفها أحد أهم الأعمال الموسوعية والعلمية التي يعتمد عليها الباحثون والقراء.. ارتأت «مكتبة علوم الوقف» أهمية إصدار أطلس يتيح لهؤلاء الباحثين والمهتمين معرفة أماكن وجود تلك الأعيان الوقفية، وما يتعلق بها من معلومات، سواء أكانت جغرافية أم غيرها، مما يهم المستفيدين في هذا الصدد.

ويعد هذا الأطلس الأول من نوعه، حيث يوثق نموذجًا مهمًا من نماذج وأشكال العمل الخيري في دولة الكويت، وهو «الأوقاف» بمفهومها العام المتكامل.

ويتميز هذا الأطلس بسرده لأهم الأحداث والوقائع والأعمال التي حدثت خلال السنوات التي تم فيها وقف العقارات، كالاتفاقيات الدولية بجميع أشكالها، وإنشاء المؤسسات والوزارات والهيئات الحكومية والأهلية، والشخصيات والزوار المميزين الذين زاروا الكويت خلال تلك السنوات، واكتشاف آبار وحقول النفط، واتفاقياته، لما لذلك من أثر مباشر وغير مباشر على تطور حركة الأوقاف بالكويت، والكوارث الطبيعية والبشرية التي صاحبت سنوات الوقف.. إضافة إلى ذلك، فإن الأطلس يحقق اعتبارات عدة، من أهمها إطلالة دولة الكويت على العالم الخارجي، خاصة العالم الإسلامي، وهي إطلالة صادقة تعبر عن حب أهالي الكويت لتقديم الخير ويد العون للمحتاجين على مر الزمان.

مصادر الأطلس العلمية

لقد اعتمد فريق الأطلس، في عملهم وإنجازهم لهذا السفر العلمي المعلوماتي التوثيقي الوقفي، على العديد من المصادر ذات الصلة ومنها: الأرشيف التاريخي والقانوني للأوقاف، الموجود بالأمانة العامة للأوقاف، إلى جانب ما توافر من الدراسات الميدانية للأمانة.. وكذلك المصادر منقطعة الصلة بموضوع الأطلس، ثم الاستناد إلى المراجع التاريخية والتوثيقية باللغتين العربية والإنجليزية (راجع ص١٤٦– ١٤٨ من الأطلس).

وقد قام العمل في الكتاب على أُسس منهجية وموضوعية تتمثل في:

بيان التوزيع الجغرافي والمكاني للأعيان (الموقوفة)، والتزام الترتيب الزمني (من الأقدم إلى الأحدث) للأوقاف على مستوى دولة الكويت، أما الثالث، فكان عبارة عن وصف لتلك الأعيان ونوعها وحالتها الكائنة عليها.

كما يبرز الأطلس أهم الجوانب التي تؤكد الهوية الإيمانية والخيرية لأهالي دولة الكويت، حيث تم توثيق وتسجيل أهم الأحداث خلال السنوات التي واكبت عمليات وقف الأعيان، خلال فترة زمنية طويلة بلغت ١٨٥عامًا، فيما بين عامي ١٨٢٥ و٢٠١٠م (ص١٨ من الكتاب).

محتويات الأطلس

يحتوي أطلس الأوقاف.. دولة الكويت، إلى جانب ما عرضنا له، على ٥٣ خريطة حديثة لتوزيع الأعيان الوقفية بحسب الموضوع، وعلى ٢١ خريطة تاريخية وعامة لدولة الكويت، وعلى ١٥ رسمًا بيانيًا توضيحيًا لتلك الأوقاف، وعلى ٥ جداول إحصائية، وعلى ٢٠٣ صور حديثة للأعيان الوقفية، كما اشتمل على ٢٣ صورة للحجج الشرعية. بالإضافة إلى ٨ صور قديمة وحديثة لمناطق في الكويت، أي ما مجموعه ٣٢٨ وسيلة إيضاح مختلفة، تساعد على تدعيم المحتوى العلمي للأطلس.

القضاة الشرعيون كرسوا وقتهم وجهدهم لتوثيق حجج الواقفين بالكويت

موقع دولة الكويت ونشأتها

يوضح الأطلس موقع دولة الكويت بالنسبة للعالم الإسلامي، حيث تقع في الركن الشمالي الشرقي لشبه الجزيرة العربية.. ويحدها من الشرق الخليج العربي، ومن الشمال والشمال الغربي دولة العراق، والجنوب والجنوب الغربي المملكة العربية السعودية، ومع أن نشأة الكويت الحالية ترجع إلى عام ١٦١٣م، فإنه لا توجد معلومات كافية عن تلك الفترة حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي.

وتفيد المصادر التاريخية بأنه كان هناك جماعة من الأسر والقبائل أطلق عليهم اسم «العتوب» استقر بهم المقام بأرض الكويت، وكانوا قد قدموا من نجد، وهم ليسوا من قبيلة واحدة، بل هم مجموعة من الأسر، فوضوا أمرهم إلى آل صباح ليتولوا حكم البلاد، وأول من اشتهر منهم وورد اسمه في المصادر التاريخية هو الشيخ صباح بن جابر (١٧١٨– ١٧٧٦م) والذي يطلق عليه صباح

نصف أعداد الأوقاف للمساجد بمحافظة الأحمدي.. والنصف الآخر للوقفين الخيري والمشترك

الأول، وقد ذكر الكتاب أيضًا أسماء الشيوخ الذين توالوا على حكم دولة الكويت، وهم خمسة عشر حاكمًا من أسرة آل الصباح، منذ عام ١٧١٨ وحتى عام ٢٠٠٦م (ص٢٣ من الكتاب).

أنواع الوقف في الكويت

ينتقل الكتاب (الأطلس) بعد ذلك لبيان أنواع الوقف بدولة الكويت، فيبدأ بتعريف الوقف لغة، واصطلاحًا، والفرق بين التبرع والوقف، حيث إن الوقف تبرع دائم؛ لأن المال الموقوف ثابت لا يجوز بيعه، ولا التصدق به، ولا هبته، وإنما يتم التبرع فقط بغلته وريعه الذي يصرف في الجهات التي حددها الواقف. أما التبرع فهو بذل المال أو المنفعة للغير بلا عوض، بقصد البر والمعروف، والوقف يختلف باختلاف الموقوف عليه، وينقسم إلى ثلاثة أنواع: الوقف الأهلي (الذري)، الوقف الخيري، والوقف المشترك: وهو ما يجمع بين الوقفين الأهلي والخيري.

ويرجع تاريخ الوقف بدولة الكويت إلى بدايات نشأتها في القرن السابع عشر الميلادي، والمتمثل في وقف مسجد ابن بحر، الذي يرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٦٧٠م.

يستعرض الكتاب أيضًا أوجه الوقف الخيري في دولة الكويت، ويأتي في مقدمتها الوقف على بناء المساجد، والتي شملت- لدى أهل الكويت الخيّرين- الوقف لصالح الإمام والمؤذن، وتعمير المسجد، ومسكن للإمام والمؤذن، والأدوات التي يحتاجها المسجد، ومدرسة لتحفيظ القرآن، ووقف إفطار الصائمين، ووقف عام على المسجد.

وهناك الأوقاف في مختلف وجوه البر والخير، ومنها: الوقف على عموم الخيرات ووقف الأضاحي، والوقف على المبرات، والوقف على الفقراء والمساكين، والوقف على طلبة العلم، والوقف على القرآن الكريم، والوقف على تسبيل المياه (أي جعل الماء متاحًا للجميع في الطرق العامة)، والوقف على تغسيل الموتى وتجهيزهم ودفنهم.

وقد أشار الكتاب إلى وجود أوقاف خيرية تقوم الأمانة العامة للأوقاف بالكويت بمهمة النظارة عليها، وأخرى تقوم الأمانة بالنظارة عليها بالاشتراك مع أحد أقارب الواقف، وأوقاف أخرى لها نظارة منفردة من ذرية الواقف.

وأوضح الكتاب أن معظم الأعيان الوقفية تتركز بشكل عام في محافظة حولي، حيث بلغت نسبة الأعيان فيها نحو ٧٨٪ من جملة أعداد الأعيان التابعة للأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، والبالغة ٢٢٠ عينًا، ويعلل ذلك بوجود العديد من الأسر الكويتية التي تمتلك مساحات كبيرة من الأراضي في محافظة حولي منذ القدم.

تعقيب وملاحظات

من فوائد وإيجابيات هذا «الأطلس» أنه يقدم خريطة «بانورامية» للوقف على مستوى دولة الكويت، بمحافظاتها وأشخاصها الواقفين المحسنين من أهل الخير في وطنهم الحبيب، وكذلك بيانه، أو بالأحرى تحديده بدقة علمية، كأماكن وجود الأعيان الوقفية، وما يتعلق بها من معلومات، سواء أكانت جغرافية أم نوعية- تصنيفية، أو أرقام ومعلومات وأحداثا تاريخية، يجسد خلالها الوقف المكان والزمان معًا لحقبة من تاريخ الكويت القديم والمعاصر على السواء، ودورهما في العطاء والوفاء لهذا الوطن، ولما يتضمنه من سرد لأهم الأحداث والوقائع والأعمال التي حدثت خلال السنوات التي تم فيها الوقف لتلك العقارات، عمارة أو بناية أو مجمعا تجاريا، أو محلا أو دكانا، أو فيلا سكنية، أو حوطة (مساحة من الأرض فضاء) (ص ٣٥ من الكتاب)، حيث امتدت تلك السنوات من ١٨٨٥- ٢٠١٠م، وهي الفترة التي شملها الأطلس، لتكون دليلًا وشاهدًا حيّا على هذا الإنجاز العلمي المفاخر به.

الحقيقة الأخرى أن هذا الأطلس، فيما يتعلق برصده للمواقع الجغرافية التي شهدت تدنيًا ظاهرًا في حجم ونوعية الأوقاف ومجالاتها المختلفة في كل محافظة من محافظات الكويت، يمكن له أن يكون مرشد عمل ودليل تقويم لإدارة مهمة من إدارات الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، وهي إدارة الإعلام والتنمية الوقفية، فيما يختص بأنشطتها وخططها التشغيلية، التي يجب أن تركز على تلك «المناطق» والأماكن المتدنية في حجم الوقف، والأفراد، بالدعوة إلى الوقف، وتكثيف حملاتها الإعلامية والتسويقية، بل وطرح خطة إعلامية تسويقية مدروسة تستهدف- في نهاية المطاف- استقطاب أكبر عدد ممكن للأوقاف في تلك المناطق بتلك المحافظات، وبذلك تسد ثغرة ظاهرة بالنسبة للدور الذي يجب أن تقوم به، من حيث تعزيز ثقافة الوقف وتنميته والنهوض به، والعمل على زيادته من خلال الاستفادة بجهود وطاقات موظفيها الشباب، بإنشاء مكاتب أو مراكز إعلامية دعوية للوقف، وكونه سنة نبوية، والتعريف بأهميته وفوائده للمجتمع، وذلك تحت مسمى «المركز الإعلامي للأمانة العامة للأوقاف» بمحافظة كذا.. ويمكن أن تنجح الفكرة بتحفيز هؤلاء الموظفين- وإلى جانبهم المتطوعين بالمشاركة- في الحث على الوقف والدعوة إليه ماديّا ومعنويّا.

لقد أحسنت «هيئة تحرير الأطلس» و«إدارة المعلومات والتوثيق» بالأمانة العامة للأوقاف، حينما أعربتا عن استعدادهما للتزود بكافة الآراء والاقتراحات والتصويبات؛ من أجل استدراك القصور، وتصحيح الأخطاء في الإصدارات القادمة (الطبعة التالية) للأطلس.

التفاعل الاجتماعي وتشكيل الشخصية

الزبير مهداد
كاتب مغربي

كان جمهور المسرح الإغريقي يستدل على الممثل بالقناع الذي يضعه على وجهه، فكان المشاهد يتخيل شخصية الممثل، ويتوقع المواقف والاستجابات التي ستصدر عنه، وعلاقاته بسائر الممثلين، الذين كانوا أيضًا يضعون أقنعة تحدد سماتهم العامة وطبيعتهم.. فوضع قناع ما، يقتضي من الممثل أن يؤدي وفق أنموذج محدد بناء على نوع القناع، وينظم صفاته الجسمية والعقلية والأخلاقية، بما يناسب الصورة التي يتوقعها المشاهد منه.

هذا القناع المسرحي كان يسميه الإغريق Persona وتأسيسًا عليه، صاغ علماء النفس مفهوم الشخصية Personalit وحددوا معناها في مجموع الخصائص النفسية والعقلية والجسمانية التي تكون الفرد، وبخاصة كما يراه الآخرون، هذه الخصائص يربط بينها تنظيم داخلي ديناميكي للدوافع والانفعالات والإدراك والتذكر، تتجلى في عادات واهتمامات نحو قيم وسمات عامة، تحدد في النهاية مميزاته عن غيره من الأفراد. فالشخصية ليست مجرد صفات، بل هي وحدتها الديناميكية، وتماسكها وانسجامها، أي التنظيم الذي يحكم هذه الصفات.

وللشخصية جانب ذاتي، وهو شعور الفرد بذاته، ويتكون تدريجيا عبر ثلاث مراحل، أولها الشعور بالذات الجسمية، ثم الذات النفسية، فالذات الاجتماعية.. وجانب موضوعي يتألف من مجموعة السمات التي تتيح للفرد أن يسلك إزاء الآخرين سلوكًا موسومًا بطابعه، وتسمح اختبارات الشخصية بتقدير هذه السمات.

ويميز علماء النفس عادة بين نموذجين من الشخصية: النموذج الانطوائي Introvert، وفيه تتجه اهتمامات المرء نحو الذات والخبرات الذاتية أكثر مما تتجه إلى ما هو خارج عن الذات، وتتميز الشخصية الانطوائية بالانكفاء على النفس، واجتناب الاتصال بالناس، والحذر من الغرباء، وعدم المشاركة في النشاطات الاجتماعية.. والنموذج الانبساطي Extrovert، وفيه تتجه اهتمامات المرء إلى ما هو خارج عن الذات بأكثر مما تتجه نحو الذات والخبرات الذاتية.. وتتميز الشخصية الانبساطية بالدينامية المنتجة، وبالنزوع إلى الاختلاط بالناس، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية.

وبين الانبساط والانطواء بون شاسع، وقد يكون المرء انبساطيا أو انطوائيا، وهو أمر طبيعي ومقبول ما دام في حدود السواء، أما إذا اشتدت انطوائيته إلى حد مقاطعة غيره، أو انبساطيته إلى حد إهمال ذاته، فإن الأمر يصبح ضارا به وبغيره، ويؤشر لشخصية غير سوية تفتقد الاتساق.

اتّساق الشخصية

فاتساق الشخصية يعني تكامل عناصرها، بالحد من التضارب بين دوافع وبواعث الفرد وقيمه، حتى تتحقق وحدة الشخصية بانسجام المواقف العقلية والانفعالية، والاستجابات السلوكية الصادرة عنها(١)، ويلعب التفاعل الاجتماعي دورًا هاما في تحقيقها.

التفاعل علاقة متبادلة بين طرفين أو أكثر، تقوم على تقارب الأطراف وتفاهمها، وبفضله يسلك الأفراد آخذين في الاعتبار أعمال الآخرين ونواياهم وأفكارهم وطبيعتهم، كما أنه يؤدي إلى نمو العلاقات الاجتماعية.. فالعلاقات الاجتماعية في معظم الأحيان تتضمن التفاعل، ومن ثم يصبح التفاعل أصل العلاقة؛ فهو يأتي على الدوام بدرجة معينة من الاكتساب والتعاون، بينما ينطوي الانعزال على درجة الصفر في منظور التفاعل الاجتماعي(٢).

انعزال الطفل مؤشر للتربية الخاطئة

وفي مجتمعنا الإسلامي، تحظى الحياة الجماعية بأهمية خاصة، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم» (رواه أحمد).

وقال الإمام الغزالي: اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة.. فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة(٣).

والعلاقات الشخصية المتبادلة هي القنوات الواصلة للروابط والوشائج والعواطف التي تربط بين الأفراد، سواء أفراد الأسرة، أو الأقران، أو رفاق الحي. والتفاعلات والعلاقات تكون متينة قوية كلما كان الفرد قادرًا على تعرف احتياجات غيره، مع الإدراك المسبق لردود فعلهم المتوقعة من مواقفه أو استجاباته السلوكية نحوهم، ولما يحبونه أو يكرهونه منها.

إلا أن التفاعل الاجتماعي في مجتمعنا يواجه عوائق، ناشئة في الغالب عن أساليب التربية الخاطئة التي يستخدمها الوالدان، دافعهما الحرص على حماية الطفل، والتدخل في علاقاته مع غيره، نتيجة جهلهما بطبيعة الطفولة، وبمتطلبات النمو الاجتماعي.. الأمر الذي يوقعهما في أخطاء تربوية، ففضلًا عن سلوك اتجاهات تربوية خاطئة، كالتدليل أو الحماية الزائدة أو التسلط أو الإهمال أو غيره، فإن استجابات تصدر عن الوالدين أحيانًا- في مواجهة بعض المواقف الطفولية- تنتج عنها تأثيرات سلبية، يكون لها وقع سيئ على تفاعل الطفل ونموه الاجتماعي ثم شخصيته.

معيقات التفاعل السليم

غالبًا ما يحظى النمو البدني للطفل بتتبع الوالدين، وقد ينتبهان لنموه العقلي أو اللغوي، أما النمو الاجتماعي فيتم التغافل عنه إلا في النادر، بحيث يترك أمر هذا النمو للظروف تصنع به ما تشاء.

والطفل في حالة نمو اجتماعي منذ ولادته، بحيث يبدأ تفاعله مع المحيطين به، منذ أيامه الأولى، بطرق وأساليب تتطور وتنضج مع تقدمه في العمر.. فسواء كان الطفل منفتحًا على الآخرين، أم ملتزمًا جانب الحذر في علاقاته بغيره، فإنه يرتبط بعلاقات مع الآخرين، بدءًا من والديه وإخوته، ثم أقاربه، فجيرانه وأصدقائه.

لا ينكر أحد قيمة وأهمية علاقاته بوالديه وإخوته، التي تلبي حاجاته النفسية، وتوفر له إشباعًا عاطفيا، إلا أن علاقاته برفاقه تكتسي أهمية خاصة، لأنه من خلالها يتلقى درسًا حتميا في الحياة، ويدرك أنه ليس مركز الكون، وبأن ثمة أطفالا آخرين يقولون نحن موجودون. خاصة وأن الطفل في مرحلة الطفولة الأولى التي تمتد إلى سن السادسة، يربط علاقاته مع الآخرين على أساس الفائدة التي يمكن أن يحصل عليها منهم، لأن الطفل دائم الحاجة إلى شريك في اللعب واللهو، فالاشتراك في اللعب يكون مصدر متعة وبهجة وسرور لكل المشاركين، ولو كان عددهم ضئيلا.

هذا الأمر التفت إليه المربون المسلمون منذ القدم، فكانوا يحبذون التعليم الجمعي على التعليم الفردي، مبرزين مزاياه النفسية والاجتماعية وأهميته لنمو الأطفال، ومن هؤلاء المربين ابن

سينا الذي يقول في إحدى رسائله التربوية: الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس.. ثم يحادث الصبيان والمحادثة تفيد انشراح العقل وتحل منعقد الفهم.. ثم إنهم يترافقون ويتعارضون الزيارة ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم(٤).

هذا التفاعل يكسب الطفل طباعًا جديدة، ويهذب أنانيته، ويعلمه الاعتماد على النفس في خاصة أموره. وإذا حدث أن أحد أصدقائه لم يلب له حاجته فإنه يستغني عنه فورًا، فعلاقات الأطفال ببعضهم لا يمكن أن تكون صافية تمامًا.. واشتراك الأطفال في اللعب لا يخلو من الشجار لسبب أو لآخر، فالشجار بين الأطفال يمثل وجهًا من أوجه الجهود التي يبذلونها للتوصل إلى التصرف الصحيح.

ولذا فعلى الوالدين أن يقفا محايدين في مواجهة الخصومات، وألا ينتصرا لطفلهما، لأن هذا الخصام لا يدعو للقلق، بل هو ضرورة من ضرورات النمو، ثم إن المشاجرات في هذه المرحلة تكون قصيرة الأمد، ولا تترك آثارًا في نفسية الأطفال، والنزاع في حد ذاته يعلم الطفل كيف يحل مشكلاته فيما بعد، فهو ينمي مهارات التصرف لديه؛ وأسوأ ما قد يصدر عن الوالدين في مواجهة مثل هذه الخصومات، هو أن يأمروا أبناءهم بمقابلة العنف الذي يستهدفهم من أقرانهم بعنف آخر، وأن يقتصّوا لأنفسهم بمثل ما تعرضوا له من سوء معاملة، متغافلين عن قيمة وأهمية سلوك الصفح والتسامح في ديننا الإسلامي السمح، ومساوئ الانتقام وتأثيره السيئ على نفسية الطفل وعواطفه وتفاعله الاجتماعي، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس» (رواه أحمد).

كما قد يلاحظ الوالدان أحيانًا وباستغراب، أن أطفالهما- خلال تفاعلهم مع غيرهم- تصدر عنهم استجابات سلوكية غير معتادة ولا متوقعة، وهذا أمر لا غرابة فيه، ولا ينبغي للوالدين التدخل لإجبار الطفل على ترك سلوكه الذي لا يتوقعانه؛ لأن الطفل يحرص في تفاصيل علاقته الاجتماعية أن يسلك بشكل يسهم في دمجه في جماعته، وانخراطه في أنشطتها، والابتعاد عن كل ما يجعله مختلفًا عن أفرادها، مثيرًا لسخريتهم أو استهجانهم، حتى لو استبدل عاداته وسلوكه.

والتفاعل بين أفراد المجموعة كما يؤدي إلى ظهور القيادات، فإنه يؤدي إلى بروز الأفراد الذين يحظون بالمحبة، أو العدوانيين، أو الزعامات، ويحبذ بعض الآباء والأمهات أن يتولى أبناؤهم أدوارًا قيادية ضمن جماعات أقرانهم، وفي ظنهم أن ذلك خير لابنهم ومن مصلحته، ومبعث فخرهم، ويرفضون أن يخضع أبناؤهم لسلطة أو هيمنة طفل آخر يتزعم الجماعة، ويدفعون بالتالي أبناءهم إلى تولي زعامة المجموعة وقيادتها، ويتنافسون في ذلك ويتباهون، حتى ولو لم يكن الطفل راغبًا في أداء هذا الدور الذي لا يلائم ميوله.

فالاختلافات بين الأطفال تظهر خلال مراحل نموهم الاجتماعي من خلال تفاعلهم مع أقرانهم خاصة، وما ينبغي على الوالدين هو ملاحظة مؤشرات السلوك الضار، كالعدوانية، والسلبية أو الاتكالية، والتصدي لها، ومساعدة الطفل على التخلص منها، فحين يظهر الطفل في عامه الثاني أو الثالث عنفًا مبالغًا فيه، أو إعراضًا عن اللعب مع أقرانه، فيجب الانتباه لحالته، وعرضها على المختص، أما السلوك القيادي أو الانقيادي داخل جماعة الأقران، فلا ضرر منه، ولا لزوم لإكراه الطفل على تبديله.

ومع اقتراب مرحلة البلوغ يبدي غالبية الأطفال ميلا نحو العزلة والانطواء، مصحوبًا بضعف التواصل بالآخرين، وافتقار إلى الشعور بالانتماء للجماعة.. فمن الطبيعي جدا أن تميل البنت في هذه الفترة إلى اعتزال الجماعة، وتنسحب من مجالس الأسرة وتفضل الهدوء والعزلة، أو تكتم أسرارها ولا تبوح بها لأمها، كما كانت تفعل من قبل وهي في سن صغيرة، هذه ظاهرة طبيعية لا ضرر ولا خوف منها، لأنه سرعان ما يترك الأطفال ذلك بعد تجاوز أزمة المراهقة، ويعودون إلى علاقاتهم الاجتماعية، وتفاعلاتهم مع أقرانهم وأسرهم، ليكتسبوا معالم شخصية ذات سمات واضحة تعبر عن السواء، إذا ما تربوا على الثقة في النفس والاعتماد عليها، والطموح والتعاون والانفتاح على الآخر، وتقدير المسؤولية، أما إذا غابت هذه السمات، وكان الناشئ انعزاليا أو غير مقدر لمسؤولياته، اتكاليا غير معتمد على ذاته التي لا يثق فيها، أو إذا اختلفت مواقفه وقيمه وأفعاله، وكان بأقواله مناقضًا لسيرته وأفعاله، كمن يضع أقنعة متعددة متناقضة.. فذلك مؤشر لتربية خاطئة.

الهوامش

١- لمزيد من التوسع راجع: نبيل سفيان: المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

٢- زكي يونس: مقال في مجلة عالم الفكر، عدد ١ مجلد ١٠ (يونيو ١٩٧٩) ص٢٦٦.

٣- الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، الجزء ٢ ص٢٣٤.

٤- ابن سينا: كتاب السياسة، نشر: هشام نشابة ضمن التراث التربوي في خمس مخطوطات. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨ ص٤١.

زوجك جنتك أو نارك

شيماء فريج
كاتبة صحفية

أختي الفاضلة السلام عليك ورحمة الله وبركاته، في بداية هذا المقال أحب أن أسألك سؤالًا مهمًا: هل تحبين يا أختي الكريمة أن تكوني بإذن الله من أهل الجنة؟ هل تحبين أن تنعمي بحياة تزدان برضا الله عنك؟ أعلم إجابتك يا أختي الفاضلة فمن منا لا يطمع في الجنة؟ ومن منا لا يطمع في رضا الله عز وجل؟ بل ومن منا يجرؤ على سخط الله؟ اعلمي يا أختي الكريمة أن رضا الزوج من أهم الأعمال التي تتقربين بها إلى الله جل جلاله، قد تكونين من المصلين، قد تكونين من المستغفرين بالأسحار، قد تكونين ممن يتصدقون بأموالهم لكي تساعدي في رفع المعاناة عن المحتاجين، ولكن هل لهذه العبادات فائدة في غياب رضا الزوج عن زوجته؟ أختي الغالية أنا امرأة منَّ الله- عز وجل- عليَّ بالزواج، لسنا من الأثرياء أنا وزوجي وابنتي، نحن ولله الحمد في كل وقت نعيش حياة عادية نمتلك فيها بفضل الله ما لا يحوجنا للسؤال، شأننا شأن الكثيرين ممن يسعون وراء لقمة العيش، ولكني أقسم لك بالله إنني في نفس الوقت أغنى نساء الأرض، أو أكون كذلك عندما أرى في عيون زوجي نظرة رضا على شيء قمت بفعله، لمسة أضفيتها على بيتي، كلمة قلتها له فانشرح لها صدره، مزحة مني رسمت ابتسامة على وجهه، كلها أشياء بسيطة ولكن نتائجها تضمن لكي أغلى ما في الوجود (رضا الله) اعلمي يا أختي الغالية أن الإنسان برضا الله أغنى من على الأرض حتى إن كان لا يمتلك قوت يومه، وبسخط الله هو أفقر خلق الله حتى وإن كان يمتلك القصور، عليك أن تحاولي بكل جهدك إرضاء زوجك، قد تقول إحدانا، وماذا عن زوجي فهو قاسي القلب ولا يترك لي مجالًا لأن أكون قريبة منه، أقول لك إن كل لحظة تحاولين فيها إرضاء هذا الزوج هي بمثابة الجهاد في سبيل الله، بل إن أجرك عند الله- بإذن الله- عظيم، حاولي دائمًا يا أختي الفاضلة، حاولي مرات ومرات، بل لابد أن تعلمي أن ذلك لن ينقص أبدًا من قدرك، ولا تصدقي أحدًا قال لك إن محاولتك إرضاء زوجك واحتوائك له قد يهدر من كرامتك لا سمح الله، بل إن استماعك لنصائح البعض بتجاهل الزوج والتعامل معه بالندية هو قمة إهدار الزوجة لكرامتها، لا تستمعي إلى أي شيء قد يدفعك إلى إهمال زوجك أو الابتعاد عنه، واعلمي أن من يطلب منك ذلك فهو إما شيطان من شياطين الإنس يكن لك الكره والحقد، أو شيطان من أبناء إبليس اللعين قد تسلمينه مفاتيح عقلك الذي منَّ الله به عليك، إن أي لحظة تمر عليك في إرضاء زوجك هي خطوة تتقربين بها إلى الله، وكلما ازدادت هذه اللحظات، كلما كنت إلى الله أقرب، واعلمي أيضًا أن إرضائك لزوجك يسهم في نجاحه الذي تكونين فيه بمثابة الشريك الأساسي، أختي الفاضلة كلمات بسيطة لم أبتغ منها إلا أن يمن الله بها علينا جميعًا برضاه لننعم بحياة كريمة نتقرب فيها إلى الله، ونزين بها عباداتنا بالرضا والنور. أستودعك الله أختي الغالية، راجية من الله متوسلة إليه أن تنفعك كلماتي وأن تنفعني معك، فنحن برضا الله نمتلك كل شيء، وبسخطه والعياذ بالله نخسر كل شيء.

الإدمان في الأسرة

محمود حسانين
باحث تربوي

تتعدد الإحصاءات وتنتشر حالات الإدمان وتتنوع في انتشارها، وقد أخذ الإدمان أشكالا ومضامين أخرى مع نهايات القرن العشرين إلى يومنا هذا، وقد وجد أن أنواع الإدمان صارت متنوعة متشعبة، وصارت كل أنواعه تنتمي إلى المفهوم المعرف بأنه اضطراب سلوكي من قبل الفرد، بغض النظر عن العواقب الضارة بصحة الفرد أو حالته العقلية أو حياته الاجتماعية. ويكون الإدمان إما عن حالة بيولوجية أو دوائية أو اجتماعية، ويوجد أنواع من الإدمان الجسدي، تسبقه ، الحالة الدوائية، فيأتي عن طريق الإفراط في تناول العقاقير والمنشطات والمهدئات، وما شابهها من أدوية قد يساء في آخر الأمر التصرف بها.

الإدمان النفسي تسبقه حالة بيولوجية، فيكون الفقر أو التشرد أو عدم الاستقرار هو العامل القوي في حدوث مثل ذلك الخطر، فينتج عنه إرهاق في الأعصاب، قد يؤدي إلى الانهيار أو الكآبة، ويأتي من خلال المرض النفسي إدمان المشاهدة، وتسبقه حالة اجتماعية، تتوالد من حالات الفراغ وعدم الانشغال، والتي تأتي من عدم توافر فرص العمل، أو من الكسل الدائم لدى الفرد، أو عن طريق عدد ساعات الفراغ التي تعقب ساعات العمل.

إدمان الإنترنت، تسبقه حالة ترفيهية، ينتج منها الولوج والانجذاب إلى العالم المعلوماتي والانشغال به إلى حد الهوس، حتى

نكاد نرى الكثير في المواصلات العامة يستخدم الهواتف والمحمول في الدخول على الإنترنت، إلى الحد الذي دفع الكثير إلى التفرغ الكامل للإنترنت، وقد جمعت كلها تحت سيطرة السلوك فمن خلاله يتم التقييم وطرق العلاج لكل حالات الإدمان.

الأسرة والإدمان

الزواج من عوامل الاستقرار التي تقلل من نسب حدوث الإدمان، فالمتزوجون عموما أقل إدمانا وأفضل التزاما بالعلاج إن أدمنوا، وأقل عودة بعد العلاج من غير المتزوجين، ولقد كانت عواقب الإدمان في الحياة الأسرية كبيرة الحجم كثيرة المشاكل، وقد تبين أن الاختلاط الدوائي بالمنزل من أخطر الأسباب في حدوث مكروه لأفراد الأسرة، إذ هو الذي يدفع الأم إلى أن تتناول أقراصا مخدرة عن طريق الخطأ، أو يتناول الطفل المخدر الذي يتناوله والده أسوة به، أو يكون الأب قد خبأ المخدر في علب الحلوى أو ما شابه، وينتج عن ذلك إصابة أفراد الأسرة بالأمراض إلى جانب سقوط الحاجز التربوي والمعنوي لدى أفرادها، مما ينتج السلوك العدواني، وسوء استعمال الدواء المخدر غير المضبوط، وهذا بدوره يؤدي إلى مضاعفات خطيرة، قد تودي بحياة الفرد، إن مكونات أنواع الإدمان الصعبة تحتاج إلى تعميق الاستكشاف والفهم من الناحية العصبية وغير العصبية، فالواجب على كل أفراد الأسرة أن يتوخوا الحذر من تعاطي الأنواع المخدرة؛ سواء أكانت للعلاج أو كان أحد أفراد الأسرة مصابا بالإدمان. وفي محيط الأسرة نجد الكثير جدا من حالات إدمان المشاهدة والإنترنت، وسنوضح تاليا بعض الأسباب.

إدمان المشاهدة

هي حالة من الانجذاب السمعي والبصري، والتي ترسل إشارات للمخ تدخل المشاهد في الحدث، فإذا كان هناك دموع وحزن صار هو الآخر يبكي، وإذا كان هناك جريمة فربما يكون الشرطي، لأن المشاهدة ما هي إلا حالة من الإثارة السمعية والبصرية تدخل المخ في حالة من الاندماج، على الرغم من عدم مصاحبتها لنشاط حركي، وفي إحدى الدراسات وجد أن إدمان التلفاز يعد أحد أهم الأسباب التي تنتج حالة من التشتت وعدم الانتباه لدى الأطفال حينما يطلب منهم أداء واجباتهم المدرسية، إذ نجدهم أبعد ما يكونون عن الاستجابة، لا لمجرد أن ذهنه مشغول ولديه رغبة في ترك دروسه من أجل متعة المشاهدة فحسب، ولكن لأن هذا الوقت الذي قضاه أمام التلفاز ومع حالات الانفعال التي بذلتها الأعصاب يحدث نوع، من الاضطراب في الانتباه، ويؤثر على التركيز وينهك وظائف المخ.

لذا يكون المخ بحاجة لاستعادة نشاطه الذي استهلكه في مشاهدة التلفاز، إن التأثير لا يكون تأثيرا نفسيا فقط، بل يتعداه ليصبح تأثيرا عضويا ونفسيا؛ فإن ناديت على من يشاهد التلفاز ستجده لا يستجيب، وهو أيضا لا يتجاهل الرد، بل هو لا ينتبه أيضا، وهذا بسبب انتباه كل الحواس إلى المشاهدة فقط.

إدمان الإنترنت

يؤدي إلى اضطرابات في السلوك. وهو ظاهرة قد تكون منتشرة تقريبا لدى جميع المجتمعات في العالم، بسبب توفر الخدمة المفتوحة في كثير من البلدان، إلى جانب أجهزة الحواسيب التي في كل بيت، وإن لم يكن الحاسوب موجودا في كل بيت فيكفي للفرد الهواتف الداعمة للشبكة العنكبوتية أو الذهاب إلى أحد المقاهي المنتشرة في كل مكان، والتي توفر لهُ استخدام الإنترنت.

وترجع ظاهرة الإدمان لعدة أسباب: الانجذاب إلى العالم، المعلومات، الملل، الفراغ، الوحدة، أو المغريات التي يوفرها الإنترنت للفرد، وغيرها الكثير، حسب ميول الفرد.

السعادة على أنقاض الآخرين

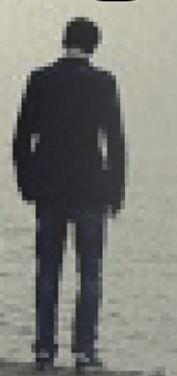

تحقيق : منير أديب

كثيرًا ما نقابل في حياتنا نماذج غريبة من البشر تبني سعادتها فوق تعاسة الآخرين دون أن تشعر بذنب أو وخز ضمير، فهذا رجل يحيك المؤامرات لزميله حتى يطيح به من منصبه ويستولي عليه لنفسه، وهذه امرأة تنسج الأكاذيب والافتراءات حول ابنة زوجها حتى يتم طردها ويخلو لها البيت غير مبالية بما لحق البنت من أذى أو تشرد، وذلك الأخ ينجح في حرمان شقيقه من ميراث والده ويستحوذ عليه لنفسه، وتلك الفتاة تغدر بصديقتها وتستولي على خطيبها بعد أن تبوح له بأسرار ائتمنتها عليها، وغير ذلك من النماذج الشريرة التي لا تتوانى عن إلحاق الأذى بالغير طالما تحققت لها السعادة!

في هذا التحقيق نناقش تفاصيل الحالة النفسية لهذه النوعيات من البشر، هل هم مرضى نفسيون أم ضحايا لمؤامرات سابقة أرادوا الانتقام؟ لماذا لا يشعرون بتأنيب الضمير؟ أليس لهم طرق أخرى لتحقيق السعادة بعيدًا عن تعاسة الآخرين؟ وما ردود أفعالهم إذا وقعوا ضحايا لبشر ينتمون إلى الفصيل نفسه؟

فإلى نص التحقيق..

سعادة فوق تعاسة

يقول سامي محفوظ: النماذج التي تريد أن تبني سعادتها على تعاسة الآخرين منتشرة في المجتمع بشكل عجيب، فأينما ذهبت تجدهم في العمل والشارع وحتى في النادي وداخل المنزل.

ويضيف: بعضهم يتودد إلى مدير العمل، ويقوم بنقل أخبار باقي الموظفين من أجل أن يكتسب ثقته وتصبح علاقته به أقوى من علاقة باقي الموظفين، وهذه النوعية بلا شك يكون لها ضحايا، لأنها نجحت في بناء سعادتها على تعاسة الآخرين.

وذكر أن هذه النوعية من البشر لا يجدون ما يقدمونه لبناء سعادتهم غير التقرب لمديري العمل على حساب تعاسة الآخرين، وهذه النماذج من كثرتها لم تعد غريبة، فأصبحت منتشرة في كل مكان.

وقالت وفاء محمود: هؤلاء التعساء الذين يبنون سعادتهم على تعاسة الآخرين، رغم سعادتهم التي تبدو للبعض فإنهم تعساء، وأهم علامات تعاستهم أنهم لا يشعرون بوخز الضمير أو تأنيبه، وبالتالي يتمادون في أفعالهم التي تخلق بينهم وبين الناس حاجزًا كبيرًا.

وأضافت أنها تعرضت لموقف مؤلم من زميلتها في العمل والتي كانت تتقرب لمديرها باستجابتها الدائمة لابتزازه حتى تم ترقيتها، وبدأت من وقتها تمارس عادتها السيئة في نقل أخبارنا، فكلما نقلت أخبارًا عنا ضيق ذلك علينا، وبنى لها مكانة عند رئيسها في العمل.

ولفتت إلى أن الافتراءات التي كانت تنسج يومًا بعد الآخر حولنا أغلبها لم يكن حقيقيًا، غير أن هدفها كان معروفًا بالنسبة لنا، هو أن تلك الزميلة تريد لنفسها مكانًا ومكانة عند مديرها على حساب تعاسة باقي زملائها ولا يقلقها ما تعرضنا ونتعرض له جراء ما تصنعه بنا.

تقول سمية عبدالرحمن: تعرضت لموقف ترك أثرًا بداخلي، فرغم مرور الأيام لا أستطيع أن أنساه، وكان

امرأة تنسج المؤامرات كي تتخلص من ابنة زوجها وآخر يحرم أشقاءه من الميراث وفتاة تغدر بصديقتها وتستولي على خطيبها

ملخصه أن والدي تزوج بامرأة غير والدتي التي وافتها المنية، ولكن للحظ العاثر كانت هذه المرأة تحاول إيذائي معنويًا، وعزمت على طردي من البيت، فكنت أفاجأ يوما بعد الآخر أنها تنسج الأكاذيب التي دفعت والدي لأخذ قرار بأن أذهب لجدتي كي أعيش معها.

وأضافت: كنت في سن مبكرة، ولم أعرف شكل ولا حجم المؤامرات، ولكنني أدركتها بعد ذلك، وعندما فاتحت والدي فيما كانت تفعله زوجته نهرني، ومن بعدها قررت ألا أعود إليها مرة ثانية، فما حدث ترك جراحًا عظيمة بداخلي لم يداوها الوقت.. فكيف لزوجة والدي أن تبني سعادتها على تعاستي؟ وكيف لوالدي أن يصدقها؟ فأظلم من أقرب الناس لي.

يقول سامح عوض: تعرضنا للتعاسة منذ كنا صغارًا عندما مات والدنا، فسيطر أخونا الأكبر على كل شركاته، ومنذ بدأنا نعي الحياة رفض أن يعطينا حقوقنا بدعوى أنه الذي بناها بعرقه ودمه، وأن والده لم يترك إلا القليل من المال، فترك أصول الشركات من أرض وخلافه ولم يترك مالاً.

وذكر: منعنا من الحصول على ميراث والدنا، ولم نأخذ سوى الفتات، فرغم أن أخانا معه ملايين الجنيهات ويعيش في أقصى درجات السعادة فإننا نعيش في تعاسة بعدما منع هذه الأموال عنا، فبنى سعادته وسعادة أولاده على تعاستنا.

وذكر أن هذه النوعية من البشر موجودة في كل مكان، فكما أن هناك من يطمع في الكثير، فإن هناك من يطمع في القليل، فيبنون سعادتهم على تعاسة الآخرين حتى وإن كانوا أقرب الناس إليهم.

ومن النماذج الشريرة، ما حدث بين صديقة وأخرى، كما تحكي أميرة صادق بقولها: كانت لي صديقة أحكي لها كل شيء في حياتي فائتمنتها على كل كبيرة وصغيرة، ومن ضمن ما حكيته لصديقتي عزم أحد الأطباء في المستشفى التقدم لخطبتي.

وأضافت: تقدم زميلي للخطبة ووافقت بالفعل، وحدث ما حدث من مواقف عندما تقدمت أسرته، وكنت أحكيها لصديقتي التي فوجئت بها تنسج خيوطها حوله وتنقل ما أحكيه له، حتى فسخ الخطوبة معتبرًا أنني أنقل أسراره، وعندما واجهتها بما فعلت أنكرت في البداية، حتى إنها بدأت تقول لي إنه يحبها وقد عرض عليها الخطوبة.

ولفتت إلى وجود أمور خاصة في الحياة من الصعوبة أن يحكيها الإنسان لغيره حتى لا يستخدمها ضده مهما كانت علاقته بهذا الشخص من الحميمية، فالنفس أمارة بالسوء والناس تريد أن تخطف ما في أيدي الآخرين، فتتحول هذه العلاقة القوية إلى علاقة دميمة بسبب أن أحد طرفي العلاقة يريد أن يأخذ ما في يد الطرف الآخر.

تقول سلام عبدالستار: صديقتي تعرضت لمؤامرات كثيرة في حياتها، وكانت تحكي لي ما تعرضت له، وكنت أشفق عليها من حجمها وتأثيرها على حياتها، والأغرب أنني فوجئت بصديقتي التي تعرضت للمؤامرات تستخدمها ضدي، وكأنها لم تصب بمؤامرات من قبل، وهذا إن دل فإنما يدل على طبيعة نفسيتها المريضة.

وتضيف: اكتشفت أنها تعاني من مرض نفسي يدفعها دائمًا للتبرير والانتقام من الآخرين، رغم أنها تعرضت لظلم عظيم، من المفترض معه ألا تظلم الآخرين أو تعاملهم بالطريقة التي عوملت بها وتألمت بها كثيرًا.

وأكدت أنها راعت ظروفها النفسية وحجم الآلام التي تعرضت لها، وبالتالي لم ترد على انتقامها بانتقام آخر، وفضلت أن تكون مستقبلة للآلام فقط، رغم أنها لم يكن لها أي ذنب فيما لحق صديقتها على مر الزمان من باب التخفيف عنها، وحتى لا تزداد حالتها النفسية سوءًا على ما هي عليه.

الجزاء من جنس العمل

يقول الشيخ جمال قطب، رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر الشريف: إن الأشخاص الذين يبنون سعادتهم على تعاسة الآخرين أولئك يملأهم الحقد والأنانية وكره غيرهم، وهذه صفات مذمومة في الإسلام وغالبًا ما يكونون تعساء في حياتهم، يتوهم غيرهم أنهم سعداء، ولكنهم في الحقيقة تعساء بسبب أفعالهم التي تخلق حاجزًا بينهم وبين الناس، بل تخلق حاجزًا بينهم وبين خالقهم، فيحرمهم من السعادة كما تسببوا في حرمان غيرهم.

ويضيف: إن الله وعد في قرآنه الكريم بأن من يؤذي المؤمنين في شيء فقد حمل بهتانًا وظلمًا مبينًا، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾(الأحزاب : ٥٨)، وينطبق ذلك على أولئك الذين يتوهمون أنهم يصنعون سعادتهم على تعاسة الآخرين، وهي تعاسة وبهتان، فيحرم منها في الدنيا وله عقاب في الآخرة.

وأنهى كلامه بأن السنن الكونية والإلهية تحث الناس على صناعة الخير في أهله وليس الشر، فمن يصنع خيرًا في الناس يجده أضعافًا مضاعفة، ومن يفرج كربة من كرب الدنيا يفرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يكن في عون عباده يكن الله في عونه ويجزل له العطاء.

الحب لغة الإسلام

د. عمر تدرارني
المملكة المغربية

حاشاه كيف يكون دين عنف أو إرهاب للناس أو كره أو حقد، وهو بكل وضوح يربي أتباعه على الخير والحب والدفع بالتي هي أحسن، يقول سبحانه: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾(فصلت: ٣٤-٣٥)، هو دين يدعو إلى الإحسان للناس وللحيوان والبيئة والكون كله، بل حتى في موقع القصاص يدعو إلى الرحمة في تنفيذ الحكم، وينهى عن المثلة في الحرب أو تعذيب الأسرى، ويوصي أهله بإحسان القتلة والذبحة، يقول ﷺ مبينا رحمة الإسلام في الذبح والقتل: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»(صحيح مسلم).

إن هذا الدين الذي ارتضاه الله لنا يقوم على الحب ويقصد إليه في كل تشريعاته، وفي دعوته الناس إلى اتباعه ينطلق من الحب ليصل إلى الحب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩). ومن عرف الإسلام حق المعرفة يستحيل أن يعرف معنى للبغض، بل علمنا هذا الدين العظيم أن نحقد على معاصي الناس وليس على الناس.

والذي بعثه الله رحمة للناس لا يمكن أن يكون عذابا يحمل في قلبه حقدا وبغضا لهم، والذي يحرص على الناس أن يدينوا بدين الإسلام ويدعوهم إليه لا يمكن إلا أن يكون صاحب قلب كبير يسع الجميع، عربهم وعجمهم صغيرهم وكبيرهم الطائع منهم والعاصي.

الدعوة إلى الله هي الحب

إن حب الجنة للناس هي منطلق الدعوة إلى الله، فالداعية إلى الله ليس قاضيا يحاكم الأفراد والجماعات ويحاسبهم على سرهم وعلنهم، ولا جلادا يتمنى أن يرى الناس صرعى بين يديه، بل يسعى جاهدا أن ينقذ الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والـذي قـال عنـه تـعـالـى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(التوبة: ١٢٨)، لا يمكن له إلا أن يوجه أتباعه أن يقتدوا به ويسيروا على نهجه، فهو منبع الرحمة والحب، فقلبه لا يعرف عليه الصلاة والسلام كرها أو حقدا على أحد من الناس.

فتح القلوب قبل فتح البلدان

ذلك هو منهجه عليه الصلاة والسلام في دعوة الناس إلى دين الله، حتى وفدوا عليه أفواجا يهللون ويكبرون، وقريش بكبار مجرميها بين يديه، كانت تعرف مدى سعة قلبه، إذ لما سألهم يوم الفتح: ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا بلا تردد: أخ كريم وابن أخ كريم، وهم أدرى الخلق به، فرغم ظلمهم له وعدوانهم عليه وعلى أصحابه، لا يجيبهم إلا ب: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١)، ونظن اليوم أن أحدنا لو ظلم ظلما شديدا مثل ما ظلم عليه الصلاة والسلام لن يكون جوابه في مثل ذلك المقام إلا القصاص، وهذا في أحسن الحالات، ولكنه محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، الذي جاء بهذا الدين واستوعب كل معانيه حتى أصبح قرآنا يمشي على الأرض.

وهناك مثال واضح بين على ذلك القلب الذي لا يعرف الحقد، في قصة عودته من الطائف لما اعتدوا عليه وسلطوا عليه ذراريهم وسفهائهم، إذ أرسل ربه تبارك وتعالى إليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين، لكنه ﷺ يجيب بجواب عظيم، يحمل أسمى معاني الحب الذي يحتاجه اليوم الأفراد والجماعات لينعموا بالخير كله، في الدين والدنيا، إذ قال: «لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا»(٢).

حب الناس يعني حب الخير لهم

إن دعوة الإسلام جاءت لإخراج الناس من الظلم والظلمات إلى فضاء العدل والنور، عدل ينطلق من حب الخير وبسطه بين أفراد المجتمع، عدل يقوم على أساس الحب ونبذ البغض، ونور نبلغه بفضل حب الله وحب رسوله وحب الناس.

ومحمد ﷺ معين لا ينضب من الحب، فكل من عاشره أحبه لأنه صادق في حبه للعالمين، وفيه تحقق قوله «يأيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»(٣)، وكفى العالمين موعظة قوله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»(البخاري).

هل من علم الناس هذا الخلق وجعل مقاطعتهم وعدم الحديث معهم من المحرمات يعرف معنى الكره والبغض -معاذ الله- أن يكون الذي اصطفاه ربه كذلك، وخلقه العظيم الذي وسع به الناس يمنعه من ذلك، وقد زكاه تعالى من فوق سبع سموات لما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤).

حكى القاضي عياض أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا: لو دعوت عليهم فقال: «إني لم أبعث لعانًا، ولكني بعثت داعيًا ورحمةً، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»(٤).

حب الأهل من الإسلام

إن الذي شمل حبه الناس ومنع نفسه عن أذاهم، لابد أن يكون الذي بين جوانحه قد ملأ بيته وأهله قبل غيرهم، ولا يخفي ﷺ حبه لأهله، بل يجاهر به ليعلمنا معاني تخفى على الكثير منا.

يقول الصحابي الجليل عمرو بن العاص: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذي السلاسل، وفي القوم أبوبكر وعمر، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، فأتيته حتى قعدت بين يديه، فقلت يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة قلت: إني لست أسألك عن أهلك، قال: فأبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، قلت: ثم من؟ حتى عد رهطا، قال: قلت: في نفسي لا أعود أسأل عن هذا(٥).

وفي حب الأبناء والأحفاد نجده ﷺ الأب الرحيم والجد العطوف الذي لا يستحيي أن يظهر حبه الشديد لذويه، رأى الأقرعُ بن حابس النبي ﷺ يقبل الحسن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لي من الولد عشرة، ما قبلت واحدا منهم، فقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم»(٦).

تعليمه ﷺ أتباعه معاني الحب

القلب الذي لا يعرف إلا الحب قلب محظوظ مأجور، وعكسه مذموم تائه مأزور، كان محمد عليه الصلاة والسلام يعلم الناس المحبة ليسود الوئام والود بين أفراد المجتمع، بل يأمر الواحد منهم إذا أحب أخا له أن يخبره، قال ﷺ: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»(سنن أبي داود).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا. فقال له النبي ﷺ: «أعلمته»؟ قال: لا. قال: «أعلمه». قال: فلحقه فقال: إني أحبك في الله. فقال: أحبك الذي أحببتني فيه(مسند أحمد).

حب الكون

لم يقتصر الحب في الإسلام على الإنسان فقط، بل تجاوزه إلى الأوطان، لقد أشار ﷺ إلى تلك المحبة لما أخرجه القوم من بلاده التي يحبها مهاجرا إلى المدينة المنورة فقال: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي، فأسكني أحب البلاد إليك». فأسكنه الله المدينة(٧)، والأعظم من هذا كله لما تجد النبي ﷺ يحب بعض الأماكن ويخصها بالذكر ويعلنها لصحابته الكرام، يقول مثلا في أحد: «وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه»(٨).

الهوامش

١- السيرة النبوية، تهذيب ابن هشام ٤/٤١.
٢ - مختصر زاد المعاد، محمد بن عبدالوهاب ص ١٠٤.
٣ - المستدرك للحاكم، كتاب الإيمان (صحيح على شرط الشيخين).
٤ - الشفا للقاضي عياض ١/٢٢١.
٥ - دلائل النبوة للبيهقي ٤/١٠٤.
٦ - السيرة الحلبية ٣/٢١٩.
٧- دلائل النبوة ٢/٥١٩.
٨ - دلائل النبوة ٥/٢٣٩.

اختبار كاشف الأسرار!

هنادي الشيخ نجيب
باحثة لبنانية

حالة عجيبة تعترينا، منذ فترة طويلة؛ لكنها استأسدت علينا، ولم نعد نجد للخلاص منها وسيلة!

وقد انتهزت شياطين الإنس والجن الفرصة، فوسوست، ونفخت سمومها، لتزيد في قلوبنا الغصة!

كل القصة أننا نشاهد ليل نهار، على الفضائيات وبقية وسائل التواصل الاجتماعي، جملة من الأخبار، يشيب منها الولدان، وتدمع لها العينان، ويعجز لفظاعتها اللسان، وتغشانا جراءها الحيرة، فينتهك قلعة توحيدنا التشكيك، وتستنهضنا الغيرة، لكن أوصالنا قد بترها التردد والتفكيك!

رأينا الأطفال يذبحون، والشيوخ يعذبون ويقتلون، ولا يحفظ للنساء أي ستر، وتصير أمنية الواحدة منهن قبرا! وبينما تلفنا قلة الحيلة، ويخنقنا الضعف، يدور في أذهاننا هذا السؤال المخيف: لماذا يا رب؟ أين الحكمة يا الله؟، ثم تمتد يد المستنكر علينا، ويوقظنا بكلماته: أفي الله شك؟!، فننتبه ونجيب: كلا، أبدا، حاشا لله، قيوم السموات والأرض.

لكننا نريد- يا إخوتي- أن تطمئن قلوبنا، وتشفى من شكها صدورنا، وتنزع الريبة من عقولنا، فكيف السبيل إلى مطلبنا؟ هاتوا برهانكم وأنقذونا من دوامتنا!

وكيف نقنع من وصل بهم الأمر إلى التشكيك بربنا وخالقنا، بسبب عدم إدراكهم للحكمة مما يجري لنا ولأمتنا؟!

الموقف- قراءنا الكرام- ليس

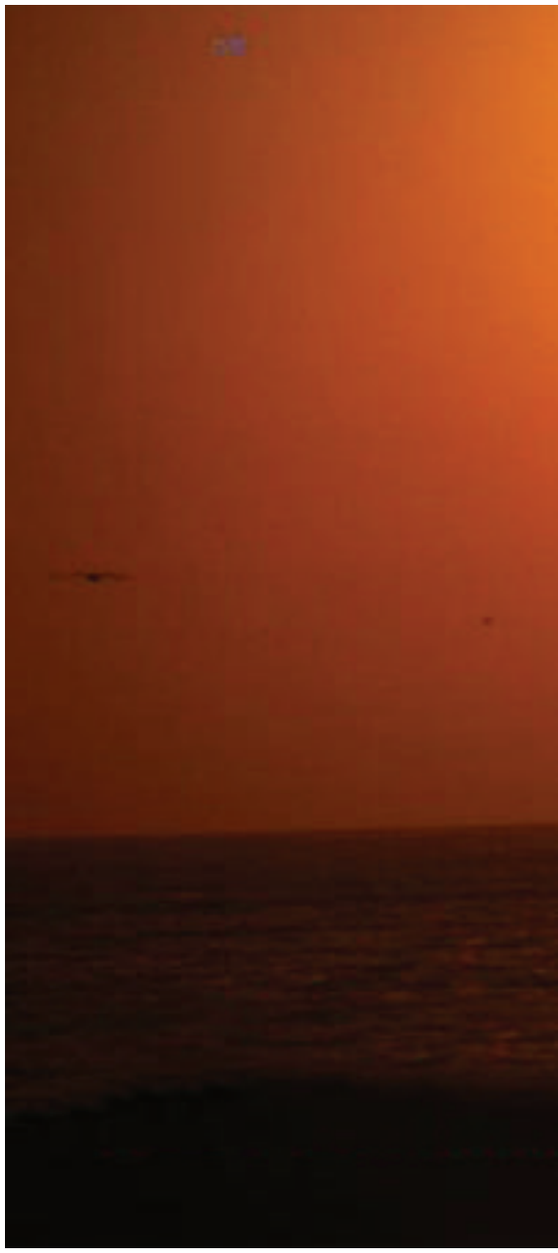

يسيرا، والخوض فيه سيكون عسيرا، لكن الواجب يقتضي أن نوغل فيه برفق وروية، وأثارة من علم رباني ينجي من الضلالة، ويقي من الحور بعد الكور..

أحب أن أبدأ بقصة قصيرة تقرب المقصود، وتسهل علينا تحليل عناصر القضية.

ذهب رجل إلى الحلاق ليقص شعر رأسه، ويهذب لحيته، وما إن بدأ الحلاق بمزاولة عمله، حتى صار ينتقل من حديث إلى حديث، ومن موضوع إلى موضوع، ووصل إلى الكلام عن وجود الله تعالى.

قال الحلاق: أنا لا أؤمن بوجود الله!

استفهمه الزبون: ولماذا تقول ذلك؟!

أجاب الحلاق: يكفي أن تخرج إلى الشارع وتراقب الناس، لتدرك أن الله غير موجود! قل لي: إذا كان الله موجودا، فلماذا يسمح بهذه الأعداد الغفيرة من الأطفال المشردين والمقهورين؟! ولماذا ترى أناسا مرضى، وشيوخا معذبين؟! أنا لا أتصور كيف يسمح إله بمثل هذه الآلام والأوجاع!

فكر الزبون للحظات، ثم لاذ بصمت عميق، ولم يرد على الحلاق، حتى لا يحتد النقاش، ويخرج الأمر عن السيطرة، ويصل إلى ما لا تحمد عقباه!

وبعد أن أنهى الحلاق عمله وأخذ حسابه، خرج الزبون من المحل، فشاهد في الشارع رجلا طويل شعر الرأس كأنه ليفة، كث اللحية، قذر المنظر، أشعث أغبر، فرجع من فوره إلى صالون الحلاقة وقال لصاحبه وهو يشده إلى الخارج: هل تعلم أنه لا يوجد حلاق أبدا؟! أجابه الحلاق متعجبا: كيف تقول ذلك! وأنا... ماذا أفعل هنا؟! ألم أحلق لك قبل دقائق؟!

قال الزبون: لو كان هناك حلاق، لما وجد هذا الرجل بشع الهيئة وأمثاله يتجولون في الطرقات! علق الحلاق على كلام الزبون موضحا: بل الحلاقون موجودون، وإنما حدث مثل الذي رأيته عندما لا يأتي هؤلاء إلي لكي أحلق لهم! هز الزبون رأسه واستأنف الحديث:

وهذا التفسير ينطبق تماما على كلامك المتعلق بوجود الله؛ فالله تعالى موجود، ولكن يحدث الذي ذكرته من المآسي عندما يعرض الناس عن ربهم، ولا يهتدون بتعاليمه في حياتهم، ويعارضون مشيئته، ويحيدون عن سبيله.. ولا يكون اللجوء إليه بالدعاء فحسب، بل يكون بحسن الظن وجميل التوكل، والاطمئنان لمقاديره في خلقه!.

قراءنا الأفاضل، لقد ثبت لدينا بالدليل القاطع، أنه لابد للصنعة من صانع.. فمن رأى السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، وشاهد الآيات المحكمة في نفسه وجسده، وفي كل شيء حوله، أقر دون أدنى شك أن المبنى يحتاج إلى بانٍ.. لكن العقل يتطلع دائما لمعرفة جميع حكم الله في كونه، فإذا لم يتبين له، وقف متحيرا متسائلا، ولربما نفث الشيطان في روعه، وأدخله مداخل التشكيك بربه!

فإذا شرد أحدهم عن الطريق القويم، من أين علينا أن نبدأ التقويم؟!

إن الله تعالى يريد اختبارنا ليعرف أسرارنا ويمتحن إيماننا.. وبالتوكل- وهو صنو الإيمان- يستقر إسلامنا، وتسكن أرواحنا، وتطمئن قلوبنا.

فالتوكل هو نفي الشكوك، والتفويض إلى ملك الملوك.. وهو الثقة بالله، والسكون إليه، والاسترسال مع الله وفق ما يريد.

سئل أحد التابعين عن التوكل، فقال: قلب عاش مع الله بلا علاقة أخرى!

وسئل آخر: متى يكون الرجل متوكلا؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلا.

خلاصة القضية -إخوتي وأخواتي- أن الله تعالى يمهل، فنرى يد البغاة مطلقة كأنه لا مانع، ثم يأخذ أخذ جبار، وإنما كان الإمهال ليبلو صبر الصابر، وليملي للظالم، فيثيب هذا على صبره، ويحاسب ذاك على قبيح فعله!

ورحم الله الإمام الحسن البصري، فهو القائل: كان الناس يتساوون في النعم، فإذا نزل البلاء تباينوا.

إن المطلوب منا أن نتباين ونتمايز بقوة إيماننا، وعظيم توكلنا، وحسن ظننا واطمئناننا لأقدار الله فينا، وأن نعمل عقولنا على قدر قوتنا في مطالعة ما يظهر لنا من الحكم، ونسلم فيما يخفى علينا، فحقيق بذي البصر الضعيف ألا يغالب نور الشمس، كما قال ابن الجوزي. وحسبنا قبل ذلك وبعده قوله جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(آل عمران:١٥٩).

تحقيق ميداني من قلب القاهرة:

حكاية الشجرة الملعونة في حارة اليهود

تحقيق : بسمة رمضان
صحفية مصرية

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا «الغرقد» فإنه من شجر اليهود» (رواه مسلم).

وشجرة «الغرقد» كما ذكرها رسول الله ﷺ في حديثه هي شجرة يقوم اليهود بزراعتها في الأماكن التي يمارسون فيها طقوسهم الدينية، خوفًا من قتال المسلمين قبيل يوم القيامة، ومن هذه الأماكن بعض المعابد القديمة التي مازالت تمتلكها الطائفة اليهودية في مصر، وتحديدا في «حارة اليهود» بحي الجمالية، وقد أطلق عليها هذا الاسم حيث كانت مكان تجمع اليهود المصريين منذ عام ١٨٨٤م الذين اشتهروا بأعمال النحاس والزخرفة، وظلوا بها حتى حرب ١٩٤٨م.

وبعد رحيل معظم اليهود عنها تبقت بعض معالمهم الدينية، ومنها معبد «حاييم كابوس» الذي يقع بحارة اليهود، وهو المعبد الذي يوجد بداخله شجرة ضخمة، قيل إنها إحدى أنواع شجر «الغرقد» اليهودي.

ولهذه الشجرة قصة مثيرة، فهي مزروعة في حوش المعبد وتخرج أغصانها منه، لدرجة أنها تظلل أجزاءً من المنازل المجاورة للمعبد، وهو ما دفع بعض أهل المنطقة إلى دخول المعبد، وقص فروع هذه الشجرة، بل قام بعضهم بجزها، ولكنها ما تلبث أن تنبت من جديد، وتعود إلى حجمها الكبير.

«الوعي الإسلامي» زارت حي الجمالية، وتحديدا «حارة اليهود» التي تتكون من العديد من الأزقة الضيقة، وتمتلئ بمحلات تجهيز العرائس وبيع الذهب الصيني، وتوجهت إلى معبد «حاييم كابوس» لاستطلاعه كأثر تاريخي عمره حوالي ١٢٠ عامًا، أطلق عليه سكان المنطقة «المعبد المهجور».

وعند وصولنا وجدنا المعبد محاطا بأكوام من القمامة،

المعبد اليهودي مهجور والعامة يتحدثون عن أرواح تحميه

ورأينا شجرة كبيرة تطل من داخله، وتعلوه قبة كبيرة، وبعد استئذان سكان المنزل المواجه للمعبد صعدنا إلى سطح المنزل وصورنا المعبد، ثم تحدثنا مع بعض أهالي المنطقة حول قصة هذا المعبد وشجرته الضخمة.

عم «صالح» صاحب مقهى موازٍ للمعبد وأحد المخضرمين بالمنطقة، يقول: منذ سنوات كان المعبد عليه حراسة مشددة، وكان من الممنوع السير أمامه.. ولكن في الأعوام الأخيرة اختفى الوجود الأمني، وأصبح المكان مقصدا لإلقاء القمامة، ومع ذلك مازال هناك بعض اليهود يقبلون عليه في أعيادهم يوم ٢٢ ديسمبر، بسبب الشجرة التي بداخله، فبعض اليهود يزعمون أنهم يأتون إليها لكي يحدثوها وتحدثهم، ويزعمون أنها شجرة مباركة.

وساعدهم على ترويج هذه الرواية قيام بعض أهالي المنطقة بقطع الشجرة عدة مرات، ولكنها تعود مرة أخرى سريعًا لحجمها، وهو ما أثار دهشة جميع أهالي الجمالية.

وبالحديث مع «نجيب عبدالملاك»، مهندس معماري وأحد رواد المقهى، قال: هذه الشجرة هذه إحدى خرافات اليهود، مثل حائط المبكى بالضبط، يعني «يكذبون الكذبة ويصدقونها»، والحقيقة العلمية أنا أعلمها تمامًا، وهي أنه كان هناك منذ زمن طويل فرع من نهر النيل يبدأ من شارع الأزهر وينتهي عند

«قصة حارة اليهود»

«حارة اليهود» حي بجوار شارع الموسكي بالقاهرة، والآن أصبحت تابعة لحي الجمالية، وتلك الحارة لم تكن صغيرة كما قال البعض، فهي لم تكن أبدًا حارة بالمعنى اللفظي للكلمة، وإنما حي كامل يضم حوالي ٣٦٠ حارة متصلة ببعضها كما يؤكد السكان.

وقسم يهود مصر تلك الحارة إلى ثلاث شياخات هي: شياخة اليهود الربانيين، وشياخة اليهود القرائين، وشياخة «اليهود المغاربة»، وهم الذين يعتنقون الديانة اليهودية، وعلى الرغم من أن العديد منهم قد هاجر إلى «إسرائيل» فإنهم مازالوا يحتفظون بمعابدهم الدينية الأثرية، بالإضافة إلى الأحياء القديمة التي كانوا يعيشون فيها، ومنها الحي اليهودي بوسط المدينة القديمة بالدار البيضاء، وهذا الحي يضم أكثر من ٣٠ بيتًا كان يعيش فيه العديد من المغاربة اليهود، وهذا الحي قديم جدا محاط بالأسوار وله عدة منافذ، وكان قديمًا ومخصصًا لليهود الذين هجروه فيما بعد.

وذلك المكان له طابع خاص بالمقارنة مع الأحياء الأخرى، حيث يتميز بأجوائه الحيوية التي يحدثها التجار والباعة المتجولون في أزقته التي تعج بالزبائن.

وفي هذا المكان يقع معبد حاييم كابوس الذي ينسب إلى الحاخام الذي توفي في مصر عام ١٦٣١، ودفن بمنطقة حوش الموصيري بالبساتين.

واعتاد اليهود أن يزوروا مقبرته يوم «عيد الغفران» ويبيتوا فيه عدة ليالٍ كل عام، لأنه كان يحظى بمكانة روحية كبيرة عندهم، حيث كان دائم الصلاة وقراءة التوراة حتى فقد بصره، وظل مستمرًا في روحانياته حتى عاد بصره مرة أخرى- كما يقولون.

ويتميز المعبد عن غيره بأنه شُيد على طراز المعابد الإيطالية، حيث زينت قاعاته من كل جهة بأعمدة رخامية يتوسطها دولاب خشبي لحفظ أسفار التوراة، وينقسم من الداخل إلى مستويين: الأول أرضي، وكان يستخدم كقاعة مركزية وبه الهيكل والمنصة. أما المستوى الثاني فكان يستخدم كمصلى للسيدات.

والمعبد حاليا مغلق بمعرفة الطائفة اليهودية، ولا تقام به أي شعائر دينية منذ سنوات.

والجدير بالذكر أنه من المقرر أن يبدأ المجلس الأعلى للآثار في ترميمه، حيث تم وضعه في قائمة المعابد التي يجري إعداد مشروع الترميم لها، خاصةً أن حالته سيئة وبحاجة إلى الترميم الشامل في جدرانه وأرضياته وجميع عناصره المعمارية بعد أن تم تسجيله كأثر تاريخي بالقرار الوزاري رقم ١٨ لسنة ١٩٧٨.

ولكن الغريب في الأمر أن اليهود مازالوا يتوافدون عليه من جميع أنحاء العالم بسبب الشجرة العملاقة الموجودة بداخله.

فهذه الشجرة لا ساق لها كباقي الأشجار وإنما هي شجيرة جاثية على الأرض متشابكة العروق والأطراف بها شوك، ولها رائحة كريهة بعض الشيء ولا ثمار لها، كما هي بالصور.

«معبد موسى بن ميمون»

بالمرور داخل الأزقة وجدنا معبدًا آخر لليهود، له قصة مختلفة، هذا المعبد يسمى «معبد موسى بن ميمون»، ويقع على بعد أمتار قليلة من دير مارجرجس التاريخي بحارة اليهود، وبجواره مدرسة العدوي الابتدائية التي كانت واحدة من ضمن أقدم مدرستين ابتدائيتين في حارة اليهود، وهو أقدم كنيس تم بناؤه في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي، وصاحبه من أشهر المفكرين اليهود، ولد في قرطبة بالأندلس، وعرف باسم «رم ربام»، وهي الحروف الأولى من اسمه، ولقبه الراب موشيه بن ميمون، ومن الأقوال المأثورة عنه بين اليهود قولهم: «لم يظهر رجل كموسى من أيام موسى إلا موسى»، لبراعته في الطب والعلوم الرياضية والفلسفة، واضطر ابن ميمون للهجرة من قرطبة إلى فلسطين، ولكنه لم يستقر فيها، وإنما استقر في الإسكندرية، ثم الفسطاط، حيث كان يعمل طبيبًا خاصا لنورالدين علي أكبر أبناء صلاح الدين الأيوبي، وفي هذه الفترة ألف ابن ميمون معظم كتبه أثناء إقامته.

ومن أهمها كتاب «مشناة توراة» الذي ضم فيه تفسيرا للعهد القديم، وأهم كتبه كتاب «دلالة الحائرين» الذي كتبه باللغة العربية، وتُرجم إلى العبرية، وتكمن أهميته في شرح فكرة وحدانية الله، حيث حاول أن يوفق بين العقل والدين.

والجدير بالذكر أن هذا المعبد كانت حالته سيئة جدا، فلم يكن له سقف وجميع جدرانه وعناصره المعمارية كانت مهدمة، لذلك كان مغلقًا لعدة سنوات بمعرفة الطائفة اليهودية، ولم تُقم به أي شعائر دينية، وأعيد تجديده وافتتاحه أكثر من مرة في أعوام ١٨٨٧ و١٩٢٥ و١٩٦٧، وينقسم المعبد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول يحتوي على البهو المخصص للصلاة وإقامة الشعائر الدينية، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة، حوائطها مكسوة بالرخام ومكتوب عليها الوصايا العشر بالكتابة العبرية.

أما القسم الثاني فيحتوي على حجرة المقبرة التي دفن فيها ابن ميمون قبل نقل جثمانه إلى طبرية بفلسطين عام ١٢٠٤م بناء على وصيته، حيث فضل أن يدفن بجوار كبار الحاخامات الذين دفنوا هناك، وبجوار المدفن حجرة صغيرة اعتاد اليهود المرضى المبيت فيها طلبا للشفاء.

أما القسم الثالث فيتكون من بعض الحجرات التي كانت مخصصة لرجال الدين والمشرفين على إدارة المعبد بالإضافة إلى صحن مكشوف.

وفي نهاية مدخل المعبد بوابة حديدية على شكل عقد نصف دائري محاط بالرخام الأبيض، وتعلو الباب لوحة كبيرة تصور الوصايا العشر التي تسلمها موسى من الرب على جبل سيناء.

وقد استغرق ترميم المعبد سنتين، بدأت في يونيو ٢٠٠٨ وافتتح بعدها من قبل الطائفة اليهودية، وأعد قطاع المشروعات بهيئة الآثار ميزانية مشروع ترميم المعبد والتي بلغت ٥,٩ مليون جنيه لترميم جميع الشروخ التي ظهرت في جدران المعبد داخليا وخارجيا، وكذلك ترميم منصة الصلاة، وإصلاح جميع أرضيات المعبد.

حي الجمالية، يعني المنطقة كلها كانت عائمة على المياه، ومازالت حتى الآن، وهذا هو السبب الحقيقي وراء نمو الشجرة مرة أخرى بسرعة، حيث المياه الجوفية تحت الشجرة.

وقالت الحاجة «فاطمة خليل» نحن نسمع منذ زمن عن هذه الشجرة، وأنها تنبت من تلقاء نفسها، واليهود يقولون: إن المعبد به حوائط متهالكة وعمره حوالي ١٢٠ سنة، ولكن الشجرة هي السر في عدم سقوطه، كما يقولون إنها تعالج من بعض الأمراض المستعصية.

بينما قال «الأسطى خالد» صاحب ورشة خراطة: هذه الشجرة غريبة، يعني مهما عملنا بها تمر الأيام ونجدها تنبت مرة أخرى، وأنا كنت من الأهالي الذين دخلوا وقطعوا فروعها كلها، ووجدنا صعوبة في جزها، ثم وجدناها تنبت مرة أخرى، مما أثار دهشتنا، والعام الماضي وجدنا بعض اليهود في إحدى زياراتهم للمعبد يقومون بقطف ورق هذه الشجرة وجمعه في حقيبة، وبسؤال أحدهم قال: إن هذا هو نصيبه من هذه الشجرة المباركة!

«بدر علي»، صاحب أحد محلات الذهب الصيني، يقول: قام يهودي ممن كانوا يعيشون في مصر بوضع بذور هذه الشجرة- بعد أن أتى بها من فلسطين- في حوش المعبد، ويقال إنها بذور لا تسقى بالماء ولا تتوقف عن النمو، وكل عام يأتي إليها بعض اليهود لزيارتها.

«هيثم كمال» أحد شباب المنطقة يعمل بمحل ملابس يقول: منذ عدة سنوات كانت هناك حراسة

من عساكر الأمن المركزي على باب المعبد، وذهب أحدهم إلى حوش المعبد لقضاء حاجته، ففوجئ بأصوات غريبة تحدثه، فخرج مهرولًا وأصيب بحالة نفسية، وتم عزله من الخدمة!

وكل سنة نرى مجموعة يهود يأتون اليها ويتحدثون إليها ساعات طويلة.

وبالمرور داخل الأزقة وجدنا معبدًا آخر لليهود في نهاية الحارة، يسمى معبد «موسى بن ميمون»، وبه حوض كبير من المياه، تقوم سيدة يهودية تدعى «كرامات» بتجهيز الفتيات اليهوديات قبل ليلة الزفاف داخله بمياه تقرأ عليها نصوصًا معينة من التوراة، وقد تم ترميم هذا المعبد منذ فترة قريبة من قبل وزارة الثقافة المصرية.

ومن جانبه يقول المرشد السياحي للآثار القديمة محمد حمدي: ما يقال عن هذه الشجرة ليس صحيحًا، ولكن ابتدع اليهود هذه الشائعة حتى يكون لهم الحق في زيارة مصر، وفي أن يظل هذا الأثر ملكًا لهم، لأنهم ليس لهم حق في هذه الأماكن، وإذا نظرنا للتاريخ المصري سوف نجد أن حضارات

الأهالي يزعمون أن الشجرة تنمو بشكل غير طبيعي واليهود يحجون إليها كل عام

التاريخ المصري ليس بها حقبة تدخل في تاريخ اليهود، فتوجد الحضارة الإسلامية والمسيحية وحضارات ما قبل التاريخ، وتعتبر الحضارة الفرعونية هي أساس الحضارة المصرية، ولكن معبد حاييم كابوس كان في الأصل أحد المنازل التي كان يستأجرها اليهود، وحتى لا يتم هدمها أو تأميمها من قبل الحكومة المصرية تم اختلاق هذه الشائعة، ومازال اليهود حتى الآن يأتون إلى ذلك المكان اعتقادًا منهم أن الشجرة الموجودة بداخله شجرة مباركة، وأثر يدل على وجودهم داخل مصر، لكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا، وليس لهم أي آثار تدل على أنهم كانوا يعيشون في مصر، لأن المصريين الذي كانوا يدينون باليهودية أسلم أحفادهم، ومازالوا يعيشون داخل مصر، وكان غرض الاحتلال الانجليزي تمكين اليهود من هذا المكان، فظل يردد الإشاعات بأن هذا الحي يسكنه اليهود فقط.

وظل أهل المنطقة يطلقون «حارة اليهود» على هذا المكان حتى الآن، لأن أجدادهم لم يكونوا على علم بحقيقة هذا المكان، لذلك لم يخبروهم بتلك الحقيقة وعن المعابد الذي يأتي إليها اليهود.

ومن جانبه أكد محسن ربيع مدير الآثار والمعابد اليهودية بوزارة الدولة لشؤون الآثار على أن الآثار اليهودية الموجودة في مصر هي آثار مصرية، بمعنى أن كل ما يقال عن المعابد اليهودية وما يحدث فيها مجرد خرافات.

وأوضح ربيع أن معبد حاييم كابوس سيتم ترميمه في الفترة المقبلة مثل معبد موسى بن ميمون، واستطرد قائلًا: اليهود يأتون كل عام لزيارة هذا المعبد، ثم يغلقونه مرة أخرى، لكن السبب ليس الشجرة، بل محاولتهم تسليط الأضواء على أن لهم معابد في مصر.

foto: Flickruser: mars_discovery_district

التوتر والقلق من أهم أسبابه..

ضغط الدم.. القاتل الصامت

منى الموجي
القاهرة - دار الإعلام العربية

ليس غريبا أن يسمى ارتفاع ضغط الدم بالقاتل الصامت، ذلك لأنه يصيب نحو ٣٠٪ من سكان العالم دون أن يدري غالبيتهم أنه يتوغل ويسيطر على أجهزتهم الحيوية، ليفاجئهم بضرباته المتوالية التي قد تفضي إلى الموت ما لم نتنبه له ونحسن ترويضه، ومن ذلك موازنة حياتنا من حيث الغذاء والدواء، لنحظى بحياة سعيدة وهانئة.. «الوعي الإسلامي» التقت عددًا من المختصين ليحدثونا عن المرض ومسبباته، وطرق تجنبه، ولماذا سمي بالقاتل الصامت، فإلى التفاصيل..

على الرغم من أن المعدلات العالمية لانتشار مرض ارتفاع ضغط الدم الذي سمي بالقاتل الصامت لسرعة تمكنه من الجسم دون ظهور أعراض واضحة، تبلغ نسبتها ٢٠٪، فإنها تتزايد في المجتمعات العربية، فقد أكدت دراسة أُجريت أخيرًا في مصر على أن نسبة المصابين بارتفاع ضغط الدم تجاوزت ٢٦٪، وأوضحت ارتباط معدل انتشار المرض بالتقدم في العمر، فنسبة الإصابة بين الفئة العمرية ٢٥ عامًا إلى ٣٤ عامًا وصلت إلى ٧,٨٪؛ لتبلغ النسبة ٥٦,٦٪ عند بلوغ الـ ٧٥ عامًا فيما أكثر، وتشير الإحصائيات على الصعيد العالمي إلى أن حالات الوفاة الناتجة عن ارتفاع ضغط الدم تُقدر بنحو ٧,٥ ملايين حالة وفاة سنويًا، وجاء البيان الصادر عن منظمة الصحة العالمية في الربع الأول من هذا العام ليؤكد أن من بين كل ثلاثة أشخاص هناك شخص مصاب بمرض ارتفاع ضغط الدم من الذين تزيد أعمارهم عن ٢٥ عامًا، أي نحو مليار شخص في العالم مصابون بهذا المرض، وتتزايد هذه النسبة مع التقدم في العمر، ودعت المنظمة إلى تكثيف الجهود للوقاية من المرض ومكافحته، مؤكدةً على أن من شأن هذه النسبة أن تتغير حال تغير نمط وأسلوب الحياة.

أعراض المرض

تتمثل أعراض ارتفاع ضغط الدم في الإصابة بالصداع، مع الشعور بالدوخة والإصابة بالإجهاد سريعًا والنهجان مع أقل مجهود، كما يتعرض البعض إلى نزيف الأنف، ولا تختلف أعراض المرض في مراحله الأولى عن المراحل المتقدمة، إلا في شدة الإصابة بهذه الأعراض، ما يتسبب في حدوث مضاعفات ارتفاع ضغط الدم.

ويتفق الأطباء على ضرورة القيام بتعديل نمط وأسلوب الحياة للحد من الإصابة بالمرض، من خلال الحرص على ممارسة الرياضة، والإقلاع عن التدخين والعادات الغذائية السيئة، والحد من تناول الأطعمة المملحة، والإكثار من تناول الخضروات والفاكهة، إضافةً إلى إنقاص الوزن الزائد، وتجنب تناول الوجبات السريعة والمياه الغازية، والإقلال من تناول الشاي والقهوة والمواد التي تحتوي على الكافيين، مع تجنب التعرض إلى الضغوط وكل ما يثير الانفعال.

د. نصر: الأسماك المملحة والدهون والوجبات السريعة تعزز احتمالية الإصابة

الاستسلام للأمر الواقع

يقول سمير طه- طالب بكلية التربية: إنه لم يكن يتوقع أن يُصاب بالمرض في هذه السن الصغيرة، مشيرًا إلى أن اتباع نصائح الطبيب للحفاظ على الضغط حتى لا يرتفع أكثر، تطلب منه مجهودًا كبيرًا للإقلاع عن عادات كان يظن أنه لا يمكنه العيش بدونها، كتناول الوجبات السريعة مع أصدقائه والتدخين.

ويقول أحمد حليم موظف: عندما أبلغني الطبيب بإصابتي بارتفاع ضغط الدم لم أصدق، وبقيت وقتًا طويلا أرفض تناول الدواء إنكارًا مني بأني مريض بضغط الدم، لكني في النهاية استسلمت للأمر الواقع، واتضح أن انفعالي المستمر وعصبيتي التي لا تنتهي كانت من الأسباب الرئيسية لإصابتي بهذا المرض، وقد نصحني الطبيب بالابتعاد عن كل ما يثير غضبي حتى لا يتفاقم الأمر.

مسببات

إلى ذلك، يؤكد استشاري أمراض القلب د.محمد نصر، أن كل ما يمثل ضغطًا على الإنسان قد يتسبب في إصابته بارتفاع ضغط الدم، وهناك بعض الأغذية التي يُنصح مرضى ارتفاع ضغط الدم بعدم تناولها، مثل الأسماك المملحة والأطعمة التي تزيد فيها نسبة الدهون، ومن بين العادات الغذائية الخاطئة التي يتبعها البعض حاليا تناول الوجبات السريعة بصورة شبه يومية، ما يؤدي إلى زيادة الوزن والإصابة بالسمنة، كما يزيد من احتمالية الإصابة بارتفاع ضغط الدم.

وراثة

ويشير استشاري أمراض القلب بمعهد القلب القومي المصري د.حسام الخبيري، إلى أن ارتفاع نسبة المصابين بالمرض ليس في مصر وحدها، إنما في العديد من الدول، مشيرًا إلى أن الكوليسترول منخفض الكثافة من أسباب انتشار المرض، والذي يؤدي أيضًا إلى ضيق شرايين الأطراف، وضيق الشريان التاجي، والإصابة بالجلطات والأزمات القلبية، مضيفًا أن النسبة الكبيرة من المصابين بارتفاع ضغط الدم تأتي بسبب الجينات الوراثية.

وأوضح أن خطورة المرض تأتي من غياب أعراض واضحة للإصابة به في أغلب الحالات، حيث يرتفع الضغط تدريجيا بشكل يتكيف معه المريض، لكن هناك حالات محدودة يحدث فيها هذا الارتفاع بشكل مفاجئ، لافتًا إلى أن ارتفاع ضغط الدم يصيب القلب بالضعف، ويتسبب في تضخم عضلة القلب، لما له من تأثير مباشر على صحة القلب، حيث يعاني القلب من مقاومة في ضخ الدم للشرايين، كما يؤثر على صحة

جدول يوضح حالة الضغط تبعا للقياس الدوري

عدد مرات قياس الضغط	الرقم السفلي	الرقم العلوي	الحالة
قياس كل سنة	(٨٠) أو أقل	(١٢٠) أو أقل	مبشرة
قياس كل سنتين	أقل من (٨٥)	أقل من (١٣٠)	متوسطة
قياس كل عام	٨٥- ٨٩	١٣٠- ١٣٩	متوسطة/ مرتفعة
قياس كل شهرين	٩٠- ٩٩	١٤٠- ١٥٩	ضغط مرحلة ١
استشارة الطبيب خلال شهر	١٠٠- ١٠٩	١٦٠- ١٧٩	ضغط مرحلة ٢
استشارة الطبيب فورًا خلال أسبوع	١١٠ أو أعلى	١٨٠ أو أعلى	ضغط مرحلة ٣

القلب، ويرتبط أيضًا بصحة الكلى والعيون.

وينصح الخبيري بضرورة قياس ضغط الدم بشكل دوري كل شهرين على الأقل، حتى إن كان الإنسان لا يعاني من المرض، وذلك حتى يسهل اكتشاف المرض في مراحله الأولى، بينما يجب على المصاب بالمرض المتابعة مع طبيب خاص بصفة مستمرة؛ لتجنب مضاعفات المرض، ويشدد على أهمية التقليل من استخدام الملح في الأطعمة التي نتناولها، فالملح سبب أساسي في ارتفاع ضغط الدم، وكذلك الطعام الدسم الذي يتسبب في ضيق الشرايين نتيجة ترسب الدهون بالشرايين.

طبيعة الطعام

بدوره، أكد اختصاصي أمراض القلب د.هاني عبدالرازق، على أن الإصابة بارتفاع ضغط الدم يعود إلى العديد من الأسباب، من بينها الجانب الوراثي وتاريخ إصابة العائلة به، وطبيعة الطعام الذي نتناوله، خاصة الذي يحتوي على نسبة عالية من الأملاح، والوجبات السريعة، كما ترتبط السمنة ارتباطا وثيقا بزيادة نسبة الإصابة بضغط الدم المرتفع.

ولفت إلى أن نسبة السمنة في النساء أعلى منها في الرجال، ورغم أن ارتفاع ضغط الدم يرتبط بشكل كبير بالتقدم في العمر، فإن المنطقة العربية تشهد ارتفاع نسبة المصابين من الشباب بهذا المرض، ويرجع السبب في ذلك إلى التوتر والشعور بالقلق والتفكير الدائم في المستقبل، إلى جانب غياب ممارسة الرياضة.

وحول المضاعفات التي قد يتعرض لها مريض ضغط الدم المرتفع أكد على أنها تصل إلى الإصابة بالسكتة الدماغية وتصلب الشرايين، والإصابة بالفشل الكلوي، وقسم مراحل الإصابة بالمرض إلى ثلاثة مراحل، بسيط: وقياسه من ١٤٠- ١٥٩ على ٩٠- ٩٩، ومتوسط: ١٦٠- ١٧٩ على ١٠٠- ١٠٩، وشديد: وهو الذي يتجاوز ١٨٠ على ١١٠.

كما أوضح أنه في المرحلة الأولى من المكن عدم اللجوء إلى العلاج الدوائي، من خلال التأكيد على المريض أن يتجنب القلق والتوتر، ويحرص على ممارسة الرياضة بانتظام، خاصة في حالة إذا كان المصاب شابا، أما في الحالات المتقدمة فينصح المريض بتناول نوعين أو أكثر من الأدوية تحت إشراف الطبيب، ومراجعته بشكل دوري، وقد لا يُنظر إلى معدل ارتفاع الضغط بقدر النظر إلى عوامل خطورة أخرى مع المريض، من خلال التعرف على بعض الأمور الصحية، مثل: هل أصيب من قبل بسكتة دماغية؟ أو هل لديه مشاكل في الكلى أو القلب أو نسبة السكر في الدم والإصابة بالأمراض المزمنة؟ وغيرها من العوامل المُصاحبة.

نصائح عامة

- تنزيل الوزن الزائد والمحافظة على الوزن المثالي.
- تخفيف الصوديوم من الطعام بقدر ٢٥٠٠ ملج يوميا، وبمعدل ٦ جرامات من الملح.
- زيادة النشاط اليومي: المشي ٣٠ دقيقة أو أكثر يوميا.
- إضافة الفاكهة والخضروات في قائمة الطعام اليومية.
- إضافة الألبان قليلة الدسم كالحليب بمعدل حصتين يوميا.
- قراءة النشرة الخارجية عند شراء الطعام، حيث إن بعض الأطعمة تحتوي على أملاح بمعدلات زائدة، فيجب الحذر منها.
- معدل تناول الصوديوم للإنسان في هذه الأيام بين ٦٠٠٠- ٧٠٠٠ ملج يوميا.
- حمية الصوديوم أو حمية الملح تكون بين ٢٠٠٠- ٢٥٠٠ ملج يوميا.
- تناول دواء الضغط بانتظام وحسب نصيحة الطبيب.

الخطاط المغربي محمد أهري:

المجتمع المدني مكمل الدولة في تربية الأبناء

حوار: بشرى شاكر
الدار البيضاء

هو رجل عصامي، تعلم كتاب الله والتحق بالتعليم الابتدائي في سن متأخرة بقريته بامغران في إقليم ورزازات جنوب شرق المغرب، فرغبته بالعلم، جعلته يكمل تعليمه بجهوده الخاصة عن طريق المراسلة، ونمَّى معارفه بمطالعة الكتب الدينية والفكرية، وأصبح موظفًا حكوميًا، وساهم في تعليم أبناء القرى المجاورة دينهم والتربية الصحيحة. «الوعي الاسلامي» التقته ودار هذا الحوار:

● ساهمتم مؤخرًا في كتابة المصحف الشريف كاملا بخط اليد، حدثنا أكثر عن ذلك؟

– أجل، قمت بذلك مرتين، المصحف الأول كتبته في سجل مسطر، أما الثاني فقد كتبته على أوراق منفردة غير مسطرة، حيث تعلمت الكثير في الضبط والرسم وعد الآيات، فضلًا عن التدبر فيما أكتبه والتفكر فيه، وكنت أبتغي في ذلك وجه الله الكريم، وأن يكون هذا المصحف لي– ولكل من يطلع عليه– قرينًا في الدنيا، وفي القبر مؤنسًا، ويوم، القيامة شفيعًا، وعلى الصراط نورًا وإلى الجنة رفيقًا، وبيننا وبين النار سترًا وحجابًا، وإلى الخيرات كلها دليلًا وإمامًا.

وقد كتبتهما برواية الإمام ورش، بالرسم العثماني الذي كتب به الصحابة رضوان الله عليهم المصحف الشريف، وبالضبط المغربي الذي لا يختلف كثيرًا عن الضبط المشرقي إلا في أشياء قليلة، مثل نقطة الابتداء بهمز الوصل وصلته التابعة للحركة التي قبله، ونقطة الإمالة وتمييزها عن نقطة الإشمام والاختلاس.

● من قام بتدقيقهما؟ وهل فكرت في نشرها؟

– مسألة النشر والتداول تخضع لضوابط معينة تضعها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ولم يتسن لي شرف الاستفادة من توجيهات وملاحظات هذه اللجنة، لذلك فضلت أن أحتفظ شخصيًا بالنسخة الأصلية، وسأحاول استخراج نسخة منها لوضعها في مكتبة جمعية الإمام ورش لتحفيظ القرآن الكريم، ليستفيد الجميع من هذه التجربة ولحث الطلبة على الاجتهاد أيضًا.

أما من قام بالتدقيق، فهو الشيخ الفقيه المبجل السيد أحمد الشاهد إمام وخطيب المسجد الجامع بولماس بإقليم الخميسات.

● على ذكر جمعية الإمام ورش لتحفيظ القرآن الكريم، نعلم أنك أحد أعضائها.. ماذا تقدم للمجتمع؟

– نعم كنت دائمًا نشيطًا في العديد من الجمعيات المحلية، وآخرها جمعية الإمام ورش لتحفيظ القرآن الكريم، التي تأسست بفضل الله ثم بمبادرة من بعض المحسنين الواعين بأن المجتمع المدني عليه أن يكون مكملًا لعمل الدولة في تربية أبنائنا، وخاصة منهم الذين ينقطعون عن الدراسة.

ولقد تمكنت الجمعية بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ومساهمات بعض المحسنين أن تنجز في غضون ثلاث سنوات جناحًا للإناث وآخر للذكور، الأول يضم قاعة للدراسة ومرافق صحية بالإضافة إلى بهو مكشوف، يستقطب حاليًا حوالي ٤٥ مستفيدة، منهن من أتممن– بفضل الله– حفظ ٣٠ حزبًا من كتاب الله، والثاني يضم قاعة للدراسة ومكتبة ومكتبًا للمشرف ومرافق صحية بالإضافة إلى بهو مكشوف، يستقطب حاليًا حوالي ١٠ رواد في انتظار بناء مراقد لإيواء الطلبة الوافدين.

وقد جاء التفكير في تأسيس هذه الجمعية لما لاحظنا في أفق منطقة وادي درعة من فراغ مهول في مجال حفظ القرآن الكريم بعدما كانت من المناطق المغربية التي كان لها إشعاع علمي في تحفيظ القرآن وتلقين علومه، بحيث أنها شكلت عبر تاريخها الطويل المجيد خزانًا يزود ما حولها بأفواج من العلماء الأعلام ومشاهير القراء.

●● جل اهتمامك يصب في كتابة الآيات القرآنية.. فما الذي ترمي إليه من خلال ذلك؟

– نعم لي اهتمام بالخط العربي، وبالأخص بكتابة آيات قرآنية في لوحات، بهدف التذكير بمضمونها رغبة في عفو ربي ومغفرته ورضاه، وإلى الآن لم أعرض لوحاتي، ولكن أعرف عليها بعض الأصدقاء عبر الصفحات الاجتماعية التي أصبحت تساعد في إيصال المدارك والمعلومات.

إعداد : سلمان داود الكندري
كاتب ومدرب معتمد في التنمية البشرية

«أهل الجنة» ليسوا سعداء!

على مر العصور البشرية سعى الإنسان حثيثا ليصل إلى السعادة فجرب كل المتع المادية والحسية ليسعد، فاعتقد البعض أن السعادة بكثرة المال، والبعض الآخر اعتقد أن السعادة بالجاه، وبارتفاع مستوى الدخل، وبتوافر المسكن والملبس، وبالأولاد.

ولعل الأمر الذي جذبك لقراءة هذا المقال- عزيزي القارئ- هو عنوانه؛ لغرابته.. وهذا العنوان هو تحقيق صحفي لمقالين قديمين، والمقصود بـ«أهل الجنة» هم أهل السويد الذين يعيشون في مستوى اقتصادي يشبه الأحلام، فكأنهم لا يخافون فقرًا ولا جوعًا ولا بطالة، حيث لا تكاد تجد أحدًا يشتكي من قلة المادة.

والسبب في ذلك هو أن دخل الفرد في السويد يعتبر الأعلى في العالم، وكذلك تقدم الحكومة السويدية الإعانات للسكن والتعليم والمستشفيات، وتقدم قرضًا للعرسان للتأثيث بفائدة بسيطة، إضافة إلى أنها تقدم إعانات اجتماعية للأطفال، فهم يعيشون في جنة من الرفاهية والنعيم وحياة البذخ.

ولكن في المقابل تشير الدراسات والإحصاءات إلى أن السويد من أعلى الدول التي يلجأ شعبها إلى الانتحار بسبب الاضطراب والتوتر والألم والعذاب النفسي الذي يعيشونه من كل هذا النعيم.

فهل السعادة بكثرة المال؟!

اقتنص فرص الحياة

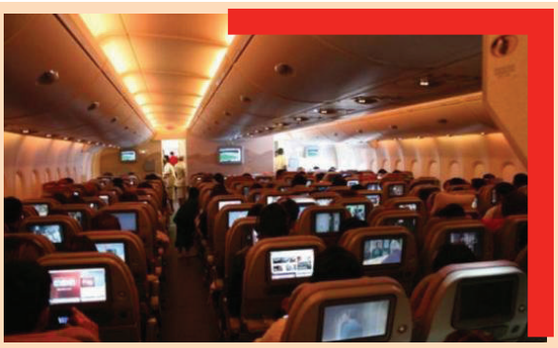

دخلت ذات يوم إلى إحدى صالات السينما لأشاهد الفيلم «shooter».. تأملت واندمجت في أحداث هذا الفيلم ذي التصوير الرائع، فلفت انتباهي مشهد أضاف لي فكرة في الحياة.. شاهدت القناص وهو يعد بندقيته والدربيل الخاص بها، ثم يختار المكان المناسب للتصويب، ويثبت سلاحه بطريقة معينة، ويقوم بحساب المسافة بينه وبين هدفه ليقتنصه، ثم يحسب سرعة الرياح ومعدل الرطوبة وأمورًا أخرى مرتبطة بحالة الطقس وجغرافية المكان، حتى يصل إلى هدفه بدقة متناهية ويقتنصه..

هذا المشهد وحده قد أضاف لي وأعطاني أفكارًا لأكتب في مواضيع متعددة منها (تحديد الهدف- توقع العوائق- التخطيط- الإعداد المسبق...)، وتخيلت أن الهدف الذي يحاول البطل اقتناصه هو عبارة عن فرصة في حياته، فاحتاج لتلك المهارات والأدوات من حساب الريح والإعداد والتخطيط حتى يقتنص هدفه، وكذلك أهدافنا والفرص التي في حياتنا تحتاج لهذا الإعداد.

وإليكم بعض المهارات والأدوات التي اخترنا لكم: :

١- سافر وأكثر من الرحلات

للسفر والرحلات- بالإضافة إلى المتعة والسياحة- فوائد عديدة، منها خلق الثقة في النفس، والرصانة، والاعتماد على النفس، واكتساب عادات وثقافات جديدة ووجهات نظر مختلفة، بها يستنير العقل، وتنير له آفاق، وتختزن في العقل الكثير من التجارب، فتظهر الفرص بكثرة، فما عليك سوى اقتناصها.

٢- قوة المعرفة

احرص على طرق أبواب المعرفة، وثقف نفسك، وابحث عن الأبواب التي تروق لك، وغذ عقلك، ووسع مداركك، واحرص كل الحرص على القراءة، فهي مفتاح العقول، حيث يوصي أحد خبراء التنمية البشرية بالقراءة لمدة ساعة يوميا، وكذلك استثمر أوقات القيادة في السيارة بسماع أشرطة تثقيفية وتدريبية حتى يكون العقل متوقدًا وجاهزًا للتعرف على الفرص إن جاءت فيقتنصها.. يقول إبراهام لينكولن: «سأدرس وأعد نفسي، فذات يوم ستأتي فرصتي»، فالإعداد الجيد والمسبق ضروري للتعرف على الفرص واقتناصها، فقم من اليوم وابدأ بالإعداد الجيد لنفسك من خلال المهارات التي أذكرها حتى تقتنص الفرص، وتكون في صفوف الناجحين.

كذلك الولايات المتحدة الأميركية مع ما تشهده من تطور تكنولوجي وعلمي هائل، ومن تيسير لأمور الحياة وتنظيم للأمور الإدارية، نجد أن ٨٠٪ من الشعب الأميركي يستعملون حبوبًا للاكتئاب ومهدئات للأعصاب، رغم كل هذه الملهيات والفضائيات، لكنهم لم يصلوا إلى السعادة الحقيقية.

فهل السعادة بالتطور العلمي والتكنولوجي!

إذن فما هي السعادة وكيف نحصل عليها؟

السعادة هي شيء معنوي لا يرى بالعين، ولا يقاس بالكَمّ، ولا يشترى بالمال.. والسعادة شعور في الإنسان بين جوانحه يبعث في النفس الطمأنينة والراحة والانشراح ويجعل الإنسان يعيش في جنة الأحلام.

قد نرى إنسانًا لا قيمة له في المقياس المادي، ويسكن في منزل متواضع، ومن أسرة فقيرة، ويلبس ثيابًا عادية، ومع ذلك فهو أسعد أهل الأرض، لأن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم معافى في جسده، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

وعلى النقيض قد نرى إنسانًا منعمًا مترفًا، ينام على الحرير والديباج، وحوله كل متاع الدنيا، وهو أتعس أهل الأرض.

ومع ذلك فإننا لا ننكر أن للجانب المادي أثرًا في سعادة الإنسان لأن النبي ﷺ يقول: «من سعادة ابن آدم الزوجة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح».

إن القلب الذي قد فجر الإيمان فيه ينبوعًا لا ينضب من السعادة، هو القلب الموصول بالله عز وجل، فعندما يقرأ المؤمن القرآن ويذكر الله تستريح نفسه، وتهدأ أعصابه، وتشع في روحه أنوار الطمأنينة والراحة النفسية، ويسعد كذلك في صلاته عندما يخلو الإنسان بربه فيناجيه في ظلمات الليل فتذرف عيناه تلك الدمعات.

سألت الليل كم بصدرك سر

أنبئني ما أروع الأسرار

قال ما أضاء في ظلامي نور

كدموع المنيب في الأسحار

وكذلك عندما جلس أحد الصالحين على نهر وبيده قطعة خبز قال لأصحابه بكل سعادة وطمأنينة: «والله إننا في عيش لو علم به الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليه بالسيوف».

نعم هذه هي السعادة تنبع من داخل الإنسان ولا تأتيه من الخارج ولو ملك الإنسان مثلما ملك قارون!

٣- خالط الناس

وهذه وصفة جربتها أنا شخصيا، فمخالطة الناس تفتح لك أبوابًا عديدة، تنهال منها الفرص، بل إن دخولي عالم الإعلام كان بسبب كثرة مخالطة الناس، حيث اقترح علي أحد الناس الدخول والعمل في إحدى الصحف اليومية، فكانت تلك بدايتي في عالم الإعلام.

إن مخالطة الناس أرض خصبة مليئة بالأفكار والفرص، حيث تقذف عقول الناس بعض الاقتراحات والأفكار والتجارب التي قد تكون الشرارة نحو انطلاقك في عالم النجاح والتميز.

٤- خدمة الغير

تقديم الخدمات للغير سلوك إسلامي نبوي، يعلمنا إياه رسولنا ﷺ الذي كان يقضي حوائج أصحابه، ويقدم لهم خدماته، فهي لمسة إنسانية تدخل السعادة في النفوس، فحاول أن تشترك في إحدى الجمعيات أو اللجان الخيرية أو الهيئات والمؤسسات المختلفة، فهي بالإضافة إلى العمل الإنساني وسيلة تظهر لك فيها الفرص وتتكاثر كالبكتريا النافعة، فقد تكون انطلاقتك الحقيقية منها.

٥- المشاركة في الدورات التدريبية

المشاركة في الدورات التدريبية من الأنشطة التدريبية التي أفضلها وأحبها لأن فيها صقلًا للشخصية ومنبعًا للأفكار التي تطور ذاتي، ولي أن أعتبرها مصنعًا وبحرًا للأفكار والفرص العظيمة، فكم من مشاريع أنجزتها وكانت فكرتها من هذه الدورات التدريبية فاقتنصتها حتى حققتها..

٦- المبادرة

هذه الصفة دائما ألاحظ وجودها في العظماء وصناع الحياة، وكذلك هي سلوك إسلامي تأصل في الجيل المسلم الذي تربى على يد الرسول ﷺ، بل إن المبادرة الشخصية هي السر في الترقيات التي يتلقاها الموظفون، وهذا ما أكده المديرون التنفيذيون في العديد من الشركات الناجحة والعريقة.

٧- اجعل لك مهارة وطورها

هل تجيد فنًا أو مهارة؟ إني أعرف العديد من الأصدقاء قد برعوا في مهارة مفيدة جعلتهم رموزًا في مجتمعهم، ومن هذه المهارات التي سأقترحها عليك ما قد يكون فرصة ففكر في اقتناصها والعناية بها «تأليف الكتب- الإنشاد- الفن- الخط العربي- التصوير- المشاريع الصغيرة- الرسم- الأدب...».

٨- قم بالأعمال المنتجة

حاول أن تجد لك عملًا منتجًا توسع فيه شبكة علاقاتك وتتعرف على خبرات جديدة، واهتم بالأعمال المنتجة التي لها أثر في المجتمع وتأثير جيد على الأفراد، فهو مكان جيد تتضافر فيه الأفكار والفرص.

- الجميع يفكر في تغيير العالم، ولكن لا أحد يفكر في تغيير نفسه.

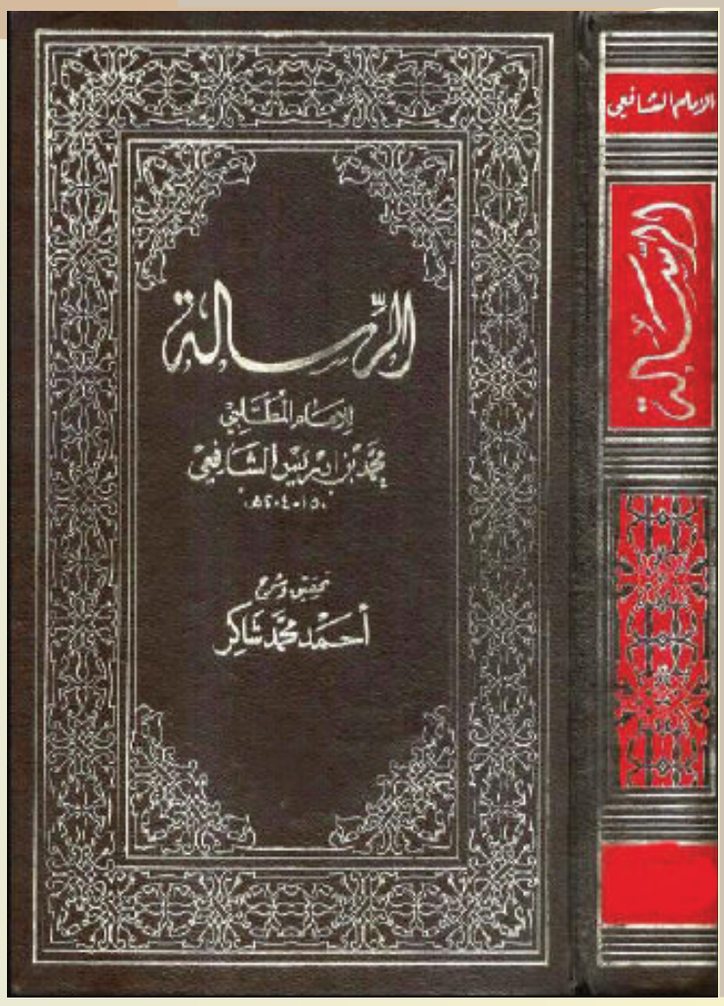

إعداد : خالد خلاوي

الرسالة للإمام الشافعي

ترجع أهمية كتاب الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي إلى كونه أحد الكتب التي أسست لعلم جديد في العلوم الإسلامية، فقد أجمع عدد من العلماء والمحققين على أنه أول كتاب في علم أصول الفقه، بل وعده البعض أول كتاب في أصول الحديث أيضًا، قال الفخر الرازي في مناقب الشافعي: «كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كُلّي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانونا كليًا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع. فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطوطاليس إلى علم العقل».

وتميزت الرسالة بأنها كتبت بلغة أدبية عرفت بها كتب الشافعي، يقول أحمد شاكر في مقدمة تحقيق الكتاب: «و(كتاب الرسالة) بل كتب الشافعي أجمع، كتب أدب ولغة وثقافة، قبل أن تكون كتب فقه وأصول، ذلك أن الشافعي لم تهجنه عجمة، ولم تدخل على لسانه لكنة، ولم تحفظ عليه لحنة أو سقطة».

تعريف بالإمام

الإمام محمد بن إدريس الشافعي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة المذهب الشافعي، ولد في مدينة غزة بفلسطين عام ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م، ولما بلغ سنتين قررت أمه العودة به إلى مكة، فأتم حفظ القرآن وعمره سبع سنين، وحفظ كتاب الموطأ للإمام مالك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، يقول الشيخ محمد أبوزهرة في ترجمته (وكان الشافعي يستمع إلى المحدثين، فيحفظ الحديث بالسمع، ثم يكتبه على الخزف أو الجلود، وكان يذهب إلى الديوان يستوعب الظهور ليكتب عليها، والظهور هي الأوراق التي كُتب في باطنها وتُرك ظهرها أبيض، وذلك يدل على أنه أحب العلم منذ نعومة أظفاره).

ثم رحلت به أمه إلى المدينة، فلازم الإمام مالكا ست عشرة سنة حتى توفي الإمام مالك سنة ١٧٩ هجرية، فانتقل الشافعي إلى بغداد واتصل بمحمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة وقرأ كتبه، وتعرف على علم أهل الرأي، ثم عاد بعدها إلى مكة وأقام فيها نحوا من تسع سنوات لينشر مذهبه من خلال حلقات العلم التي يزدحم فيها طلبة العلم في الحرم المكي ومن خلال لقائه بالعلماء أثناء مواسم الحج. وتتلمذ عليه في هذه الفترة

الإمام أحمد بن حنبل.
ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد سنة (١٩٥ هجرية)، وكان له بها مجلس علم يحضره العلماء ويقصده الطلاب من كل مكان، وفي هذه الفترة ألف كتابه (الرسالة).
وقدم الشافعي مصر سنة ١٩٩هـ، فأعاد الشافعي النظر في بعض مسائل مذهبه، كما أخذ ينشر مذهبه الجديد، ويعلم طلاب العلم، حتى توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ.
ومن مؤلفاته رحمه الله: كتاب (جماع العلم)، دافع فيه عن السنة دفاعًا مجيدًا، وأثبت ضرورية حجية السنة في الشريعة. وكتاب (الأم)، و(اختلاف الحديث)، وغيرها.

سبب التأليف

ألف الإمام الشافعي الرسالة مرتين، ولذلك تُسمى: الرسالة القديمة والرسالة الجديدة، أما الرسالة القديمة فالراجح أنه ألفها في مكة، إذ كتب إليه أحد طلاب العلم وهو عبدالرحمن بن مهدي يطلب منه أن يضع له كتابًا فيه معاني القرآن. ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. فوضع له كتاب الرسالة.
وقال علي بن المدني: (قلت لمحمد بن إدريس الشافعي أجب عبدالرحمن بن مهدي عن كتابه، فقد كتب إليك يسألك، وهو متشوق إلى جوابك. قال: فأجابه الشافعي، وهو كتاب الرسالة التي كتبت عنه بالعراق، وإنما هي رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي). وأرسل الكتاب إلى ابن مهدي مع الحارث بن سريج النقال الخوارزمي ثم البغدادي، وبسبب ذلك سمي النقال، وأما كتاب الرسالة المعروف حاليًا فهو الكتاب الذي ألفه في مصر.

أبواب الكتاب

في سلسلة تراث الإنسانية التي أصدرتها وزارة الثقافة في مصر قام الدكتور محمد يوسف موسى باستعراض أبواب كتاب الرسالة باستفاضة، ولأهمية ما كتبه نورده هنا بإيجاز:
كان من الطبيعي والقرآن عماد الدين، وفيه بيان ما أراد الله بيانه من الأحكام- أن يبدأ الشافعي «الرسالة» بباب بيَّن فيه كيف بيان كتاب الله لما جاء به (ص٢١ وما بعدها) من أحكام العبادات والمعاملات لأن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع.
فمن البيان في القرآن ما يكون نصًا لا يحتمل التأويل، وذلك كجمل ما فرضه الله من صلاة وزكاة ونحوهما، ومثل ما حرمه من أكل الميتة ولحم الخنزير ونحوهما. ومنه ما أحكم الله فرضه في الكتاب، ثم بين كيفه على لسان نبيه، مثل عدد الصلاة والزكاة وأوقاتها، ومنه ما سنه الرسول ﷺ مما لا نص فيه في الكتاب، ولكن الله فرض علينا في الكتاب طاعته. إلى آخر ضروب البيان التي ذكرها الشافعي.
وبعد أن عرض مراتب البيان الخمسة، تناولها بالإيضاح في أبواب خمسة (ص٢٦ وما بعدها) بذكر شواهد وأمثلة لكل منها. وجاء في الباب الأخير ما يدل على أن السنة قد تخصص الكتاب، ولهذا أتبع ذلك بأبواب: بيّن فيها ما فرضه الله من وجوب طاعة رسوله واتباع سنته.
وبعد الفراغ من ذلك أخذ يتكلم (ص١٠٦ وما بعدها) عن النسخ وحكمته، وعن الناسخ والمنسوخ، وأطال الكلام في فصول عدة في هذا الموضوع المهم. فهو يذكر أن الله فرض فرائض أثبتها، وأخرى نسخها تخفيفًا عن عباده، وأبان أنه نسخ ما نسخ من القرآن به وأن السنة لا تكون ناسخة له، بل هي تابعة له، لأن على الرسول اتباع ما يوحى إليه، وليس له تبديله من نفسه.
وأخذ بعد ذلك (ص١٧٦ وما بعدها) في بحث جمل الفرائض التي أحكم الله فرضها بكتابه، وبين كيف يكون القيام بها على لسان نبيه؛ وذلك مثل الصلاة والزكاة والحج، فكل هذا فرض بالقرآن، ولكن السنة هي التي بينت عدد الصلوات وعدد ركعات كل منها، وكيفية أدائها في الحضر والسفر، وبينت كذلك تفصيل أحكام جميع الفرائض.
ونجد بعد ذلك بابًا عنوانه (باب العلل في الأحاديث) (ص٢١٠ وما بعدها) تكلم فيه عن الأحاديث التي نجد في القرآن مثلها نصًا، وأخرى في القرآن نجد مثلها جملة.
ثم انتهى إلى الكلام على الإجماع وحجيته (ص٤٧١ وما بعدها) مبينًا أن عامة المسلمين لا تجتمع على خلاف لسنة رسول الله ﷺ، ولا على الخطأ.
وتناول بعده القياس باعتباره أصلا من أصول الفقه بعد الكتاب والسنة والإجماع (ص٤٧٦ وما بعدها)، مبينًا الأدلة على وجوب المصير إليه عند الضرورة، وشروط القياس الصحيح، ومن يجوز له شرعًا أن يقيس، ثم من يصح منه الاجتهاد في أحكام الله.
ومن المباحث المهمة التي تناولها الشافعي بعدئذ الاستحسان، فقد ذهب إلى إبطاله (ص٥٠٣ وما بعدها)؛ فذكر أنه حرام على أي إنسان أن يقول بالاستحسان إذا خالف الخبر من الكتاب أو السنة؛ لأن حلال الله وحرامه أولى ألا يقال فيها بالتعسف والاستحسان، وأنه لو قال أحد في هذا بلا خبر لازم أو قياس كان آثمًا.
وأخيرًا يختم الإمام رسالته ببيان أن أصول الفقه ليست في مرتبة واحدة، بل لكل منها مرتبة معلومة بحيث يجيء بعضها في أثر بعض فيقول: «نحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها التي لا اختلاف فيها، فنقول لهذا: حكمنا بالحق في الظاهر والباطن، ونحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد. لا يجتمع الناس عليها، فنقول: حكمنا بالحق في الظاهر، لأنه قد يمكن الغلط فيمن روى الحديث، ونحكم بالإجماع ثم القياس، وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلة ضرورة؛ لأنه لا يحل القياس والخبر موجود، كما يكون التيمم طهارة في السفر عند الإعواز من الماء، وإنما يكون طهارة في الإعواز، فكذلك يكون ما بعد السنة حجة إذا أعوز من السنة «أ.هـ».

المصدر: كتاب تراث الإنسانية

إعداد : د. محمود محمد الكبش
الباحث بوحدة البحث العلمي
-إدارة الإفتاء-

حكم الفتْوى بالحيل

مر معنا في (العدد الماضي) أن الحيل أنواع: منها المشروع الجائز، ومنها الممنوع إجماعًا، ومنها المختلف فيه؛ لوجود الإشكال في تكييفه ووصفه.

ولأجل ذلك كان لزامًا على المفتي أن يتبحر في هذا النوع من مسائل العلم كي يعرف أسراره، ويكتشف أغواره؛ ليميز بين الجائز والممنوع منه، كما يجب عليه أن يعرف أحوال الناس وأمورهم إذا أراد الفتوى بشيء من ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: «يحرم عليه (أي: المفتي) إذا جاءته مسألة فيها تحيل على إسقاط واجب، أو تحليل محرم، أو مكْر، أو خداع: أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه، أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده؛ بل ينبغي له أن يكون بصيرًا بمكْر الناس، وخداعهم، وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم؛ بل يكون حذرًا فطنًا فقيهًا بأحوال الناس وأمورهم، يوازره فقه في الشرع، وإن لم يكن كذلك: زاغ وأزاغ». «إعلام الموقعين» (٤/٢٢٩).

وعليه؛ فما كان من الحيل جائزًا.. جاز للمفتي أن يفتي به تسهيلًا على الناس، ورفعًا للحرج. وما كان محرمًا.. حرم على المفتي أن يفتي به، ووجب عليه تبيينه للناس تحذيرًا من الوقوع فيه.

ولذلك عد العلماء تتبع الحيل عبثًا وتساهلًا؛ قال الإمام ابن فرحون المالكي رحمه الله: «واعلم أنه لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، ومن عرف بذلك لم يجزْ أن يستفتى... وقد يكون تساهله وانحلاله بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة، أو المكروهة،

منع البنت من الذهاب للمدرسة

(٦/٧هـ/٢٠٠٧)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي:

لقد منعني والدي من الذهاب إلى المدرسة؛ لأنني طلبت منه تأجيل لبس الحجاب إلى أن أتخرج من الثانوية؛ فرفض، فهل يحق له ذلك؟

فأجابت الهيئة بما يلي:

لا يجوز للأب منع ابنته من الذهاب للمدرسة إذا لم يكن في ذهابها إليها منكر، وأما مع المنكر، وهو تركها للحجاب إذا كانت بالغة أو مراهقة، فله منعها من الذهاب للمدرسة بسببه، ولكن الأولى به أن يقنعها بوجوب الحجاب، ثم يأذن لها بالذهاب إلى المدرسة إذا تحجبت. والله أعلم.

اختلاط الذكور بالإناث في التعليم

(٤/٤٣ع/٢٠٠٧)، (١/٧١ع/٢٠٠٦)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاءان التاليان:

الأول: أنا طالبة طب، وطبيعة الدراسة تفرض الاحتكاك بالحوار والنقاش، وأحيانًا باللمس في تناول الأدوات، والأجهزة، فما حكم ذلك؟

الثاني: ما حكم اختلاط الفتيان والفتيات من سن ١٢ و ١٣ سنة في الفصول الدراسية وفصول التقوية؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

اختلاط الذكور بالإناث في التعليم لا يجوز، إلا إذا دعت إلى ذلك ضرورة أو حاجة ماسة، بشرط أن يراعى ما يأتي:

أولًا: أن يوجد انفصال جزئي داخل قاعات الدراسة وجميع القاعات التي يوجد فيها الطلبة والطالبات بحيث يكون الطلبة في جهة والطالبات في جهة أخرى من القاعة، ويفضل أن تكون الطالبات في مؤخرة القاعة والطلبة في مقدمتها اقتداء بالوضع الشرعي في الصفوف في صلاة الجماعة، ويفضل أن يكون لهن باب خلفي خاص بهن.

ثانيًا: أن يلتزم الطلبة والطالبات جميعا بالأحكام الشرعية، ولا سيما فيما يتعلق باللباس الشرعي للنساء، بحيث يجمع الأوصاف الآتية:

١- أن يكون ساترًا لجميع البدن ما عدا الوجه والكفين.

٢- أن لا يكون شفافًا يرى منه شيء من البدن.

٣- أن لا يكون ضيقًا يصف تقاطيع البدن.

٤- أن لا يكون زينة في نفسه.

٥- أن لا يشبه ملابس الرجال.

ثالثًا: عدم استعمال الطالبات للزينة اللافتة في الوجه والكفين، ولا يستعملن الأصباغ والعطور.

فإذا لم تتحقق هذه الشروط؛ فإن الاختلاط حرام لهذه الاعتبارات. والله أعلم.

تدريس الرجال للنساء الأجنبيات

(٣/٤٣ع/٢٠٠٧)

والتمسك بالشبه طلبًا للترخيص على من يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضره...

أما إذا صح قصد المفتي، واحتسب في تطلب حيلة لا شبهة فيها، ولا تجر إلى مفسدة؛ ليخلص بها المستفتي من ورطة يمين أو نحوها.. فذلك حسن جميل». «تبصرة الحكام» (١/٧٤).

بل ربما أوقع المفتي نفسه- بتحيله في فتواه- في الكفر إذا استحل ذلك؛ فقد ذكر ابن القيم رحمه الله جملة من الحيل المحرمة، ومنها: لمن أراد أن يسقط عنه حد السرقة أن يدعي أن المال له، وأن له فيه شركة؛ فيسقط عنه القطع بمجرد دعواه، ثم قال: «فهذه الحيل وأمثالها لا يحل لمسلم أن يفتي بها في دين الله تعالى، ومن استحل الفتوى بهذه فهو الذي كفره الإمام أحمد وغيره من الأئمة؛ حتى قالوا: إن من أفتى بهذه الحيل فقد قلب الإسلام ظهرًا لبطن، ونقض عرى الإسلام عروة عروة» «إعلام الموقعين» (٣/١٧٦).

وأما تعريف المستفتي الطريق الذي ينال به الحلال، والاحتيال للتخلص من المأثم بطريق مشروع؛ فجائز ومباح، وهو الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله: «فأحسن المخارج ما خلص من المآثم، وأقبح الحيل ما أوقع في المحارم، أو أسقط ما أوجبه الله ورسوله من الحق اللازم». «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٢٢).

فمتى وجد المفتي للسائل مخرجًا في مسألته، وطريقًا يتخلص به؛ أرشده إليه، ونبهه عليه؛ كرجل حلف أن لا ينفق على زوجته، ولا يطعمها شهرًا، أو شبه هذا؛ فإنه يفتيه بإعطائها من صداقها، أو دَيْنٍ لها عليه، أو يقرضها ثم يبرئها، أو يبيعها سلعةً ويبرئها من الثمن، وهذا ما نص عليه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» ص(٧٥٥).

ويدل على صحة تطلب الحيل الجائزة: قوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ (ص:٤٤)؛ لما حلف ليضربن امرأته مائة جلدة. ينظر: «صفة الفتوى» لابن حمدان (ص٣٢).

ومما ورد من فتاوى العلماء بالتمحل: ما رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (ص٧٥٧) بسنده عن حرملة بن يحيى أنه قال: «سمعت الشافعي، وسأله رجل؛ فقال: حلفت بالطلاق إن أكلت هذه التمرة أو رميت بها؛ قال: تأكل نصفها، وترمي بنصفها».

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي: ما حكم تدريس الرجل للطالبات في المرحلة المتوسطة والثانوية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن تدريس الرجال للنساء الأجنبيات عنه جائز بشرط أن لا تكون هناك خلوة، وتنتفي الخلوة بوجود رجل آخر أو امرأة أخرى أو بقاء الباب مفتوحًا أو نحو ذلك مما لا يؤمن معه دخول ثالث، ويجب على الدارسات التزام اللباس الشرعي والآداب الإسلامية، وعلى المدرس اجتناب النظر المحرم. والله أعلم.

نسخ الكتب والأشرطة بدون إذن

(٢/٧٣ع/٢٠٠٦)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم بواسطة السيد/ محمد، ونصه:

أنسخ الأشرطة والكتب الصغيرة، وأوزعها مجانًا، دون إذن صاحبها من باب البر، فهل يجوز ذلك؟ وما حكم ما تم توزيعه سابقًا؟

أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع من نسخ الأشرطة والكتب بدون إذن صاحبها، إذا كان ذلك للاستعمال الشخصي. وأما إذا كان النسخ للتجارة، فإنه لا يجوز إلا بإذن صاحبها، وكذلك الحكم إذا كان النسخ للتوزيع مجانًا من باب البر، فإنه لا يجوز إلا بإذن صاحبها. وأما ما تم نسخه وتوزيعه مجانا قبل ذلك من باب البر، دون إذن صاحبها؛ فأجره لصاحبه. والله أعلم.

الغش في الامتحان بداعي النسيان

الفتوى رقم (٦٢٩٠)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي: بعض الشباب المسلم يطالع كتبه ودروسه المقررة له، ولكنه ينسى، ويجلس بجانبه صديق له، فيعطي له الأجوبة الصحيحة، وإذا لم يساعده صديقه فإنه سيرسب لا محالة. فهل هذه المساعدة بين الصديقين في الامتحان تعتبر غشا؟ قال الرسول ﷺ: «من غشنا فليس منا»، وضحوا لنا هذه النقطة.. جزاكم الله خير الجزاء.

فأجابت بما يلي: يعتبر ذلك غشا وهو حرام؛ للحديث المذكور في السؤال، ولخطره على التعليم، وهبوطه بمستواه، ونشره الفوضى فيه، وضرره بالمجتمع الذي سيعمل فيه، ويتحمل مسؤولية ما يناط به من مصالح الأمة، ومع ذلك وغيره؛ فهو داخل في عموم الحديث المذكور: «من غشنا فليس منا» (رواه مسلم)، وعلى المسلم الرشيد أن ينظر إلى المصلحة العامة، ويؤثرها على المصلحة الجزئية الخاصة، مع أنها في هذه المسألة الجزئية مصلحة ظاهرًا، ولكنها في الحقيقة مضرة بمن نجح غشا وغيره؛ ممن قد يتولى شؤون الأمة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الأرجل في القرآن الكريم

الرجل إن كانت راكبة لها أن تحرك الركاب لتحث الجواد على العدو، أو تضغط على دواسة البنزين لتسرع السيارة، أو تضغط على دواسة المكبح لتخفيف السرعة أو تتوقف.. ولها أن تدوّر دواسة الدراجة إلى حيث تريد، وقد تنيل صاحبها -إن كانت ماهرة صلبة في التدوير- الفوز بكأس معدن ثمين في سباق الدراجات!

وإن كانت الرجل عاملة، ناسجة: تدوس خشبة بأسفل النول، فتنفتح الخيوط للحائك ليتم الحياكة، أو تحرك قطعة من تحت مشطها لإدارة دولاب لتسوية صلصال، أو خزف، أو فخار، تحفة فاخرة وآنية نافعة! وإن كانت راجلة سهل عليها التسلق - تسلق الجدران وأعالي الجبال والقمم- والتزحلق، والتزلج، ودفع أمواج بحر أو مسبح، وعرقلة رجل منافسة لها، أو مصارعة، أو مخاصمة لإسقاطها.

ولها، لما يحترّ البدن، ويصاب بالفشل والإعياء، أن تتغطس في ماء بارد، أو ماء معدني حار إن أصيبت ببرد من الوصب، فتنتعش وتنتعش سائر الأعضاء.

رِجْل الرَجُل الأرجَل تأبى العار (لا يهم من أين نبع)، فالعار هو العار، والاستعباد هو الاستعباد، والردة هي الردة، لذا نرضى لها الحفاء- وإن تبعه جلد وفلقة، أو أغلال سلاسل فولاذية- فتلقي بنعلها على منبع الإذلال والغطرسة، وإن كان على رأس أعظم قوة في العالم!

ذلك صنف من الأرجل، ولا بد أن تعترضك رجل (وما أكثرها وأنشطها عينًا على عهدنا)، تصدمك أرجل ولا كالأرجل، تلونت بمساحيق ونقوش واهمة موهمة، غير

اللقيمات رجيم وطاعة

علم اللقيمات سنة نبوية سحرية، يجهلها كثيرون، يمكن أن يستفيد منها الراغبون في الحصول على الرشاقة وتنزيل الوزن، بدلا من اللجوء إلى عمليات جراحية معقدة، مثل عملية تحزيم المعدة، أو قص جزء من المعدة، أو إلى ما قد يعمد إليه البعض من تربيط للأسنان بحيث لا يأكل إلا القليل.

وفي تجارب عملية تبيّن أن المعدة تستوعب ما يخزن بها من طعام، فكلما تناول الشخص مزيدًا من الطعام تتكيف المعدة له، بحيث يمكنها أن تستطيل وتنتفخ وترخي العضلات لاستيعاب الطعام.

والشعور بالشبع هو رسالة ترسل من الدماغ للتوقف عن تناول الطعام، وهي بالمعدة تستغرق على الأقل خمس عشرة دقيقة حتى يصدر الأمر بالتوقف عن تناول الطعام، وهي مدة كافية للشخص على أن يأكل وجبات تفوق حاجته؛ إذًا نظام اللقيمات دليل على أن يأكل الشخص بما يناسب الحجم الطبيعي للمعدة، وهو اللتر الواحد وهو السبيل الطبيعي، الذي يستفاد من حديث اللقيمات في الرجيم والرشاقة.

قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

والحديث الشريف حدد الكمية بالضبط وهي ثلث المعدة للطعام، وثلث للشراب، وثلث فارغ للنفس، ولكن لم يستطع أحد تحديد مقدار ثلث المعدة، وبمتابعة أحدث الدراسات العلمية نتمكن من تحديد قياس ثلث المعدة، فقد تبيّن أن المتوسط يقدر بـ ١٢٠٠سم مكعب للحصول على وجبة مثالية مشبعة، أما الثلث فيكون ٤٠٠ سم، وبالتالي لا يجب أن تزيد الوجبة عن ٤٠٠ سم، وأطلق عليها وجبة «اللا محالة»، أو «الوجبة المفرحة»، وتعني أنه لا يجب زيادة الكمية المقررة- كما أنها أساسية- نظرًا للاعتماد على وجبات اللقيمات طول اليوم.

وجبة اللا محالة يتناولها الإنسان مرة واحدة فقط في اليوم في أي وقت، ولا يشترط خلالها تناول أصناف معددة من الطعام، حيث يعتمد نظام اللقيمات على الكمية، أما النوع فكل ما يحبه المرء يتناوله بدون حرمان على الإطلاق.

ويكون تطبيق رجيم اللقيمات من خلال تقسيم الوجبات اليومية إلى ٦ وجبات، وجبة أساسية متوسطة الحجم، وتسمى «لا محالة»، أو «الوجبة» المفرحة، بالإضافة إلى ٥ وجبات صغيرة من اللقيمات لتجديد الطاقة، فوجبة اللا محالة أو الوجبة المفرحة مرة واحدة في اليوم وليس لها وقت محدد، ويمكن تناولها ليلا، وتعتمد على حجم الوجبة، وهي عبارة عن: ٣٥٠ سم وجبة أساسية + ٥٠ سم حلويات.

الوجبة الأساسية: يتم تحديد

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

أنها، في الصميم: جبانة، متوانية، متخاذلة، مخادعة، متجسسة، متكبرة، متملقة، ساعية بالنميم، خائنة غادرة، تتمارى، فارة من سعي أرجل الرّجال الصيّد، متغافلة، متنكرة لنداء الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم...﴾(الأحزاب من الآية ١٦).

والحق أنها غير واعية بأن الشر سيعود يومًا ما على فاعله، طال الدهر أم قصر، فالحكماء صدقوا في إثباتهم: «أتتك بخائن رجلاه»! وبعد... ألا يحق للأرجل، بعد هذا، أن توجب علينا التفاتة دارسة، واعتناء توعويًا داعمًا منهضًا؟

● مصطفى بوهلال

المعيار بكوب كبير حوالي ٢٢٠ سم، وهو مقدار كوب كبير بحيث تشمل النشويات والخضار والبروتين من أي نوع، وبعد أسبوعين من المواظبة على المعيار، من الممكن الاستغناء عن الكوب بعد تعود الجسم على مقدار وجبة اللا محالة.

بالإضافة إلى ٥ سم حلوى (حوالى ٢ ملعقة) لكي تزود الجسم بحاجته من السكريات المصدر السريع للطاقة.

رجيم اللقيمات يعطينا ١٥٠٠ سعرة في اليوم، ومعدل السعرات لدى السيدات ٢٠٠٠، وبذلك يمكن للمرأة توفير ٥٠٠ سعرة، وبذلك تضمن خسارة الوزن من نصف كيلو إلى ٢ كيلو في الأسبوع على حسب معدل الحرق لدى كل امرأة. أما الرجال فهم بحاجة لأكثر من ذلك، ويمكن لهم أن يحصلوا على المزيد من السعرات من خلال الوجبات الخمس المتفرقة.

● إبراهيم علي أبو رمان

الاستاذ الفاضل/ فيصل يوسف العلي
رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي – الكويت
تحية مباركة من عند الله طيبة وبعد

فتح الله عليك من علمه وبيانه الكثير والكثير، فقد أسعدتنا وأثلجت قلوبنا بكلماتك الطيبة التي تهدي إلى الإكثار من الحسنات، والبعد عن السيئات، واستغلال الأوقات فيما ينفع الأنفس والأقطار، ويبعد عنهم شر جحيم النار، فالإنسان لا يبقى معه في الخاتمة إلا الباقيات الصالحات، وبرحمة ربه ومغفرته تدخله فسيح الجنات، فالكل إلى فناء ويبقى ذو الجلال والإكرام.

لقد سبحت بنا سبحًا جميلًا في السيرة النبوية العطرة للمصطفى ﷺ ووصاياه الخالدة، وأن الناس سواسية أمام ربهم يتساوون في الحقوق والواجبات، وأن أكرمهم عند الله اتقاهم.

كذلك جعلتنا نتطلع للكعبة المشرفة، رأي العين وهي تتهيأ لاستقبال ضيوف الرحمن، وأوضحت هدف هذا النسك العظيم والسمات الواجب التحلي بها من خلق كريم وخصال حميدة.

إن القلم يعجز عن التعبير عما يجيش في صدري لأسطر الكلمات التي تعبر عن التقدير العميق والشكر الجزيل لشخصكم الكريم.

طيّب الله مسعاكم لنصرة الإسلام، وإلى مزيد من إمتاعنا وإسعادنا بكلماتكم الطيبة الهادفة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأتشرف بأن أرفق لسيادتكم: استقبال الحياة

تنفس الصباح الوضاء، فغردت الأطيار في أوكارها، وزقزقت العصافير في أعشاشها، وأشرقت الأرض بنور ربها، والشمس بضيائها، فقد أقبلت الحياة معلنة عن أفراحها بالحب والأمل والإيمان، ونحن لكي نسعد في الحياة وتسعد الحياة بنا، علينا أن ندرك القيمة الحقيقية لوجودنا فيها، ولكي نواجه الحياة، فعلينا أن نملأ قلوبنا بالإيمان العامر، فلقد خلق الله لنا ما يوفر لنا حياة رغيدة طيبة، إن تفاعلنا مع هذه الأشياء، وتفاعلها معنا لدليل قوي على أننا أدركنا حقيقة وجودنا وحقيقة وجودها، وهنا لا يجب على هذه الأشياء أن تلهينا عمن خلقها لنا لسعادتنا، فمع كل طلعة شمس ومغربها، ومع كل نفس نتنفسه علينا أن نشكر الله على أنعمه التي تنهمر علينا، تارة جلية لنا، وتارة خفية عنا، ولكننا ندركها بحواسنا بإيماننا، قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (النحل: ١٨).

● د. سعاد حسين

«ابتسامة»

جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا خلعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أحول وجهي أم خلافها؟ فقال أبو حنيفة: الأفضل أن تحول وجهك إلى الجهة التي فيها ثيابك لئلا يسرقها أحد.

(روائع الدرر)

مستحقو الصفع

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

أحق بالصفع في الدنيا ثمانية
لا لوم في واحدٍ منهم إذا صُفعا
للمستخف بسلطانٍ يحدثه
وداخل الدار تطفيلا بغير دُعا
ومتحفٍ لحديثٍ غير سامعه
وجالسٍ مجلسًا عن قدره ارتفعا
ومنفذٍ أمره من غير موضعه
وداخلٍ في حديث اثنين مُندفعا
وطالب العون ممن لا خلاق له
وطالب النصر من أعدائه طَمعا

(ديوان الإمام الشافعي)

علامات الجهل ثلاث

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن علامة الجهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه. **(جامع بيان العلم وفضله)**

قصة أم مدّوي

كان في العرب عجوز عاقلة و فصيحة، لها ابن أحمق، وقد أرادت يومًا أن تزوجه، فخطبت له فتاة من العرب، فجاءت أم الفتاة إلى أم الغلام تنظر إليه.

وفيما هي عند أمه دخل عليهما الفتى وسأل أمه: هل أدّوي؟ أي هل آكل الدواية، وهي قشطة اللبن، ولما كان ذلك يدل على الشراهة، أرادت الأم أن تشترّ حماقته، فقلبت سؤاله إلى معنى آخر، وقالت له: اللجام معلق بعمود الخيمة، والسرج بجانبه.

وبهذا الجواب أوهمت أم الخطيبة أن ابنها أراد أداة الفرس للركوب، فكتمت زلة ابنها عن ضيفتها.

ومن ذلك اليوم ضربت العرب المثل بأم مدّوي لمن يوري بالشيء عن غيره.

وهذا معنى قول الشاعر:

بدا منك غش طالما قد كتمته
كما كتمت داء ابنها أم مدّوي

(الحديقة لمحب الدين الخطيب رحمه الله)

من نمّ لك نمّ عليك

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

- من نمّ لك نمّ عليك، ومن نقل إليك نقل عنك، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، كذلك إذا أغضبته قال عنك ما ليس فيك.
- الوقار في النزهة سخف.
- من طلب الرياسة فرت منه، وإذا تصدّر الحدثُ فاته علم كثير.
- يحتاج طالب العلم إلى ثلاث خصال: طول العمر، وسعة ذات اليد، والذكاء.

(توالي التأسيس لابن حجر)

الصبر وأقسامه

قال العلامة ابن القيم: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في (فتوح الغيب): لا بد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه».

(عدة الصابرين لابن قيم الجوزية).

من عادة الكريم

قيل: من عادة الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر. وقالوا: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام. وقيل: من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره، ولم يحمد في العالمين ذكره.

والعرب تقول: لا سؤدد مع الانتقام، والذي يجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته، وإن كان لا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه، إلا أن يكون حدًا من حدود الله تعالى.

(المستطرف للأبشيهي)

شماتة الأعداء

قال أحد الحكماء: «نقلت الصخور وحملت الحديد؛ فلم أر شيئًا أثقل من الدَّين، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان؛ فلم أر شيئا ألذ من العافية».

ولو نزحوا البحار وكنسوا القفار؛ لوجدوها أهون من شماتة الأعداء، خصوصًا إذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد، اللّهمّ إنا نعوذ بك من تتابع الإثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم.

وقيل لأيوب عليه السلام: أي شيء كان عليك في بلائك أشد؟ قال: «شماتة الأعداء».

(المستطرف للأبشيهي)

السعادة التامة

قال ابن حزم رحمه الله: «إذا نام المرء خرج من الدنيا، ونسي كل سرور وكل حزن، فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك أيضًا لسعد السعادة التامة».

وقال رحمه الله: «من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم، فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم».

(مداواة النفوس لابن حزم)

العلم وفضله

- قال معاذ بن جبل: «عليكم بطلب العلم؛ فإن تعلمه خشية، ومدارسته عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد». (جامع بيان العلم لابن عبد البر).
- قال كعب الأحبار: «طالب العلم كالغادي الرائح في سبيل الله عز وجل». (أخرجه الديلمي في مسند الفردوس).
- قال سفيان بن عيينة: «من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل». (القول العلي للسفاريني).
- «وفضائل العلم وأهله أكثر من أن تذكر، وأشهر من أن تشتهر، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة»

(القول العلي للسفاريني)

أخسر الناس صفقة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: أخسر الناس صفقة: من اشتغل عن الله بنفسه، بل أخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس.

في السنن من حديث أبي سعيد يرفعه: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا».

قوله: تكفر اللسان: قيل معناه تخضع له.

(الفوائد لابن القيم)

مسك الختام

«مالك بن نبي» وأسئلة الاستعمار والنهضة

محمد صديق
باحث دراسات إسلامية

ما تزال كلمة الاستعمار تتردد كثيرًا في أوساط المجتمعات العربية، وفي قصور المؤتمرات، وعلى ألسنة الصحفيين والسياسيين، وما تزال جراحه تنزف يوميا مئات من الأسئلة اللاهثة عن أسبابه.

وتولى طرح هذه الأسئلة والإجابة عنها كثير من المثقفين الذين رأوا في الاستعمار والمستعمر مادة دسمة للبحث وتحليل الأسباب والنتائج، وجاءت أطروحاتهم مختلفة أحيانا، ومتقاربة أحيانا أخرى، إلا أنه يبرز من بين كل هذه الأطروحات أطروحة مالك بن نبي، الذي رأى في أطروحات البعض نقصا في الأهداف والوسائل، مما جعلها غير فاعلة اجتماعيا، حيث انصبت بعض الأطروحات على إدخال شكليات في صميم الثقافة العربية، مما جعل حلولها مجرد «فوضى» لا تؤدي بالنتيجة إلى فاعلية، أما أطروحة بن نبي فكانت مبنية على إيقاظ العالم العربي إلى مشاكله الفكرية، قبل أن يصب اللوم على المستعمر المستغل، فكان مالك مفكرا أيقظ الفكر العربي والإسلامي على مشاكله الفكرية والاجتماعية والثقافية التي أنتجت البيئة الخصبة لقدوم الاستعمار.

فالمشكلة برأيه ليست في الاستعمار- الذي يعلق به ويناط كل المشاكل- بل المشكلة في جوهرها مشكلة نفسية اجتماعية، مدللا على ذلك بأن بعض الدول العربية الأشد تخلفا لم تكن مستعمرة، ففي داخل المجتمعات العربية يجثم الخطأ، إنه القابلية للاستعمار، ليس فقط بشكله المادي، بل في شكله المعنوي أولا المتمثل في سريان الأفكار الخاطئة إلى محيطنا الثقافي.

وبعد توصيفه للمشاكل انطلق في إنتاج إطار عام يصف من خلاله العلل والأدوية لها بناءً على النتائج التي توصل إليها بعد المقارنة بين حضارة النبي عليه الصلاة والسلام في مدينته التي مثلت لدى بن نبي أنموذجا خالدا وكاملا من جهة، وبين مآلات المجتمعات العربية الرازحة تحت نير الاستعمار بأنواعه الفكري والمادي والثقافي، وحضارة المستعمر القائمة على إحياء الأفكار غير الأصيلة التي تعطيه المنفعة المادية التي يبتغيها، دون التركيز على القيم الأخلاقية التي تنتج الحضارة وتحميها، وكان دواؤه قائما على إحياء القيم الفكرية والخلقية التي مكنت مدينة النبي ﷺ من الانبعاث الحضاري وبناء الحضارة الإنسانية.

وفي توصيفه لخطط الاستعمار في مرحلة ما بعد التحرير حذر من الأمصال المضادة التي يصرّ المستعمر على حقنها في فكر الشعوب المتحررة، وجراثيمه هذه تتمثل في صراع الأفكار، حيث يعمد المستعمر- حسب رأي بن نبي- إلى بث الأفكار الهدامة التي من شأنها إيقاف عملية بناء الحضارة.

إن مدرسة مالك بن نبي التي أسسها تمثل مدرسة فكرية اجتماعية تنطلق من الواقع الاجتماعي المعاش، محاولة شده إلى الواقع الاجتماعي الذي عايشه من قبلنا إبّان التغيير الذي أحدثه القرآن، وهذا الواقع المأمول مبني على فكرة مفادها مأخوذ من قول الله تعالى:﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣).

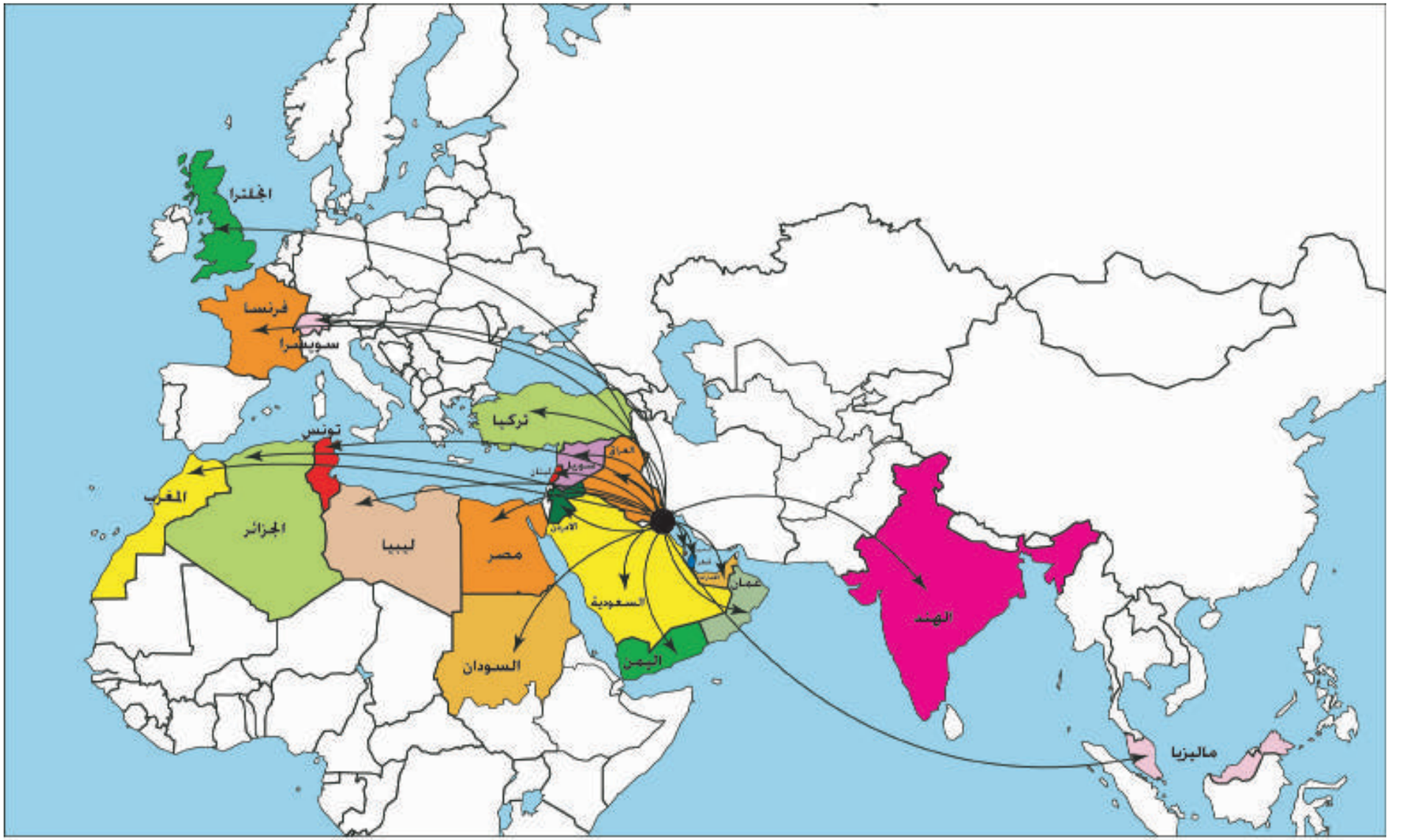

أماكن توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا

www.alwaeialshababy.com